عبدالعزيز محمد الأحيدب

جمع الجواهر في الحكم والنوادر

الطبعة الأولى

عام ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٤م

عبدالعزيز محمد الأحيدب

جمع الجواهر في الحكم والنوادر

الطبعة الأولى

عام ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٤م

تـمّ طبـع هـذا الكتـاب (الطبعة الأولى) بنـاء على موافقـة كل مـن :

١ - المـديـرية العـامـة للمطبوعـات ،الرقابة العربية، بـوزارة الإعـلام بالريـاض بكتـابهـا رقـم ١٤/١/م وتاريـخ ١٤٠٨/٢/٢٧هـ.

٢ - الإدارة العـامة لشئون المصاحف ومراقبة المطبوعـات ،الرقابـة العربية، بإدارة البحوث العلميـة والإفتـاء والدعـوة والإرشـاد بكتابها رقـم ٥/١٠٨ وتاريـخ ١٤٠٨/١/٢٧هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقــــديـم

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمي الذي ملأ الدنيا علماً وأدباً، وحكمة وخلقاً ، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيله، واقتفوا آثاره وعلى من تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد :

فقد جعلت محور هذا الكتاب يدور على أقسام وفصول تحتوي على نبذ من الأحاديث والحكم والأمثال التي يقوي الشاهد بها ويعظم الأستدلال. في الأدب والمروءة والعفة والنزاهة والعفو عن الهفوات والمسامحة في الحقوق والواجبات، والتحبب إلى الناس، ومداراتهم، وطرف من الحكايات والأدب في الأخبار التي تتعلق بذوي الهمم والرياسة، والوصايا والمواعظ لكل إنسان من شعر ونثر الخ.

قال بعض الحكماء : من تسلى بالكتب لم تفته سلوة، وأن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة، والحكمة شجرة تنبت في القلب وتثمر في اللسان، وهي موقظة للقلوب من سنة الغفلة، ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة، ومحيية لها من موت الجهالة، ووصف بها لقمان عليه السلام فقال عز من قائل: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ وقال ﷺ: (**إن الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها قيدها فاتبع ضالة أخرى**)، قال ابان ابن سليم: كلمة حكمة من أخيك خير لك من مال يعطيك، قال بعض السلف: القلوب تحتاج إلى قوتها كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الغذاء. وقال بعض الحكماء: الحكمة خلة العقل، وميزان العدل، ولسان الإيمان، وعين البيان، وروضة الأرواح، ومزاح الهموم عن النفوس، وأنس المستوحش، وأمن الخائف، ومتجر الرابح، وحظ الدنيا والآخرة، وسلامة العاجل والآجل.

وقيل أفضل ما أعطي العبد في الدنيا الحكمة وفي الآخرة الرحمة. كما أن الأدب يشرف الصغير على الكبير ويرفع

المملوك على المولى. وصف أحدهم الأدب فقال: عز الأدب عز راسب رابط لا يزول بزوال المال، ولا يتحول بتحول السلطان،ولا ينقص عن طول الزمان.وقال الشاعرفي المعنى :

هذا كتابي جمعته زمناً   أودعته من غرائب الحكم
فمن رأى حسنه فأعجبه   فليدع لي بالنجاة من حكم

وقال آخر :

لا يصلح النفس إذا كانت مدبرة   إلا التنقل من حال إلى حال

وأعتقد أن القارىء فيه لا يمل بل ينتقل من حال إلى حال، من حكمة في السياسة، وعدل في القضاء، وترغيب في العلم والفضائل، وتنفير من الجهل، والكسل ، إلى غير ذلك من الموضوعات الحيوية التي تزرع في القلوب الواعية العزة والكرامة، فهو جدير بأن يطالعه طلاب العلم والأدب وينتقوا من جواهره وحكمه ما أحبوا وأرادوا.

وقد سميته (**جمع الجواهر في الحكم والنوادر**) وقد بذلت في ذلك مجهود كبير، راجياً من الله الأجر والثواب. ودونت المراجع في آخره.

هذا وأرجو من الله أن يحوز على رضاء القارىء العزيز. وصلى الله على نبينا محمد.

المؤلف

القســـم الأول

في نبذ من الأحاديث والحكم والأمثال التي يقوى الشاهد بها ويعظم الاستدلال

اعلم أن كلام الحكماء، أكثر من أن يدركه الإحصاء، ويستوفيه الإستقصاء، لكني أورد في هذا القسم من الحكم المأثورة، والأمثال المشهورة، والفقر المنظومة والمنثورة، ما فيه مقنع وكفاية، وقال بقراط:

من اتخذ الحكمة لجاماً، اتخذه الناس إماماً. قال بعض الحكماء: صلاح اسقام النفس أفضل من صلاح أسقام البدن، لفضل النفس على البدن ، لأن البدن آلة للنفس والنفس باقية ، والبدن فان مضمحل ، ومصلحة الباقي والعناية به وتعديله أفضل من إصلاح الفاني، ومع ذلك فإن إصلاح أنفسنا أسهل واخف من مؤنة إصلاح أبداننا ، لأن صلاح النفس إنما هو بالحكمة ، واتباع الآداب العقلية ، ولزوم العادة الفاضلة المؤدية لمن تمسك بها إلى سبيل الفلاح، وطرق النجاح، لا بدواء مشروب ولاغير ذلك من أصناف العلاجات التي لا تتهيأ إلا بالكلفة العظيمة في البدن والمال ، وإنما هي نتائج العقول والأذهان ، وفوائد التجارب في مرور العصور والأزمان ، وأولاها بالتقديم ، واحقها بالتكريم ، والتعظيم ماصدر عن النبي {ﷺ} المصطفى الكريم ، وكذلك أيضاً للأمثال مواقع ، في نفوس الأنام ولذلك ضرب الله سبحانه الأمثال في كتابه الكريم ، ويرتبط الكلام في هذا القسم في عشرين فصلا من المقال : عشرة راجعة إلى بعض حروف المعاني المصدرة بها الآداب والأمثال . وعشرة من الأعداد التي تقوم للمستشهد بها مقام الإحتفال.

هذا أول فصل من فصول الأحرف الذي يبدأ بها الكلام وهي عشرون فصلاً.

« فصل إن »

فمن الحديث الوارد عن النبي ﷺ :

إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً. إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحراً، إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلاؤها الإستغفار إن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. إن مكارم الأخلاق من أعمال أهل الجنة. إن حسن العهد من الإيمان. إن حسن العهد من الإيمان. إن إحساب أهل الدنيا هذا المال. إن أحسن الحسن الخلق الحسن. إن أشكر الناس لله أشكرهم للناس. إن لكل دين خلقاً، وإن خلق هذا الدين الحياء، إن لكل ملك حمى، وإن حمى الله محارمه. إن الله يحب الرفق في الأمر كله. إن الله يحب معالى الأمور وأشرفها ويكره سفسافها. إن الله يرحم من عباده الرحماء. إن الله عند لسان كل قائل. إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المؤمن. إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة من اتقاه الناس لشره. إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني باقامة الفرائض. إن لله عباداً يفزع الناس إليهم في حوائجهم أولك الآمنون من عذاب الله. إن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يَعنيه. إن لله خزائن للخير والشر مفاتحها الرجال، فطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير، وويل لمن جعله الله مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير. إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله. وإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله، وإن الصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يغنيكم الله. إن الناس لم يعطوا شيئاً أفضل من العفو والعافية فاسألوها الله. إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه: رحمتي تغلب غضبي. إن الله لا ينظر إلى صوركم

وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. إن لكل ساعٍ غاية، وغاية كل ساع الموت. إن الله يحب الملحين في الدعاء. إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً. إن الصبر يأتي العبد على قدر المصيبة. إن الله يبغض الخصم الألد. إن لله عند قوم نعماً يقرها عليهم ماكانوا في حوائج الناس فإذا ملوها نقلها من عندهم إلى غيرهم. إن العبد ليبدي من نفسه ما ستره الله حتى يمقته الله. إن الرجل ليتكلم بالكلمة يرضي بها جلساءه يهوي بها في نار جهنم. إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم. إن المؤمن إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت صدقة. إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير.

ومن الحكم المأثورة عن السلف وغيرهم :

إن حب الخير فعل وإن عجزت عنه المقدرة. إن الصواب في الأسد لا الأشد. إن امرء ليس بينه وبين آدم أحد لمعرق في الموت. إن في ذهاب الذاهبين لعبرة للقوم الغابرين. إن للأمور بغتات فكن منها على حذر. إن ولاية المرء ثوبه، فإن قصر عنه عري منه وإن طال عليه عثر فيه. إن من قضاء الحاجة تعجيل اليأس إذا أخطأك قضاؤها. إن الطلب وإن قل أعظم من الحاجة وإن كثرت. إن العدو الشديد الذي لا تقوى عليه لا ترد بأسه عنك بمثل الخضوع له. إن قديم الحرمة وحديث التوبة يمحوان ما بينهما من الإساءة. إن القدرة تصغر الأمنية. إن العلم عوض كل لذة ومغن عن كل شهوة. إن من السياسة للراعي أن يجز غنمه جزاء لا يذهب معه الصوف ولا تضيع له الغنم. إن لك في مالك شريكين الحدثان والوارث، فإن استطعت أن لا تكون أبخس الشركاء حظاً فافعل. إن أضعف الرأي ماسنح في البديهة. إن أحق ماصبرت عليه مالم تجد سبيلاً إلى دفعه. إن المصيبة إذا نزلت إنما هي واحدة. فإن جزع صاحبها كانت اثنتين. إن من الدلالة علي أن الإنسان

مصرَّف مغلوب ومدبَّر مربوب، أن يتبلد رأيه في بعض الخطوب. ويعمى عليه الصواب المطلوب. إن لكل قوم كلباً فلا تكن كلب أصحابك. إن الله عز وجل وسع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء، وليعلموا أن الدنيا لا ينال ما فيها بعقل ولا حيلة. إن أشد الناس غماً الذي نزل غيره في المكان الذي هو أحق به منه.

إن لكل فضل زكاة، وإن زكاة المال الصدقة على الفقير المحتاج. وإن زكاة القوة المدافعة عن الضعيف المظلوم، وإن زكاة البلاغة القيام بحجة من قد عجز عن حجته. وإن زكاة الجاه أن يعاد به على من لا جاه له، وإن زكاة العلم التعليم لمن قصر علمه.

إن أهل البيت إذا كثروا كان فيهم الغرر والعرر. إن في صالح مالك بقاء عزك ونقاء عرضك. إن من علامة المؤمن قوة في دين، وحازماً في لين، وإيماناًفي يقين، وحكماً في علم، وكيساً في رفق، وعطاء في حق، وقصداً في غنى، وغنى في فاقة، وإحساناً في قدرة، وطاعة في نصيحة، وتورعاً في رغبة، وتعففاً في جهد، وصبراً في شدة. إن الرجل ليكون أميناً فإذا رأى الضياع خان، إن الوعظ الذي لا يمجه سمع، ولا يعدله نفع، مايصمت عنه لسان القول وينطق به لسان الفعل. إن النفس لأمارة بالسوء، فإذا جاء العزم من الله كانت هي التي تدعوك إلى الخير. إن الآمال قطعت أعناق الرجال، كالسراب غر من رآه وأخلف من رجاه. إن الركون إلى الدنيا مع ما يعاين من الموت جهل، وإن التقصير في حسن الأعمال مع معرفة الثواب عليها عجز، وإن الطمأنينةإلى كل أحد قبل الإختبار حمق. إن بقاءك إلى فناء، فخذ من بقائك الذي لا يبقى لفنائك الذي لا يفنى. إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بخلقه وخف على الناس وأحبوه، وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس وملوه. إن المرء لن ينال ما يحب حتى يصبر على كثير مما يكره.

ومن الشعر فى هذا الفصل قولهـــم :

إن الليــالى للأنام منــاهــل　　تطوى وتبســط بينها الأعمار
فقصارهن مـع الهموم طويلـــة　　وطولهـن مـع السرور قصـــار

غــيره :

إن الشدائد قـد تغشى الكريم لأن　　تبين فضـل ســجاياه وتوضـحه
كمبرد القين إذ يعلو الحديد به　　ولـيس مـقصــده إلا لـيصلحـه

غــيره :

إن المـروءة ما علمت لـفي القنــاعة الخمـول
تغــدو وليس علي يديك يد تصول ولا تطول

غـيره :

إن للدهــر صــولة فاحذرنـهــا　　لا تـبـيـتن قــد أمـنـت الـدهـورا
قــد ينام الفتى صحيحاً فيردى　　ولـقــــد بـات آمـنــاً مـســرورا

غـيره :

إن الأهــلة للدهــور خنـــاجــر　　بشـفارها تنـقــرض الأعمــــار
فيما يهنىء بعضنا بعضاًبهــا　　ومـجـيـئـهـا بـذهـابـنــا إنـذار

غـيره :

إن الحـوايج ربمــا أزرى بـهـــا　　عند الذى تقضى لهـا تطويلها
فإذاضمنت لصاحب لـك حاجة　　فـاعلم بأن تمـامها تعجيلهـا

غـيره :

إن في نيـل المنـي وشك الـردى　　وقيــاس القصــد عند السرف
كـسراج دهـنـــه قـــوت لـــه　　فـإذا غـرقـتــه فيـــه طـــفى

غـيره :

إن المعـلم والطبيب كـلاهمـا　　لا ينصحان إذا هـمـا لم يكرمـا
فاصبر لـدائك إن جفوت طبيبه　　واصبر لجهلك إن جفوت معلمـاً

غـيره :

إن من عضـت الـكلاب عصـاه　　فـي انـتجــاع الخيـام والأبـواب
ثم أثرى فـكيف يمنح شـيئـاً　　فـاتقـوا اللـه يا ذوي الألـبــاب

غـيره :

إن في صحة الإخـاء مـن النــا　　س وفي خــلة الوفـاء لقـــلبه

فالبس الناس ما استطعت على   النقص وإلا لم تستقم لك خله

غـيـره :

إن أخاك الصدق من لم يخدعك   ومـن رآك طـالبـاً سـعـى معك
ومـن يـضـرنـفـسـه لينفعـك   ومـن إذا ريـب الـزمـان صدعك
شـتت شـمـل نـفسـه ليجمعـك

غـيـره :

إن الهـدية حـلوة كالسحر تجتلب القـلوبا
تدني البعيد من الهوى حتى تصيره قريبا

غـيـره :

إن مـع الـيوم فـاعلمـن غـداً   فانظر بمـا يقتضي مـجيء غده
مـا ارتـد طـرف امـرىء بـلـذتـه   إلا وشـيء يمـوت مـن جسـده

غـيـره :

إن المـرايا لاتريك خمـوش وجـهك في صـداها
وكـذاك نـفسك لاتريك عيوب نـفسك في هـواها

غـيـره :

إن الرشـاد وإن الجبن في قـرن   بـكـل ذلـك يـأتـيـك الجـديدان
لا تـأمـنن إن أصبحت فـي حرم   إن المنـايا بجنبي كـل إنسان

غـيـره :

إن الـنسـاء كـأشجار نـبـتن لـنـا   منهـا المرار وبعض المـر مأكول
إن النساء متي ينهين عن خلق   فـانـه واجـب لابـد مـفـعـول

غـيـره :

إن الـعـدو وإن أبـدى مـودتـه   إذا رأى فيك يوماً فرصـة وثبـا

غـيـره :

إن المقدم في حذق بصنعتـه   أنـى تقـدم فيهـا فهو محـروم

غـيـره :

إن الرياح إذا ماأعصفت قصفت   عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

غـيـره :

إن الغصون إذا قومتهـا اعتدلت   ولـن تلين إذا كانت في الخشب

غـيـره :

إن المسـرة للمسـاء مـوعـد   حقـاً ورهـن للعشية أو غـد

غـيـره :

إن الـطـبـيـب بـطـبـــه ودوائـــه لا يـسـتـطـيـع دفـــاع مـحـذور أتـى

غـيـره :

إن الـلـيـالي لـم تـحـسـن إلـى أحـد إلا أسـاءت الـيـه بـعـد إحـســان

غـيـره :

إن الـسـمـاء إذا لـم تـبـك مـقـلـتـهـا لـم تـضـحـك الأرض عن شـيء مـن الـزهـر

غـيـره :

إن الـتـبـــاعـد لا يـضـــر ر إذا تـقـــاربـت الـقـــلـوب

غـيـره :

إن الـكـريـم لـيـخـفـي عـنـك عـسـرتـه حـتـى تـراه غـنـيـاً وهــو مـجـهــود

غـيـره :

إن الـــكـريـم إذا نـابـتـه نـائـبـة ألـفـيـتـه وجـمـيـل الـصـبـر في قـرن

غـيـره :

إن الـكـرام إذا مـا أسـهـلـوا ذكـروا من كـان يـألـفـهـم في الـمـنـزل الـخـشـن

غـيـره :

إن الـسـعـيـد لــه مـن غـيـره عـظـة وفـي الـتـجـارب تـحـكـيـم ومـعـتـبـر

غـيـره :

إن الـمـقـام عـلـي الـهـوان مــذلـة والـعـجــز آفـــة حـيـلـة الـمـحـتـال

غـيـره :

إن مـن أضـعـف الـضـعـاف لـدي الـلــ ــه قـــوي يـســتـضـعـف الـضـعـفـاء

غـيـره :

إن الـعـبـيــد إذا أذلـلـتـهــم صـلـحـوا عـلـي الـهـوان وإن أكـرمـتـهـم فـسـدوا

غـيـره :

إن الـمـنـيـــة والـفـــراق لـواحـــد أو تـوأمـان تـراضـــعـا بـلـبـــان

* * *

« فصل إنمـــا »

فمن الحديث الوارد عن النبـــي ﷺ :

« إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل ، إنما شفاء العمى السؤال. إنما الأعمال بالنيات، إنما الأعمال بالخواتم، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. إنما أهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم . إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه. إنما أخشى عليكم شهوات الغنى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء، إنما يرحم الله من عباده الرحماء، إنما يدرك الخيركله بالعقل ، ولا دين لمن لا عقل لـــــه » .

ومن الحكمة المـأثورة عن السلف وغيرهم :

إنما لك من مالك ما أمضيته فى حياتك . إنما هو درهمك وسيفك فازرع بهذا من شكرك . واحصد بهذا من كفرك . إنما تأكل ما تشتهى . والذى لا تشتهيه يأكلك . إنما يرضى بالدون من رضى بالدنيا . إنما يعز الذهب فى معدنه . إنما الدنيا شرك فانظر أين تضع قدميك منها. إنما المرء لا يولد عالماً، وإنما العلم بالتعلم . إنما الكيس الماهرمن استسلم فى قبضة القاهر . إنما الجزع والإشفاق قبل وقوع الأمر، فإذا وقع وقع بالرضى والتسليم . إنما تطلب الدنيا لتملك ، فإذا ملكت فلتوهب . إنما يختبر ود الرجل عندالحاجة . إنما أباد القرون انقطاع الحركات والسكون . إنما السلطان سوق ، فما نفق عنده حمل إليه . إنما الناس رجلان : شامت بنكبة أو حاسد لنعمة . إنما الولاية أنثى تصغر وتكبر بواليها . ومطية تحسن وتقبح بممتطيها . إنما سمي الصديق صديق لصدقه فيما يدعيه لك . وإنما سمى العدو عدواً لعدوه عليك إذا ظفر بك. إنما يستحق إسم الإنسانية من حسن خلقه ، إنما يحبك من لا يتملق لك ويثنى عليك من لايسمعك . إنما يختبر ذو البأس عند اللقاء . وإنما يختبر ذو الأمانة عند الأخذ والعطاء، إنما

يختبر الأهل عند الفاقة، وإنما يختبر الإخوان عند النوائب.

ومن الشعر في هذا الفصل قولهم :

إنما دنياك ساعة فاجعل الساعة طاعة
واحذر التقصير فيها واجتهد مقدار ساعة
وإذا أحببت عزا فالتمس عز القناعة

آخر :

إنما الدنيا هبات وعوار مستردة
شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة

آخر :

إنما هذه الحياة متاع فالظلوم الجهول من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

آخر :

إنما نعمة الدنيا متعة وحياة المرء ثوب مستعار
وصروف الدهر في أطباقه خلقة فيها ارتفاع وانحدار
بينما الناس على عليائها إذا هووا في هوة منها فغاروا

آخر :

إنما للناس منا حسن خلق ومزاح
ولنا ما كان من فساد وصلاح

آخر :

إنما تعرف الصديق إذا ما نته من خلاف ما يشتهيه

آخر :

إنما الجود أن تجود على من هو للجود منك والبذل أهل

* * *

« فصل إن »

فمن الحديث الوارد عن النبي ﷺ :

« إن أُمر عليكم عبدٌ حبشى مجعد فاسمعوا وأطيعوا ما قادكم بكتاب الله . إن دعيتم الى كراع فأجيبوا . إن يكن شيءمما تعالجون به شفاء ففى شرطة محجم ، أو شربة عسل، أو لذعة من نار تصيب ألما . إن أحببتم الله ورسوله فاصدقوا إذا حدثتم ، وأدوا الأمانة إذا أؤتمنتم ، وأحسنوا جوار نعم الله ، ومن جاوركم » .

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

إن عجز مالك عن المسكين ، أو دواؤك عن المريض ، أو حيلتك عن استخراج المسجون ، فلا تعجز عنهم رحمتك وعيادتك . إن قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر . إن شئت أن تعلم كيف صاحبك لك ، فانظر كيف كان لغيرك . إن سفه عليك فاحلم . إن قارضت الناس قارضوك ، وإن تركتهم لم يتركوك . إن شوورت فانصح ، وإن عدي عليك فاصفح . إن أردت أن تصل الى ذروة المجد فعليك بحفظ العهد . إن سكت الجاهل يكن عالماً . إن لم تمت لم تفت . إن كان فى الكلام بلاغة، فإن فى الصمت عافية . إن لم يساعدنا القضاء ساعدناه . إن يكن الشغل محمدة ، فإن الفراغ مفسدة . إن لم تصلح على تقدير الله عز وجل لم تصلح على تقديرك لنفسك . إن أحببت أن تطاع ، فلا تحمل مالا يستطاع . إن شئت أن تكون غنياً وتعيش هنياً مرضياً، فاقتن العلم .

ومن الشعر في هذا الفصل قولهم :

إن شئت أن تفوز بمطلوب الكرام غداً

فاسلك من العمل المرضي منهاجا

وأغلب هوى النفس لا يغررك خادعه
فكل شيء يحط النفس منهاجا

غيره :

إن خانك الدهر فكن عائذاً بالبيد والظلماء والعيس
ولا تكن عبد المنى إنه رءوس أموال الـم

غيره :

إن يحسدوني فإني لا ألومهم
قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

غيره :

فدام لي ولهم مابي وما بهم ومات أكثرنا غما بما يجد

غيره :

إن تأدبت يا بني صغيرا كنت يوماً تعد في الكبراء
وإذا ما أضعت نفسك الفيـ ـت كبيراً في زمرة الغوغاء
ليس عطف القضيب إن كان رطبا وإذا كان يابساً بسواء

غيره :

إن كنت متخذاً خليلا فتنق وانتقد الخليلا
من لم يكن لك منصفاً في الود فابغ به بديلا
وعليك نفسك فارعها واكسب لها خلقاً جميلا

غيره :

إن كان مقصدك الكمال فلا تكن أبداً بما تلتذه متهما
وانصب لإحصاء العلوم ورغبتها تنل السعادة والمفاز الأعظما
فأبوك آدم قبل آثر شهوة فإذا بها قد جرعته العلقما

غيره :

إن كان لايغنيك ما يكفيكا فكل ما في الأرض لا يغنيكا

غيره :

أن شئت أن يسود ظنك كله فأجله هذا السواد الأعظم

غيره :

إن أردتم حوائجاً من أناس فتقفوا لها الوجوه الصباحا

غيره :

إن تحلى الفتى بما ليس فيه فضح الإمتحان ما يدعيه

« فصل ما »

فمن الحديث الوارد عن النبي ﷺ :

« ما نزعت الرحمة إلا من شقي . ما رزق العبد رزقاًأوسع عليه من الصبر . ما نقص مال من صدقة . ما عفا الرجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً . ما هلك امرؤ عرف قدره . ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن . ما كان الرفق فى شيء قط إلا زانه . وما كان الخرق فى شيء قط إلا شانه ما زان الله عبداً بزينة أفضل من عفاف فى دينه وفرجه . ما عظمت نعمة اللهعلى عبد إلا عظمت مؤنة الناس عليه . ما من عبد إلا وله صيت فى السماء ، فاذا كان صيته فى السماء حسناً وضع له فى الأرض ، وإذا كان صيته فى السماء سيئاً وضع له فى الأرض . ما من عبد يسلك طريقاً يلتمس به العلم إلا سهل الله له طريقا إلى الجنة . ما من مسلم ينصر مسلماً إلا نصره الله ، وما من مسلم يخذل مسلماً إلا خذله الله . ما من مسلم اطلع على عورة فسترها إلا كان حقاً على الله أن يدخله فى ستره . ما من زينة تزين العباد بها أفضل من العقل . ما وقى المرء به عرضه فهو صدقة . ما أنكرتم من زمانكم فيما غيرتم من أعمالكم فإن يك خيراً فآها آهاه ، وإن يك شراً فواها واها . ما أهدى المرء المسلم لأخيه المسلم هدية أفضل من حكمة يزيده بها هدى ، أو يرده بها عن ردى . ماانتقصت جارحة إنسان إلا كانت زيادة فى عقله . ما المبتلي وإن اشتد بلاءه بأحق بالدعاء من المعافى الذى لايأمن البلاء »

من الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

ما ودك من أهمل ودك ، ولا أحبك من أبغض حبك . ما عصى الله كريم ، ولا آثر الدنيا على الآخرة حكيم . ما ذب عن الأعراض كالصفح والإعراض . ما يظهر الود المستقيم إلا من القلب السليم . ما الانسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة ، أو

بهيمة مهملة . ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر . ما يزيد متزيد فى أمره إلا لنقص يجده فى نفسه . ما أقرب النقمة من أهل البغي . ما كنت كاتمه عدوك ، فلا تطلع عليه صديقك . ما رأيت تبذيراً قط إلا وإلى جنبه حق مضيع . ما أنصفك من كلفك إجلاله . ومنعك ماله . ما أبين وجوه الخير والشر فى مرآة العقل إذا لم يصدها الهوى . ما الدخان على النار ، ولا العجاج على الريح بأدل من ظاهر الإنسان على باطنه . ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل . ما أعطى رجل من الدنيا شيئاً إلا قيل له خذه ومثله من الحرص . ما مات من أحيا علماً ، ولا افتقر من ملك فهما . ما عفا عن الذنب من يقرع به . ما أكثر من يعرف الحق فلا يطيعه . ما أكثر الدفاتر ، والعمل بها فاتر . ما ظفر من ظفر به الإثم . ما أحب أحد الرياسة إلا حسد وبغى وطغى وتتبع عيوب الناس ، وكره أن يذكر أحد بخير . ما أقبح التكبر عند الاستغناء ، وما أفضح الخضوع عند الحاجة . ما من شيء إلا وهو يحتاج الى فضوله يوماً ما إلا فضول الكلام مالا ينبغى أن تفعله إحذر أن يخطر ببالك . ما تواضع فى ولايته إلا من كبر عنها ، ولا تكبر فيها إلا من كبرت عنه . ما فجر غيور قط . ما بقى للشيخ من مناسك الحج إلا الوداع . ام أسهل الموت عمن أيقن بما بعده ، وأصعبه على من شك فيما بعده .

ومن الشعر في هذا قولهم :

ماذاق طعم الغني من لاقنوع له	**ولن تري قانعاً من عاش مفتقراً**
والعرف من يأته يحمد عواقبه	**ما ضاع عرف وإن أوليته حجراً**

آخر :

ماكنت أوفي شبابي كنه عزته	**حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع**
ماكان أقصر أيام الشباب وما	**أبغي حلاوة ذكراه التي يدع**
ما أوجه الشيب من عين وإن رمقت	**إلا لها نبوة عنه ومرتدع**

آخر :

ما هذه الدنيا لطالبها إلا بلاء وهو لا يدرى
إن أقبلت فسدت أمانته أو أدبرت شغلته بالفكر

آخر :

ما من رأى أدباً ولم يعمل به ويكف عن بعض الهوى بأديب
حتى يك بما تفهم عاملا من صالح فيموت غير معيب
ولقلما تغني إصابة واعظ وفعاله أفعال غير مصيب

آخر :

ما ميلق العالم إلا الذي يخبره العالم في الميلق
ذاك الذي يفضح أسرارهم فيظهر الفاجر والمتقي

آخر :

ما أرسل الأقوام في حاجة أمضي ولا أنفع من درهم
يأتيك عفوا بالذي تشتهي نعم رسول الرجل المسلم
ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها عرض للإقبال إدبارها

آخر :

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها وكيفما انقلبت يوماً به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فإن وثبت يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

آخر :

ما ضاق المرء أمر واستعد له عبادة الله إلا جاءه الفرج
ولا أناخ بباب الله ذو ألم إلا تزحزح عنه الهم والحرج

آخر :

ماأحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

آخر :

ما أنعم العيش لو أن الفتى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

آخر :

ماأقتل الحرص في الدنيا لصاحبه كسمج الكير ممن صيغ من طين

آخر :

ما يحرز المرء من أطرافه طرفا لا تخوفه النقصان من طرف

آخـر :

مـا كدت أفحص عن أخـى ثقـة ... إلا ذممـت عـواقـب الـفـحـص

آخـر :

ما كل ما يتمنى المـرء يدركه ... تجري الرياح بما لاتشتهي السفن

آخـر :

مـا في زمـانـك مـا يـعز وجـوده ... إن رمـتـه إلا صـديـق مـخـلـص

آخـر :

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ... ولا تجـود يـد إلا بمـا تجـد

آخـر :

ما بين طرفة عين وانـقلابـتـهـا ... يـقلب الأمـر مـن حـال إلـى حـال

آخـر :

مـا الـذل إلا تحـمـل المـنن ... فكن عزيزاً إن شـئـت أو فـهـن

آخـر :

مـا اسـتـقـامـت قـنـاة رأي إلا ... بعد أن عـوج المشيب قنـاتي

آخـر :

ما للطبيب يموت بالداء الذي ... قـد كان يشفى مثله فيما مضى

آخـر :

ما المـرء إلا كعيـر السوء يضربه ... سوط الزمان فلا يجري على السنن

آخـر :

مـا عـوض الصبـر امـرؤ إلا رأى ... مـا فـاتـه دون الـذي قـد عـوضـا

O O O

« فصـــل لا »

في الحديث الوارد عن النبى ﷺ :

لا يرد القضاء إلا الدعاء . لا يزيد فى العمر إلا البر . لا حليم إلا ذو تجربة . لا فقر أشد من الجهل. ولامال أعون من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، لا عقل كالتدبر ، ولا حسن كحسن الخلق ، ولا درع كالكف ، ولا عبادة كالتفكر ، ولا إيمان كالحياء والصبر ، لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له . لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار ، لا يغنى حذر عن قدر ، لا ينبغى لمؤمن أن يذل نفسه ، لايدخل الجنة عبد لا يؤمن جاره بوائقه ، لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً ، لا تحقرن من المعروف شيئاً ،لا تواعد أخاك معروفاً فتخلفه ، لا خير فى صحبة من لا يري لك مثل الذى ترى له ، لا أحد أحب اليه المدح من الله ، ومن أجل ذلك بعث الرسل ، لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، لا يوسع فى المجلس إلا لذي علم ولذي سلطان ، لاجزاء للنعمة مثل الشكر ، لا تنظروا إلى من هو فوقكم ، وانظروا إلى من دونكم ، فإنه أحرى أن لاتزدروا نعمة الله عليكم، لا يقبل دعاء من قلب لاه أو غافل، لا يكثر همك فإنه ما يقدر يكون ، وأما الرزق يأتيك ، لا ينبغى لعاقل أن يفسد نفسه بما يذهب عنه ولكن بحظ ما بقي له ، لا ترج السلامة لنفسك حتى يسلم الناس منك، لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، لا يستقبل العبد يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله، لا تبتذل عرضك فتشتم ، لا تظنوا بمؤمن سوءاً، لاتعصوا العاقل فتندموا، لا يجتمع الرجاء والخوف فى قلب مؤمن إلا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف ».

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

لا يوجد العَجول محموداً ، ولا المغضوب مسروراً ، ولا

الحر حريصاً ، ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا الملول ذا إخوان ، لا يفسد الظن عند صديق قد أصلحك اليقين له ، لا تحقرن شيئاً من الخير وإن كان صغيراً ، فإنك إذا رأيته سرك مكانه ، ولا تحقرن شيئاً من الشر إن كان صغيراً فإنك إذا رأيته ساءك مكانه ، لا تجهدن فيما لا يدرك فيه تريح من التعب ، ولا تدخرن المال لبعل عرسك ، ولا تظهرن انكار مالا عدة معك لدفعه ، ولا تلهينك قدرة عن كيد وحيلة ، ولا تتهاون بالأمر الصغير إذا كان يقبل النمو ، ولا تلاح رجلاً غضبان فإنك تغلقه باللجاج ، ولا ترده الى الصواب ، ولا تفرح بسقطة غيرك فإنك لا تدرى ما يحدث الزمان بك ، لا تضيعن حق أخيك إدلالا منك عليه فتبقى بلا أخ ، لا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك ، لا تطمع فى كل ما تسمع ، لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فإن الناس لا يسألون فى كم فرغ منه وإنما يسألون عن جودة صنعته ، لا تطلبن الحاجة الى كذوب فانه يقربها وإن كانت بعيدة ، ويبعدها وإن كانت قريبة ، ولا الى أحمق فإنه يريد نفعك فيضرك ، ولا إلى من له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته ، لا تمازحوا فيستخف بكم ، ولا تدخلوا الأسواق فتدق أخلاقكم ، ولا تترجلوا فى العساكر فيزدريكم أكفاؤكم ، لا تستنصح مأثوراً وإن استنصحته ، ولا تبارز محرجا وإن كنت أعد منه ، ولا تشاور معدماً وإن وثقت بمودته ، ولا تلابس ضنيناً ، وإن كنت ضده ، لا فائدة أشرف من التوفيق ، ولا ميراث أنفع من الأدب ، ولا سجية أكرم من حسن العبادة ، لا تعمل شيئاً من الخير رياء ، ولا تتركه حياء ، لا تعد الشحيح أميناً فإنه لا عفة مع الشح ، ولا تعد الكذاب حراً فإنه لا مروءة مع الكذاب، لا تحدث من تخاف تكذيبه ، ولا تسأل من تخاف منعه ، ولا تعد بما لا تقدر على إنجازه ، ولا تبد من العيوب ما ستره علام الغيوب ، لا تبرم أمراً حتى تفكر فيه فإن فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيئاته ، لا تلومن من أساء بك الظن إذا جعلت نفسك هدفاً للتهمة ، لا تنكح خاطب

سرك ، لا تسرع الى أرفع موضع فى المجلس فالموضع الذي ترفع اليه خير من الموضع الذي تحط عنه ، لا تذكر الميت بسوء فتكون الأرض أكتم عليه منك ، لا حسرة أعظم من نعمة أسديت الى غير ذى حسب ولا مروءة ، لا تصطنع من خانه أصل ، ولا تصحب من فاته العقل لأن من لا أصل له يغش من حيث ينصح ، ومن لا عقل له يفسد من حيث يصلح ، لا تبت على غير وصية ، وإن كنت من جسمك فى صحة ، ومن عمرك فى فسحة ، فإن الدهر خائن ، وكل ما هو كائن كائن ، لا تترك الأمر مقبلا وتطلبه مدبراً ، فإن ذلك من ضعف العقل وقلة الرأى ، لا تمكن الناس من نفسك بطول المجالسة، فإن أجرأ الناس على السباع أكثرهم لها معاينة ، لايمنعنك من فعل الحسنة من يزدريها ، لا تُنال الراحة إلا بالتعب ، ولا تُدرك إلا بالنصَب ، لا تؤخر عمل يومك لغدك ، لا يدرك الضباب بالخضاب ، ولا الغنى بالمنى ، ولا العلم بالادعاء ، لا تلومن أحداً على ما يهوى فإن لومك له إغراء ، لا يقوم عز الغضب بذل الإعتذار ، لا جود مع تبذير ، ولا بخل مع اقتصاد ، لا تخرج الغيبة إلا من نفس معيبة ، لا تتكلف ما كفيت فتضيع ما لاتعمل عملا لا ينفعك ، لا كنز أنفع من العلم ، لا مال أربح من الحلم ، ولا كسب أبلغ من الأدب ، ولا قرين أشين من البخل، ولا رسول أعدل من الخلق ، ولا خليل أنصح من الصدق ، ولا غنى أشفي من الجمع ، ولا ذليل أذل من الفقر ، ولا عبادة أحسن من الخشوع ، ولا حياة أطيب من الصحة ، ولا حارس أحفظ من الصمت ، ولا غائب أقرب من الموت ، لا تشاتم رجلا ، ولا ترد سائلا ، فإن هو كريم تسد خلته ، أو لئيم تشترى عرضك منه ، لا تقطع أخاك على ارتياب ، ولا تهجره دون استيعاب ، لا يعد الغنم غنما ، إذا ساق غرما ، ولا الغرم غرماً إذا ساق غنما ، لا تحقرن الرأى الجليل ، وإن أتاك به الرجل الحقير ، فإن اللؤلؤة الفائقة لا يستهان بها لهوان من أخرجها ، لا خير فى لذة تعقب ندماً ، لا يحملنك الخروج من أمر تخلصت منه على الدخول فى أمر لعلك لا تتخلص منه

لا تكن ممن يلعن إبليس فى العلانية ، ويطيعه فى السر.

ومن الشعر في هذا الفصل قولهم :

لا ييأس المرء أن ينجيه   الناس إذا جاء بغتة عطبه
يسرك الشيء قد يسوؤكم   نوه يوماً بخامل لقبه

آخر :

لا تحقر المرء إن رأيت به   دمامة أو رثاثة العلل
فالنحل لا شك في ضئولته   يشتار منه الفتي جنى العسل

آخر :

لا تمدحن امرىء حتى تجربه   ولاتذمنه من غير تجريب
فرب خدن وإن أبدى بشاشته   يضحي على خدنه أعدى من الذيب

آخر :

لا تتبع النفس كل فائتة   في الله من كل فائت عوض
واعمل لإخوانك غير منخدع   فدنياك هذه عرض
إن صح أمر من الأمور بها   لابد أن يصيبه مرض

آخر :

لا تكره المكروه عند حلوله   إن العواقب لم تزل متباينة
كم من يد لا يستقل بشكرها   لله في طي المكاره كامنة

آخر :

لا تذهبن في الأمور فرطا   لا تسألن إن سألت شططا
وكن من الناس جميعاً وسطا

آخر :

لا تحقر أمرء إن كان ذا ضعة   كم من وضيع الأقوام قد رأسا
فرب قوم حقرناهم فلم نرهم   أهلاً لخدمتنا صاروا لنا رؤسا

آخر :

لابد للعسر من يسر يعقبه   فخاب سعي ضعيف ضاق مذهبه
هون عليك وكن للخير مرتقبا   فابعد الأمر إن فكرت أقربه
ليس الحريص علي رزق بمطلبه   كمن تيقن أن الرزق يطلبه

آخـر :

لا تغبطن عامل السلطان في ولايـة قـد أذنت بـحـتـفـه
تـراه يحـكـي دهـره سـفـيـنـة في البحر لا أمن لهـا من خوفه
إن أدخلت من مائه في جوفها أدخلـهـا ومـاؤهـا فـي جـوفـه

آخـر :

لا شيء أسرع من الزمان فـلا يغررك منه بتأميل البقـا خدع
إذا نظرت انصرام الدهرمثل لي إن السنين شهور والشهور جمع
لاتصلح الناس فوضى لا سراةلهم ولا سـراة إذا جهـالـهـم سـادوا

آخـر :

لا تعـرفن أحـداً فلست بواحـد أبـداً أضـر عـليك ممـن تـعـرف
أمـا نظـيرك فهو حـاسد نعمـة أو دون ذاك فـذو سـؤال يلحف
أو فوق ذلـك حـال دون لـقـائه بـواب سـوء والـيـفـاع المشرف

آخـر :

لا تصحب الكسلان في حاجاته كـم صـالـح بـفـسـاد آخـر يـفـسد
عدوى البليد إلى الجليد سريعة كـالـنـارتوضـع في الرماد فتخمد

آخـر :

لا تـدخـلـنـك هـجـرة مـن سـائـل فـلـخـير دهرك أن ترى مـسـئـولا
لا تجـبـهـن بـالـرد وجـه مـؤمـل فـبـقـاء عزك إن تـري مـأمـولا
يـلـقـى الكريم فـيـستدل ببشره ويري العبوس علي اللئيم دليلا
واعـلـم بـأنـك لا محـالـة صـائـر خـبـراً فكن خـبـراً يـروق جـمـيـلا

آخـر :

لا تـلـم المرء علـي فـعـلـه وأنـت مـنـسـوب إلـى مـثـلـه
مـن ذم شـيـئـاً وأتـى مـثـلـه فـإنـمـا يـزري عـلـى عـقـلـه

آخـر :

لا تضرعن لمخلوق على طمع فإن ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله ممـا في خزائنه فإنما الأمر بين الكاف والنون

آخـر :

لا تـعـجـبن لأحـمـق نـال الـغـنـى من غـيـر كده
ولـعـاقـل مـا يـسـتـقـل فـكـلـهـم يـسـعـى بـجـده

لا تـأمـن الـدهـر الخئـو ... ن وخـف بـوادر آفـتـه
فـالمـوت سـهـم مـرسـل ... والـعـمـر قـدر مـسـافـتـه

آخـر :

لا تـرسـلـن مـقـالـة مـشـهـورة ... لا تستطيع إذا مضت إدراكهـا
لا تبـدين نميـمـة أنبئتهـا ... وتحـرزن من الذي أنبـاكهـا

آخـر :

لا تجـلـسـن بـبـاب مـن ... يـأبـى عـلـيـك دخـول داره
وتقـول حاجتي اليـ ... ـه يـعـوقـهـا إن لـم إداره
واتـركـه واقـصـد ربـهـا ... تـقـضـى ورب الـدار كـاره

آخـر :

لا تمـزحن فان مزحت فـلا يكن ... مزحاً تضاف به إلى سوء الأدب
واحذر ممـازحـة تعـود عداوة ... إن المزاح علي مقدمة الغضب

آخـر :

لا تغـتـرب عـن وطـن ... واذكـر تصـاريف الجـوى
أمـا تـرى الـغـصـن إذا ... مـا فـارق الأصـل ذوى

آخـر :

لا تشاور من ليس يصفيك وداً ... إنـه غـيـر سـالـك بـك قـصـداً
واستـشر فـي الأمور كـل لـبـيـب ... ليس يألوك في النصيحة جهداً

آخـر :

لا تخـف بـؤسـاً ولا حـرجـاً ... وانـتـظـر مـن سـيـد فـرجـا
وادعـه ثـم ارج رحـمـتـه ... لم يجف عبـد دعـا فـرجـا

آخـر :

لا تقنطـن فإن اللـه ذو كـرم ... وما عليـك إذا تلقـاه من بأس
اثـنـتـان فـلا تـقـربـهـمـا ... الشرك بالله والإضرار بالناس

آخـر :

لا تيأسـن و إن تصعبت المنى ... فالصعب قـد يرتاض بعد نفـار
قد تصغر الأشياء وهي كبيرة ... وتهون وهي عظيمة المقـدار

آخـــر :

لا تحسـب النـاس سواء متـى ... قـد اشـتهوا فالنـاس أطـوار
وانظـر إلى الأحجار في ضمنها ... مــاء ويعـض ضـــمنـه نـار

آخـــر :

لا تـغـضـبن عـلـى امـــرىء ... أصبحـت محـتـاجـــا إلـيـــه
واغضب عـلى الـطمـع الـذي ... أرجـــاك تـبـغـي مـا لـديـه

آخـــر :

لا تسأل المرء عـن خـلائقـه ... في وجـه شـــاهـد من الخـــبر

آخـــر :

لا يبـلـغ الأعـــداء من جاهـل ... ما يبـــلغ الجــاهل من نفســه

آخـــر :

لا تجد بـالعطاء في غيـر حـق ... ليس في منع غير ذي الحق بخل

آخـــر :

لاتنكرى عطـل الكريم من الغنى ... فالسيل حـرب للمـكان العــالي

آخـــر :

لا تـعـدن للـزمان صـــديـقـا ... وأعـــد الـزمـــان للأصـــدقاء

آخـــر :

لا ترج شـيئا خالصا لـك نفعه ... فالغيث لا يخـــلوا من العيث

آخـــر :

لايملاء الأمر صدري قبل موقعه ... ولا يـضيـق به ذرعـي إذا وقـعـا

آخـــر :

لا أركب الأمـر تريـديـنـي عواقبه ... ولا يعـاب به عرضي ولا دينى

آخـــر :

لا عذر للـشجـر الذي طابت لـه ... أعـــراقـه إلا بـطـيب جنـــاه

آخـــر :

لا تـطلبـن معيشـة بمـذلـة ... فليـأتينـك رزقــك المقـــدور

آخــر :

لا تنـه عـن خلق وتـأتي مثـله ... عـار عـليك إذا فـعلـت عظيــم

آخــر :

لا يشـبع النفس شيء حين تحرزه ... ولا يزال لهـــا في غــيره وطـــر

آخــر :

لا أسأل الناس عما في ضمائرهم ... ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني

آخــر :

لا تصحبن رفيقـاً لسـت تأمنــه ... بـئـس الـرفـيـق غـــيـر مـأمـون

آخــر :

لا تجزعـن عـلي ما فات مطلبـه ... فلست عمرك للمــاضي بمرتجــع

آخــر :

لا تنطقن بمـــا كرهت فـريمـــا ... نطق اللســان بحـادث فيكون

آخــر :

لا تترك الحزم في شيء تحــاذره ... فإن سلمت فمافي الحزم من بأس

O O O

« فصل إياك »

فمن الحديث الوارد عن النبى ﷺ :

« إياك وما يعتذر منه . إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً . إياك ومشاورة الناس فإنها تظهر العرة ، وتدفن الغرة . إياك واللجاجة فإنها ندامة . إياك والمجادلة فإنها تحط الأعمال . إياك والمعصية إنها من سخط الله . إياك والمزاح فإنه يذهب بهاء الوجه . إياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة . إياك والمراء فإنه لا تعقل حكمته ، ولا تؤمن فتنته . إياك أن تطيعَ آثماً . إياك أن تعق أباك . إياك والكلام فيما لا يعنيك . إياك والطمع فإنه فقر . إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب »

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

إياك والدالة فإنها تفسد الحرمة. إياك وشرب الدواء ما حملتك الصحة . إياك والجزع عند المصائب فإنه مجلبة للهم ، وسوء ظن بالرب ، وشماتة للعدو . إياك والبخل فإن البخل خازن لأعدائه . إياك والسلامة فى طلب الأمور فتقذفك الرجال خلف أعقابها . إياك والعجز فإنه أوطى مركب . إياك والشفيع المهين فإنه أضعف وسيلة . إياك والإنفاق مع الإخفاق . إياك ونسيان الحدثان مع أمان الزمان . إياك وإخلاف العدة مع إسعاف الجدة . إياك وسوف مع الخوف . إياك والإسترسال مع الاسفال . إياك والطعام مع الطعام . إياك والإغفال مع الإغفال . إياك والسكنى مع ذوى الشحناء ، فخيرك فيهم يطوي ، وشرك يروي إياك والإخوان الخوان ، الطاغين عليك ، الضاحكين اليك ، الحافظى هفواتك أيام مصادقتك عدة لأيام مفارقتك . إياك والسئلة فإنها آخر كسب الرجل . إياك والغضب فإنه يضطرك الى سوء الإعتذار. إياك ومخاصمة اللجوج الحجوج . إياك ومعاداة الرجال فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم . إياك وخدمة من شبع من الرياسة وملَّ من السياسة فإنه يري كبير ما تصنعه فى حقه صغيراً

وصغير ما يصنعه فى حقك كبيرا . إياك والتسويف فإنك بيومك ولست بغدك ، فإن كان غد لك فكن فيه وإن لم يكن لك لم تندم على ما فرطت فيه . إياك والرأي الفطير . إياك والمقام ببلد ليس فيه نهر جار ولا سوق جامعة ولا سلطان عادل .إياك وعلم النجوم فإنه يدعو الى الكهانة . إياك والكبر وليكن مما تستعين به على تركه علمك بالذي كنت منه والذى تصير اليه . إياك وإخوان السوء فإنهم يحزنون من وافقهم ويخونون من صادقهم . إياك والعجلة فإن العرب كانت تكنيها أم الندامة . إياك ومفارقة الإعتدال فإن المسرف مقصر . إياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن وتورث المحائن . إياك ومشاورة شاب معجب برأيه أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه . إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره . إياك وكل جليس لا يفيدك علماً ، ولا تصيب منه خيراً . إياك أن تكون ممن يقول بالعقل ، ويعمل بالهوى . إياك وصاحب السوء فإنه يحسن منظره ويقبح مخبره » .

ومن الشعرفي هذا الفصل قولهم:

إياك من زلل اللسان فإنما عقل الفتى في لفظه المسموع
تواضع الانسان في نفسه أشرف للنفس وأسمى لها

آخر :

إياك أن تحقر الرجال فما يدريك ماذا تكنه الصدف
سل الكريم الجواد باقية يوماً وإن كان مسه العجف

آخر :

إياك والدنيا الدنية إنها دار متى سالمتها لم تسلم
تجنب الظلم الذي هلكت به أمم تود لو أنها لم تظلم

آخر :

إياك أن تعظ الرجال وقد أصبحت محتاجاً إلى الوعظ

O O O

« فصل إذا »

فمن الحديث الوارد عن النبى ﷺ :

إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه. إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمتى كما ينتقى أحدكم الرطب من الطبق . إذا أعطى الله أحدكم خيرا فليبدأ بنفسه، وأهل بيته . إذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم، حتى ينفذ قضاؤه . إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة . إذا اشتكى المؤمن أخلصه ذلك من الذنوب كما يخلص الكير الخبث من الحديد . إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته . إذا خفت الله خوف منك كل شىء ، وإذا لم يخف الله خوفه الله من كل شيء . إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه فى الدين . إذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه رشده . إذا أراد الله بعبد خيراً عسله ، وهوأن يذكر بذكر جميل . إذا يسر أحدكم على معسر يسر اللهعليه فى الدنيا والآخرة . إذا استنصحك أخوك فانصح له . إذا شردك الهوي عن طاعة الله فاكرهه بذكر الموت . إذا تمنى أحدكم فلينظر ما تمنى فإنه لا يدرى ما كتب له من أمنيته . إذا جاءكم الزائر فاكرموه . إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه إذا تثبت أصبت أو كدت تصيب ، وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطىء . إذا تضايقت المجالس فبين كل كريمين مجلس . إذا أحب الله عبداً حماه من الدنيا كما يحمى أحدكم مريضه الماء » .

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

إذا عثر عاثر فاحمد الله أن لا تكونه . إذا اردت أن تفتضح فمر من لا يمتثل أمرك . إذا لم تقدر أن تعض يد عدوك فقبلها . إذا طلبت حاجة الى ذى سلطان فأجمل فى الطلب اليه. إذا أحدث العدو صداقة لعلة ألجأته اليك فمع ذهاب العلة

رجوع العداوة . إذا كانت مغالبة القدر مستحيلة فمن أعوان نفوذه الحيلة . إذا هدأ غضبك فتكلم . إذا أصابتك مصيبة فاعلم أنه قد يكون أجل منها فلتهونن عليك مصيبتك . إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلام عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه ضاعت الأمور . إذا تغافل أهل التفضل هلك أهل التحمل . إذا عدم الإنسان العقل والتوفيق لم يصلح له شيء من أمره . إذا استدناك السلطان فلا تفشين له سراً ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا يجرين عليك كذباً. إذا أرسلت الهدية أتتك الحاجة مقضية . إذا ظلمك أحد فارض بالله منصفاً فإنه أشد انتصاراً لظلامتك . إذا أحببت فلا تفرط ، وإذا أبغضت فلا تشطط . إذا أردت أن تعلم خطأ معلمك فجالس غيره . إذا أردت أن تعلم قدرنعمة الله عليك فغمض عينيك . إذا انقطع رجاؤك من صديقك فألحقه بعدوك . إذا أقبلت الدنيا على الإنسان أعطته محاسن غيره . وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه إذا أردت أن يصلح لك يومك فافتحه بصدقة واختمه بعارقة . إذا أكرمك الناس لمال أولسلطان فلا يعجبنك ذلك فإن زوال الكرامة بزواله . إذا استقمت فى جميع أمرك فلا تبال بمقال غيرك . إذا رغب الزيارة الإنسان من حسن من الأحوال . إذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها سريعاً . إذا احتاج اللئيم تخاضع . وإذا استغنى تجبر وتكبر . إذا رمت إذاية غيرك ، فتصور إذايته لك . إذا ظلمت من دونك فلا تأمن عقاب من فوقك . إذا ألم الألم فالمعالجة بالمعالجة . إذا أتاك الخصم ، وقد فقئت عينه فلا تحكم له حتى يأتى خصمه فلعله قد فقئت عيناه جميعا . إذا أردت أن تعلم ما للعبد عند ربه فانظر إلى ما يتبعه من حين الثناء . إذا أراد الله أن يذل عبده جعل الدين قلادة فى عنقه . إذا إلتذ الوزير بغير الرأى الجزل ومال إلى الهزل فقد تعرض للعزل . إذا وليت سلطاناً فابعد عنك الأشرار فان جميع عيوبهم منسوبة اليك . إذا أكثرت العتاب كررت العذاب . إذا التبست عليك

المصادر ففوض الأمر إلى القادر . إذا ازدحم الجواب عمي الصواب . إذا أردت أن تعلم ما يغلب على الإنسان من قوي الخير والشر فاستشره يدلك رأيه عليه أصح دلاله . إذا احتجت الى المشاورة فشاور ذي الحنكة والتجربة من ذوى طبقتك . وصناعتك إذا مكنت عدوك من أذنك فقد تعرضت للغرق فى بحره . إذا أسأت فاندم . إذا أدبر الأمر كان العطب فى الحياة . إذا ابتلى المرء أتاه الشر يطلبه من كل ناحية . إذا استطالت أيدي العمال يحيق الإختلال ببيوت المال والأموال . إذا اضطررت الى الكذاب فلا تصدقه ولا تعلمه بأنك تكذبه فينتقل عن وده ولا ينتقل عن طبعه . إذا اجتمع للرئيس المجد والجد والجود فناهيك به إذا تحكم سلطان الهوى هدم أركان القوى . إذا وافق هواك رشادك فقد أحرزت معادك . إذا تغير السلطان تغير الزمان إذا تم العقل نقص الكلام . إذا تزايد الانسان فضلا فى نفسه انتقم من عدوه . إذا تواترت على المرء العلل ظهر فى جسمه الخلل. إذا جاء النص بطل القياس . إذا جهل عليك الأحمق فليس له صلاح إلا الرفق . إذا حان القضاء ضاق الفضاء . إذا رأيتم النعم مستقبلة فبادروها بالشكر قبل حلول الزوال .إذا رأيت الشيب متزايداً فلتكن للآخرة متزوداً . إذا رأيت الشر يتركك فاتركه . إذا فتحت بينك وبين أحد بابا من المعروف فاحذر أن تغلقه ولو بالكلمة الجميلة . إذا رقت حال الإنسان هان على الإخوان . إذا رضي المرء بالميسور ضرب بينه وبين الأنكاد سور . إذا رأيت من يحسدك وأردت أن تسلم من شره فعم عليه أمورك . إذا رأيت شراً بعدوك فاستعرض أخلاقه فإنك لا تجدها بأسرها كاملة ولابد من أن يلحقها النقص فادخل اليه من عورته فانه لا يفوتك .إذا أنجز رجل ما وعد به من معروف فاحرز فضيلتي الجود والصدق . إذا بلغ المرء فى الدنيا فوق مقداره تنكرت أخلاقه للناس . إذا أبصرت العين الشهوة عمي القلب عن الإختيار .إذا زادك السلطان إكراماً فزده إعظاماً . إذا زللت

فارجع . إذا رأيت إنساناً قد أخطأ فلا تعلمه فإنه يتعلم منك ويغضب عليك . إذا طلب رجلان أمراً ظفر به أعظمهما مروءة . فإن استويا فى المروءة فأكثرهما أعوانا ، فإن استويا فى الأعوان فأسعدهم جداً . إذا طال الأمل فى الدنيا قصر العمل فى الآخرة . إذا ظهر الحيف فى الأمم انتظر السيف من أمم . إذا عدل السلطان فى رعيته بلغ فى مناويه أقصى أمنيته .إذا غلبتك امرأتك على الأمر فجاهدها إنها عدوك . إذا فسد الزمان كسدت الفضائل ودرت ونفقت الرذائل . إذا فاتك العلم فالزم الصمت . إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر المقدرة عليه . إذا قيض الله للرجل إمرأة كثيرة الحياء جميلة المحيا مساعدة فى جميع الأشياء معينة على أمور الدين والدنيا فقد استطاب المحيا .

إذا قبح السؤال حسن المنع . إذا سألت فاسأل الله فإنه أقرب من ناجيت وأكرم من راجيت . إذا شاورت العاقل صار نصف عقله لك . إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه . وإذا طلبهم فاهرب منه . إذا وجدت ما فاتك لا تأسف على ما فاتك . إذا وليت ولاية فليكن حظ أخيك منها الكامل الكافي ونصيبه من ثمرها الوافر الواقى . إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر . وإذا كان جائراً فله الوزر وعليك الصبر . إذا كنت فى غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل .

إذا كان الصبي الحياء والرهبة طمع فى رشده . إذا كان الغدر فى الناس طبعاً فالثقة بكل واحد عجز وإذا كان الموت بكل أحد نازلاً فالطمأنينة إلى الدنيا حمق . إذا كانت الحظوظ بالجدود فما الحرص . وإذا كانت الأمور ليست بدائمة فما السرور . وإذا كانت الدنيا غدراة فما الطأنينة .

إذا علمت فلا تذكر من دونك من الجهال ، واذكر من فوقك من العلماء . إذا لم يستطع الرجل نيل عظيم إلا باحتمال صغير كان حقيقاً باحتماله . إذا لم تربحك تجارة فأعدل عنها إلى غيرها . إذا لم يكن للإنسان فى نفسه خير لم يكن للناس فيه خير. إذا مدحت شيئاً فاختصر. وإذا ذممت

فاقتصر . إذا مسك الضر فالله يكفيك ، وإذا شفك السقم فالله يشفيك إذا نزل البلاء فالدعاء يسد بابه ويكف غيابه ويقطع أسبابه . إذا صلحت الساقية صلحت مجاريها إذا صادف معروفك محله ينبغى لك أن تعد ذلك من نعم الله عليك . إذا لم يكن لك ما تريد فأرد ما يكون .إذا لم يكن ففيم الكد ؟. إذا زرت منزل أخيك فلم تأكل فيه ولم تشرب فإنما زرت قبره . إذا فضلت محاسن الرجل مساوية فذلك الكامل وإذا استوتا فهو المتماسك ، وإذا كانت المساوىء أكثر فهو المتهتك . إذا رأيت الرجل يمدحك بما ليس فيك فلا تأمن منه أن يذمك بما ليس فيك . إذا تشاكلت الأخلاق كثر النفاق إذا دخل أحدكم بيتاً فليجلس حيث أجلسه أهله . إذا قلت لصديقك قم فقال إلى أين فليس بصديق . إذا كان للمحسن من الجزاء ما يقنعه المسىء للحق رهب . إذا جلست فى مجلس ولم تكن المحدِث ولا المحدث فقم . إذا أحسنت القول فأحسن الفعل ليجتمعَ معك مزية اللسان وثمرة الإحسان . إذا أردتم أن تعلموا من أين أصاب الرجل المال فانظروا فيم ينفقه فان الخبيث ينفق فى السرف .

ومن الشعر في هذا الفصل قولهم :

إذا ما كنت قد أوتيت حالاً ... من الدنيا سعيت لنيل حال
فأنت طوال دهرك في عناء ... كثير السير في طلب المحال

آخر :

إذا ما شئت أن تدعى حكيما ... وتلحق بالرجال ذوي الكمال
فلا تغتر في الدنيا بشيء ... ولا تخطر لك الدنيا ببال

آخر :

إذا ما أخ تاه في ثروة ... وكان وصولا بإملاقه
أقام لنا لؤم أفعاله ... شهيداً علي لؤم أعراقه

آخر :

إذا اعتذر المسىء اليك يوماً ... من التقصير عذر فتى مقر

فصنه من عقابك واعف عنه — فان الصفح شيمة كل حر

آخر :

إذا نالك الدهر بالحادثات — فكن رابط الجأش صعب الشكيمة
ولا تهن النفس عند الخطوب — إذا كان عندك للنفس قيمة
فوالله ما لقي الشامتون — بأحسن من صبر نفس كريمة

آخر :

إذا الحادثات بلغن المدى — وكادت تضيق بهن المهج
وحل البلاء وقل الوفاء — فعن التناهي يكون الفرج

آخر :

إذا قل مال المرء قل صديقه — وضاق به عما يريد طريقه
وقصر طرف العين عنه كلالة — وأصرع فيما لا يحب شقيقه
وذم اليه خدنه طعم عوده — وقد كان يستحليه حين يذوقه

آخر :

إذا كنت ذا مال ولم تك منفقاً — فأنت إذا والمقترون سواء
علي أن للأموال يوما تباعة — على أهلها والمقترون براء

آخر :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً — صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه — مقارف ذنب تارة ومجانبه

آخر :

إذا تخلفت عن صديق — ولم يعاتبك في التخلف
فلا تعد بعدها إليه — فإنما وده تكلف

آخر :

إذا حيوان كان طعمةضده — توقاه كالفار الذي يتقي الهرا
ولا شك أن المرء طعمة دهره — فما باله يا ويحه يأمن الدهرا

آخر :

إذا ما كنت متخذاً رسولا — فلا ترسل سوى حر نبيل
فإن النجاح في الحاجات يأتي — لطالبها على قدر الرسول

آخر :

إذا كان دوني من بليت بجهله — أبيت لنفسي أن أقابل بالجهل

وإن كنت أدنى منه في الحلم والحجا عرفت له حق التقدم والفضل
وإن كان مثلي في محل من الحجا أردت لنفسي أن أجل عن المثل

آخـر :

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقي الشامتون كما لقينا

آخـر :

إذا خدمت الملوك فالبس من التوقي أشد ملبس
وادخل إذا ما دخلت أعمى واخرج إذا ما خرجت أخرس

آخـر :

إذا كنت في حاجةمرسلا رسولا وأنت بها كلف مغرم
فارسل حكيماً ولا توصيه وذاك الحكيم هو الدرهم

آخـر :

إذا أذن الله في حاجة أتاك النجاح بها يركض
فإن منع الله من كونها فلابد من عارض يعرض

آخـر :

إذا ماشئت أن تحيا سعيداً وتلقى الله بالعمل الكريم
فلا تصحب سوى الأخيار واقطع زمانك في مدارسة العلوم

آخـر :

إذا ما اصطفيت أمرأ فليكن شريف النجار زكي الحسب
فنذل الرجال كنذل النبا ت لا للثمار ولا للحطب

آخـر :

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها ما تدري السكون متى يكون

آخـر :

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي إن ترددا
ولا تمهل الأعداء يوماً بقدرة وبادرهم أن يملكوا مثله غدا

آخـر :

إذا كنت جماعاً لمالك ممسكاً فأنت عليه خازن وأمين
تؤديه مذموماً إلى غير حامد فيأكله عفواً أنت دفين

آخـــر :

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ... ولم ينهها تاقت الي كل باطل
وساقت إليه الإثم والعار بالذي ... دعته اليه من حلاوة عاجل

آخـــر :

إذا اجتمع الإسلام والقوت للفتى ... وأضحي صحيحاً جسمه وهو في أمن
فقد ملك الدنيا جميعاً وحازها ... وحق عليه الشكر لله ذ المنن

آخـــر :

إذا استوحشت من رجل ... فكن منه على وجل
ولا يغررك ظاهره ... فباطنه على دخل
فقد تلقى حمام المو ... ت بين السم والعسل

آخـــر :

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق

آخـــر :

إذا أظمأك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعاً وريا
فكن رجلا رِجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا
أبياً لنائل ذي ثروة ... تراه بما في يديه أبياً
فإن إراقة ماء الحياة ... دون إراقة ماء المحيا

آخـــر :

إذا لم يكن للمرء شيخ يواسه ... ولا هو ذو علم بآفات نفسه
فذاك غبي حائر في طريقه ... يروح ويغدو في عمايات لبسه

آخـــر :

إذا ما عدوك يوماً سما ... إلى حالة لم تطق نفضها
فقبل ولا تأنف كفه ... إذا أنت لم تستطع عضها

آخـــر :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا ... أصبت حليماً أو أصابك جاهل

آخـــر :

إذا لزم الناس البيوت وجدتهم ... عماة عن الأخبار خرق المكاسب

آخــر :

إذا لـم تـستـطـع شيـئـاً فـدعــه وجـاوزه إلـى مــن تــســتـطـيـع

آخــر :

إذا وتـرت امـرأ فـاحـذر عداوتــه من يزرع الشوك لايحصد به عنبا

آخــر :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت لـه عن عدو في ثـيـاب صديق

آخــر :

إذا مـا مـات بعضك فـابك بعضـاً فـإن الـبـعـض مـن بـعـض قـريـب

آخــر :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فــكـل رداء يـرتـديـه جـمـيـــل

آخــر :

إذا مــا أهــان امــرؤ نــفــســه فـــلا أكـرم الـلــه مــن أكـرمـه

آخــر :

إذا مـحـاسـنـي الـلاتـي أدل بـهـا كـانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذ

آخــر :

إذا شــجــر الــمـودة لــم تـجـــده فـغـيـث الـبـر أسـرع فـي الـجـفـاف

آخــر :

إذا أنـت أكـرمـت الـكـريم مـلـكـتـه وإن أنـت أكـرمـت الـلـئـيـم تـمـردا

آخــر :

إذا لـعـب الـثـقـيـــل تـوزعـتـه أكـف الـقـوم خـف عـلـى الـرقـاب

آخــر :

إذا مــر بـى يـوم ولـم أتـخـذ يــداً ولم أستفد علماً فما هو من عمري

آخــر :

إذا كنت تبغي شيمة غير شيمة جبلت عليها لم تطعك الشرائب

آخــر :

إذا الـمـرء أعـيـتـه الـمـروءة نـاشـئـاً فـمـطـلـبـهـا كـهــلا عـلـيـه شـديـد

آخــر :

إذا أنت لم تزرع وألفيت حاصداً   ندمت على التفريط في زمن البذر

آخــر :

إذا أبرم المولى بخدمة عبده   تجنى له ذنبا وإن لم يكن ذنب

آخــر :

إذا أنت حملت الخئون أمانة   فإنك قد أسندتها شر مسند

آخــر :

إذا ما العيش عاد اليك ذلا   فإن العز في الموت المريح

آخــر :

إذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائباً   إليك ولم تغفر له فلك الذنب

آخــر :

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى   تقلب عريانا وإن كان كاسيا

آخــر :

إذاأنت لم تعص الهوى قادك الهـ   ـوى إلى بعض مافيه عليك مقال

آخــر :

إذا ما بدت من صاحب لك زلته   فكن أنت محتالاً لزلته عذر

آخــر :

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً   وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع

آخــر :

إذا أنت جاريت السفيه كما جرى   فأنت سفيه مثله غير ذي حلم

آخــر :

إذا ما أجبت الناس في كل دعوة   دعتك إلى الأمر القبيح المحرم

آخــر :

إذا كنت في نعمة فارعها   فإن المعاصي تزيل النعم

آخــر :

إذا استغنيت عن شيء فدعه   وخذ ما أنت محتاج إليه

آخـر :

إذا لـم يـأتك المعروف طـوعـاً   فـدعــه فـالـتـنـزه عـنــه مـــال

آخـر :

إذا أنت لـم تـنـفـع بـودك أهـــلـه   ولـم تـنك بـالـبـؤسي عدوك فابعد

آخـر :

إذا ساء فعـل المرء ساءت ظنونه   وصـدق مـا يـعـتـاده مـن تـوهـم

آخـر :

إذا كـان غـيـر اللـه لـلـمـرء عدة   أتـتــه الرزايا مـن وجوه الـفـوائـد

آخـر :

إذا كنت في قـوم فصاحب خيارهم   ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

آخـر :

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه   فمـــا فات منهـــا فليس بضـــائر

آخـر :

إذا المرء لـم يحببك إلا تكـرهـا   بـدا لـك مـن أخـلاقـه مـا يـغـالـبـه

آخـر :

إذا اشـتـد عسراً فـارج يـسراً فـإنـه   قضى اللـه أن العسر يتبعه اليسر

« فـصـل مـن »

فمن الحديث الوارد عن النبى ﷺ :

« من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله . من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين . من يرد الله به خيراً يجعل خلقه حسناً . من يغفر يغفر الله له ومن يعف يعف الله عنه . من تأنى أصاب أو كاد ، ومن عجل أخطأ أو كاد . من يزرع خيراً يحصد رغبة ومن يزرع شراً يحصد ندامة . من أيقن بالخلف جاد بالعطية . من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله . من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يديه . من سره أن يسلم فليلزم الصمت . من رزق من شىء فليلزمه . من لم يشكر الكثير . من دعا على من ظلمه فقد انتصر . من تشبه بقوم فهو منهم من طلب العلم تكفل الله برزقه . من لم ينفعه علمه ضره جهله . من استطاع منكم أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل. من فتح باب خير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عليه . من كف لسانه عن أعراض الناس أقال الله تعالى عثرته يوم القيامة . من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة . من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت . من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله فى الدنيا والآخرة . من فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة .

من ستر على أخيه ستره الله فى الدنيا والآخرة . من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب . من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان فى منهج بر أو تيسير عسير أعانه الله على إجازة الصراط يوم تدحض فيه الأقدام . من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه عنده قوت يومه إنما حيزت له الدنيا بحذافيرها . من أصبح ولم ينو لأحد سوءغفر له . من أكثر من الإستغفار رزقه الله من

حيث لا يحتسب . من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر خطؤه . من كثر همه سقم بدنه . من كثر ضحكه استخف بحقه . من حفظ ما بين لحييه وبين رجليه دخل الجنة .من ترك معصية مخافة الله أرضاه الله يوم القيامة . من أمسك بركاب أخيه لا يرجوه ولا يخافه غفر الله له . من تنصل إليه فلم يقبل لم يرد على الحوض . من قل علمه قل ورعه . من قل ماله ساء خلقه . من أكرم أخاه المؤمن فإنما يكرم الله عز وجل . من كف غضبه كف الله عنه عذابه . من أعان مسلما كان الله فى عونه . من قنع بما رزقه الله دخل الجنة . من شفع شفاعة حسنة آجره الله . من لم تكن له واحدة من ثلاث فلا يحتسب بشيء من عمله : تقي تحجزه عن معاصى الله ، وحلم يكفه عن السفه ، وحكمة يعيش بها فى الناس . من أخذه الله بمعصيته فى الدنيا فالله أكرم من أن يعفو عن عبده فى الدنيا ثم يؤاخذه فى الآخرة . من اعتذر إليه أخوه المسلم فليقل منه ما لم يعلم كذبه » .

ومن الحكم المأثورة عن السلف وغيرهم :

من عرف قدره علا أمره . من استحى من الناس ولم يستح من نفسه فلا قدر لها عنده . من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن لم يحلم ندم ، ومن صبر غنم ، ومن خاف أمن ،ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . من أخطأه سهم المنية قيده الهرم . من سره بنوه ساءته نفسه . من استغضب فلم يغضب فانما هو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فانما هو شيطان . من كثر ضحكه سقطت مهابته . ومن لاحى الرجال سقطت كرامته . من طلب ما قبل السلطان والنساء بالغلظة لم يزدده منهما إلا بعداً . من خدم السلطان بلا علم ، واستقلال ، وتجربة ، وكمال كان بمنزلة راكب فيل صعب ،

أو سائر فى بحر قد خب. من طلب الى لئيم حاجة كان كمن طلب صيد السمك فى المفاوز، من استوضع التاجر من رأس ماله، فقد استكمل حمقه. من اتقى الحساب تورع فى الإكتساب. من بلغ الستين فقد قطع منه الوتين. من عامل السلطان بالمكر كافأه بالغدر. من حرمك خيره، وحملك مؤنته فلا ترغب فى مودته. من أبدى إلى الناس فقره فليس له عندهم قدر. من استغنى عن الناس وقروه وعظموه. من غضب على من يقدر على ضره طال همه وحزنه. من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحاً، وعند الخطأ عذراً. من قل عقله كثر هزله. من أصلح سريرته أصلح ولابد علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس . من عمل للآخرة كفاه الله الدنيا. من استغنى بالله أفقر إليه الناس. من خان مان، ومن مان خان، وتبرأ من الإحسان. من كتم سره جهل عدوه أمره. من نقض عهده، ومنع رفده، وأظهر حقده، فلا خير عنده. من فرح بمدح الباطل، أمكن الشيطان من نفسه. من أظهر عيب نفسه زكاها. من طاعت له نفسه، طاع له غيره. من أنفق عمره فى جمع المال، خوف العدم، فقد أسلم نفسه للعدم. من أحب الحياة لنفسه أماتها. من كرمت عليه نفسه، صغرت الدنيا فى عينيه. من سكر من خمرة الدنيا، هلك فى خمار الهوى . من لم يقمع اللذة، عضته أسنان الندامة، من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار. من تجرع اللوائم فى موافقة الحق رد الله تلك اللوائم حمداً. ومن آثر المحامد فى موافقة الحق ، رد الله تلك المحامد ذماً. من أعجب بنفسه فضحها. من وصل رحمه وصله الله ورحمه، ومن أجار جاره، أعانه الله وأجاره. من بسطه الإدلال، قبضه الإزلال. من تناسي مساوىء الإخوان دام له ودهم. من بذل ماله، أدرك آماله. من عظمت مرافقه، أعظمه مرافقه. من قل حياؤه، قل أحباءه. من لم يشكر لمنعمه استحق قطع أنعمه. من أنكر الصنيعة. استوجب القطيعة. من قل توقيه، كثرت مساويه. من

استغنى بالله اكتفى. من انقطع لغير الله تعرى. من كان بقليل الدنيا لا يقنع، لم يغنه منها مايجمع. من لم يتناه طلبه ، دام تعبه. من امات شهوته، أحيا مرؤته. من صاحب العلماء وقر، ومن جالس السفهاء حقر. من ساس نفسه ، ساد جنسه. من رضي عن نفسه، سخط عليه الناس من استغنى برأيه ضل، ومن اكتفى بعمله زل. من أفشي سره المصون، كثر عليه المتآمرون. من كثر مزاحه، زالت هيبته، ومن كثر خلافه طالت غيبته. من دام كسله، خاب أمله، من أوغرت صدره، استدعيت شره. من أمل امراً هابه من فعل ما شاء، صبر على ما شاء. من داوم الرقاد عدم المراد. من عرف معابه، فلا يلم من أعابه. من لم يكن له من نفسه واعظ، لم تنفعه المواعظ. من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه. من نجا برأسه، فقد ربح. من استرعى الذئب ظلم. من أدب ولده صغيراً سر به كبيراً. من أدب ولده أرغم حاسده. من عبس وجهه فلا تطلبن فضله. من كانت ولايته فوق قدره تكبر. ومن كانت ولايته دون قدره تواضع. من استعذب المدح استحق القدح، ومن ترك الكبر استوجب الشكر. من ذهب ماله هان على أهله. من سأل صاحبه فوق طاقته، فقد استوجب الحرمان. من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة. من لم يضن بالحق على أهله فهو الجواد. من لم يصبر على كلمة، سمع كلمات، من أراد العز والسلامة، فليلزم ثلاثا: أن لا يسأل أحداً حاجة ولا شيئاً، ولا يأكل طعام أحد، ولا يذكر أحداً بسوء. من امتطى دواب الأمل أوردته موارد التلف. من ركب العجلة لم يأمن الكبوة. من لم يواس الإخوان فى دولته خذلوه فى عزلته. من لم يتعظ بالناس، اتعظ به الناس. من أخطاء واعتقد أنه على صواب، فقد أخطأ مرتين. من قل لبه اشتد عجبه. من عرف حق أخيه دام له آخاؤه. من تكبر على الناس، ورجا أن يكون له صديق ، فقد غر نفسه. من لم يكن عونا على نفسه مع خصمه لم يكن عنده شىء من عقدة الرأي. من أقدم على

هوى، وهو يعلم ما فيه من سوء المغبة سلط على نفسه لسان العذل، وضيع الحزم. من لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الانس أثمرت مودته ندماً. من كساه الحياء ثوبه ستر عن الناس عيبه. من أصلح ماله، فقد صان الأكرمين: الدين، والعرض من كرمت عليه نفسه، لم يهنها، ومن نازع بها جاهلالم يصنها. من لم يرض الدنيابالقليل ، وقع منها فى غم طويل. من كثر ملقه لم يعرف بشره. من أنس بالله استوحش من الناس . من رجى الفرج لديه كثرت غاشيته . من غضب من غير شىء فسيرضى من غير شىء . من لم يمنع نفسه الشهوات ، تسرعت إليه الهلكات . من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقينه . من زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم . من ساء خلقه كثر همه. ومن كذب ذهب جمال وجهه. من غض بصره عن عيوب الناس غضوا أبصارهم عنه. من نهض إلى المعالى ظفر بالمكان العالى. من لم يسخ نفسا عن الحظ الجسيم للعيب الصغير، لم يسخ نفساً عن الحظ الجسيم للعيب الصغير. لم يعد شفقاً على نفسه ولا صائناً لعرضه. من قصر على شىء عابه. من عز باقبال الدهر ذل بادباره. من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب. من تكلف مالا يعنيه فاته ما يعنيه. من عرف تقلب الزمان لم يركن إليه. من أحب الحمد أحسن السيرة. ومن أبغضه أساءها. من أحرز العفاف، لم يعدم الكفاف. من كان همه بطنه كان قدره ما يحويه. من سلك الدار أمن من العثار. من استغنى كرم على أهله. من لم يدار المشط ينتف لحييه. من ترك القهقهة أكرمه الله بالهيبة، ومن ترك المزاح أكرمه الله بسيما الصالحين، ومن ترك الفضول أكرمه الله بالخشوع ، ومن ترك التخليط أكرمه الله بالوقار ، ومن ترك التجسس أكرمه الله بالسنة ، ومن ترك الكيفية فى الرب برأه الله من الشرك والنفاق ، ومن بحث عن عورات المسلمين فضحه الله فى بيته . من غرس العلم اجتنى النباهة ، ومن غرس التزهد اجتنى العز ، ومن غرس الإحسان اجتنى المحبة .

ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة، ومن غرس الوقار اجتنى المهابة، ومن غرس المداراة اجتنى السلامة، ومن غرس الكبر اجتنى المقت، ومن غرس الحرص اجتنى الذل، ومن غرس الطمع اجتنى الخزى، ومن غرس الحسد اجتنى الكمد، من رضي من صلة الاخوان بلا شيء فليواخ أهل القبور. من لا ولد له، فلا ذكر له ومن لا إخوان له، فلا أهل له، ومن لا عقل له، فلا دنيا له، ولا آخرة. من خوفك لتأمن، خير ممن أمنك لتخاف، ومن سقاك مراً لتبرأ، خير لك ممن سقاك حلوا لتسقم. من لاحى الناس ومارأهم، قلت كرامته. من أكثر من شيء عرف به. من صحب السلطان صبر على قسوته كصبر الغواص على ملوحة بحره من حدث نفسه بالبقاء، ولم يوطنها على المصائب فعاجز الرأي. من أبطره الغنى، أذله الفقر. من أتى نعمة، فهو عبدها حتى يعتقه شكرها. ومن عرفها فقد شكرها، ومن شكرها فقد استوجب مزيداً. من لم يملك غضبه لم ينل إربه من لم يغض لجاجته لم يبلغ حاجته. من لم تحسن خلائقه ، لم تؤمن بوائقه. من حسن خلقه أنهج إلى الخيرات طرقه، وأدرك فى المكرمات من سبقه. من شح على سره، فقد أعان على بره. من نظرفى أحواله، وحزم فى أفعاله وأقسط فى أحكامه، واقتصر فى وفوره وإعدامه أعطي الخير بتمامه. من يسر للتوبة لم يمنع المغفرة، ومن وفق للدعاء لم يحرم الإجابة، من حكم فعدل وصبر واحتمل، وأعطي وبذل، فقد احتبى بثوب الفضل واشتمل. من لم يقبل مشورة الصديق ونصيحة الشفيق، استوبل عاقبته. واستوخم مغبته وعاين سوء ما قدمت يداه، وذاق مرارة ما جناه. من لم يأس على ما فاته أراح قلبه، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه، ومن عتب على الدهر طالت معتبته، ومن رضي بالقسم طابت معيشته، ومن ضعف عقله غلبته شهوته، ومن أطاع هواه أعطى عدوه مناه. من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساءبه الظن . من أنزل نفسه منزلته أمن عليها سوء الدوائر. من تقهر نفيه جسده، فإنما جسده

قهر لنفسه . من قلل تعلقه بالدنيا ، قلت حسرته عند فراقها. من طاوع طرفه تابع حتفه . من استقبل الامور أبصر ، ومن استدبرها تحير . من لا يعرف الموارد كان بالمصادر أجهل .من أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك. من اقتصد فى الغنى والفقر ، فقد استعد لنائبة الدهر.

ومن الشعر في هذا الفصل قولهم :

من يسأل الناس يحرموه ... وسائل الله لا يخيب
وكل ذي غيبة يئوب ... وغائب الموت لا يؤب

آخر :

من قال لا في حا ... جة مطلوبة فما ظلم
وإنما الظالم من ... يقول لا بعد نعم

آخر :

من آنسته البلاد لم يرم ... منها ومن أوحشته لم يقم
ومن بيت والهموم قادحة ... في صدره بالزناد لم يقم

آخر :

من لم يكن كاملا في العقل والأدب ... وقد قرأ سالف الأشعار والكتب
فلا يرو من سلطانا ولا ملكا ... فانه مشرف منه على الطب

آخر :

من شاب قد مات وهو حي ... يمشي علي الأرض مشى هالك
لو كان عمر الفتى حساباً ... كان له شيبه فذلك

آخر :

من كان يبغي الذل في دهره ... فليطلع الناس على سره
ما للفتى إن خانه ... معول إلا على صبره

آخر :

من عاش عيشاً حميداً يستفيد به. ... في دينه ثم في دنياه إقبالا
فلينظرن إلى من فوقه أدباً ... ولينظر إلى ما دونه مالا
من يسأل الله فلا ينبغي ... أن يسأل الله سوى العافية
فهي إذا ما حصلت لامريء ... غنية من غيرها كافية

آخـر :

مـن لـم يكن ذا خليـل   يـفضي إليـه بسـره
ويسـتريح لـديـه   في خـير أمـر وشـره
فليس يعـرف طعمـاً   لحـلـو شيء ومـره

آخـر :

مـن لـم يكن أكثره عقـلـه   أهـلكه أكـثـر ما فيـه

آخـر :

مـن لـم يعدنا إذا مرضـنا   إن مـات لم نشـهد الجنـازة

آخـر :

من يفضل الخير لم يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

آخـر :

من كان يرعى عزمـه وهمـومه   روض الأمـاني لـم يـزل مهزولا

آخـر :

من يدع الحلم أغضبه لتعرفه   لا يعرف الحـلم إلا ساعة الغضب

آخـر :

من آثر البخل عن وفر وعن جدة   فقد لعمري أضحى وهو مغبون

آخـر :

من يكشف الناس لا يجد أحداً   تصـح لـه منـه سـرايـر

آخـر :

مـن لـم يـؤدبـه والـداه   أدبـه الليـل والنهـار

آخـر :

من يزرع الخير يحصد مايسر به   وزارع الشر منكوس على الرأس

آخـر :

من لم يكن حسب له من نفسه   فهو الوضيع وإن غدا ابن فلان

آخـر :

مـن يحمـد النـاس يحمدوه   والنـاس مـن عابهـم معيب

000

« فصـــل ليس »

فمن الحديث الوارد عن النبي ﷺ

« ليس الخبر كالمعاينة. ليس فى فاسق غيبة. ليس بعد الموت مستعتب. ليس منا من لم يوقر الكبير، ويرحم الصغير، ويأمر بالمعروف، وينه عن المنكر. ليس يوم إلا وهوينادى: ابن آدم: أناخلق جديد، وأنا فيما تعمل فيه عليك شهيد، فاعمل في خيراً أشهد لك به، فإنى لو قد مضيت لم ترنى. ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً. ليس الغني عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس. ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا المؤمن. ليس لك من مالك إلاما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت. ليس من العقل الثقةبالظن. ليس الأعمى من عمي بصره، إنماالأعمى من عميت بصيرته. ليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه. ليس من خلق المؤمن الملق. ليس من خلق المؤمن الحسد. ليس منا من لم يؤمن . ليس منا من غش مسلماً أو ضره ».

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

ليس للئيم مثل الهوان . ليس يعد حكيماً ، من لم يعاشر بالمعروف . من لم يجد من معاشرته بداً حتى يجعل الله تعالى له مخرجاً . ليس إلى السلامة من الناس سبيل ، فعليك بما ينفعك فالزمه . ليس العاقل الذى إذا وقع فى الأمر احتال له ، لكن العاقل الذى يحتال للأمر ولا يقع فيه ليس للعوج تدبير ، ولا لسيء الخلق عيش ، ولا لمتكبر صديق ليس حسن الجوار كف الأذي ، ولكنه الصبر على الأذى . ليس من أحد وإن ساعدته المقادير يستخلص غضارة عيش إلا من خلال مكروه . ليس للأمور بصاحب ، من لم ينظر فى العواقب . ليس من العدل القضاء بالظن على الفقه . ليس يسير تقويم العسير . ليس الحكيم بكثرة العلم ، إنما الحكيم

فى الانتفاع بـه فى العمل.ليس من شرط الحليم أن لايضجر، لكن أن يضجر بوزن. ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها. ليس الإنسان الصورة، إنما الانسان العقل. ليس من توكل المرء إضاعة الحزم. ليس للجائر جار. ليس من عادة الكرام سرعة الإنتقام. ليس العاقل الذي يعرف الخير والشر، إنما العاقل الذى يعرف أقل الشرين. ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع من منهم بأوطانهم. ليس بعاقل ولا لبيب،من لم يصف مابه إلى الطبيب.ليس الأسير من أوثقه عداه، إنما الأسير من أوثقه هواه قسراً، أوأرهقه خسراً .

ومن الشعر في هذا الفصل قولهم :

ليس بالمغبون عقلا	مشتري عز بمال،
إنما يدخر الما	ل لحاجات الرجال،
فاشتر العز بما شـ	ـئت فما العز بقال،
فالفتى من جعل الأمـ	ـوال أثمان المعالي،

آخر :

ليس الكريم بمن يدنس عرضه	ويرى مروءته تكون بمن مضى،
حتى يشيد بناءهم ببنائه	ويزين صالح ما أتوه بما أتى،

آخر :

ليس في كل ساعة وأوان	تتأتى صنائع الإحسان
فاذا أمكنت فبادر إليها	حذراً من تعذر الإمكان
أحزم الناس من إذا أحسن الدهر	تلقى الإحسان بالإحسان

آخر :

ليس الأديب أخا الراوية	للنوادر والغريب
ولغز شيخ المحدثـ	ـين أبي نواس أو حبيب
بل ذو التفضل والمروءة	ة والعفاف هو الأديب

آخر :

ليس للحاجات إلا من	له وجه وقاح
ولسان وبيان	وغدو ورواح

آخــر :

لـيـس الـعـــدو بـشـــر　　مــن الـصــديق الحســود
فـعـــم أمـــرك مـنـــه　　وداره مـــن بـعـيـــد

آخــر :

ليس الكريم الذي إن زل صاحبه　　بث الذي كان من أسراره علما
بـل الكريم الذي تبقى مودته　　ويحفظ السر إن صافى وإن صرما

آخــر :

ليس الغني بسيد في قومه　　لـكن سيد قومه المتغابي

آخــر :

ليس الذي تـكرمه لغيره　　مثل الذي تـكرمه لنفسه

آخــر :

ليس لرب البيت في بيته　　عيش إذا ما فسد الأهل

آخــر :

ليس لمن ليست لـه حيلة　　موجودة خير مـن الصبر

آخــر :

ليس من الظرف والتأدب أن　　يسمع منك الصديق ما كرها

آخــر :

ليس الظريف بكامل في ظرفه　　حتى يكون من الحرام عفيفا

آخــر :

ليس النعيم ولا الشقاء بدائم　　لابد للإقبال مـن إدبار

آخــر :

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفراً　　بل المقام على خسف هو السفر

آخــر :

ليس ملك الذي يموت بملك　　إنما الملك مـن لا يموت

«فصل رب»

فمن الحديث الوارد عن النبي ﷺ:

«رُبَّ حامل حكمة إلى من هو أوعى منه. رب حامل فقه ليس بفقيه. رب طاعم شاكر أعظم أجراً من صائم صابر. رُب مبلّغ أوعى من سامع. رب ملوم لا ذنب له، رُب دميم الوجه حسنه عند الحاجة، ورب حسن الوجه دميمه عند طلب الحاجة. رب مكرم لنفسه وهو لها مهين، ورب مهين لنفسه وهو لها مكرم. رب أمن سببه الخوف. رب طرف أنم من لسان. رب صلب أدى إلى تلف. رب حيلة أهلكت المحتال. رب صديق يؤتى من جهله لا من نيته».

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

«رُب قول أشد من صول. رُب أخ لك لم تلده أمك. رب عجلة تهب ريثاً. رب مغبوط بمسرة هي داؤه، ومرحوم من سقم هو شفاؤه. رب ضيق أفضل من سعة. رب عناء خير من دعة. رب مملول لا يستطاع فراقه. رب طبع صالح أفسده مصاحبة الأشرار والسفلة. رب حسن المنظر ، قبيح المخبر. رب مزاح فى غوره جد. رب مواصلة أدت إلى تقليل، وتخفيف أدى إلى قطيعة. رب صلابةغرست من لحظة، ورب حرب شبت من لفظة . رب كلمة سلبت نعمة ، وجلبت نقمة . رب وحشة أنفع من الأمن . رب وحدة أمتع من جليس . رب منع الذ من عطاء . رب شوك أمهد من وطاء . رب جهل وقى به علم . وسفه حمى به حلم . رب صديق أود من شقيق . رب عاجل لذة ، قد أعقبت طول حسرة . رب مستسلم سلم ، ومتحرز ندم . رب ساع لقاعد آكل غير حامد.

ومن الشعر في هذا الفصل قولهم :

رب من أنضجت غيظاً صدره ‏ ‏ ‏ ‏ قد تمنى لي موتا لم يطع
ويحييني إذا لاقيته ‏ ‏ ‏ ‏ وإذا يخلو له لحمي رتع

آخر :

رب غريب ناصح الجنب ‏ ‏ ‏ ‏ وابن أب متهم الغيب
ورب عياب له منظر ‏ ‏ ‏ ‏ مشتمل الثوب على العيب

آخر :

رب مغروس يعايش به ‏ ‏ ‏ ‏ عدمته كف مغترسة
وكذاك الدهر مأتمه ‏ ‏ ‏ ‏ أقرب الأشياء من عرسه

آخر :

رب حلم أضاعه عدم الما ‏ ‏ ‏ ‏ ل وجهل غطى عليه النعيم

آخر :

رب مهزول سمين حسبه ‏ ‏ ‏ ‏ وسمين الجسم مهزول الحسب

آخر :

رب مكروه مخوف ‏ ‏ ‏ ‏ فيه لله لطائف

آخر :

رب عير يرعي ويعلف في الخصـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـب وليث يجوع في الصحراء

« فصول الإعداد »

المذكورة في الأحاديث ، والحكم والشعر في

« فصل واحد »

في الحديث الوارد في ذلك عن النبي ﷺ :

«طلب الدين أحد العسرين. الزوجة الصالحة أحد الكاسبين. قلة العيال أحد اليسارين. المال أحد الضجيعين».

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

إفشاء السر أحد المفسرين. إعلان التوبيخ أحد الضربين إدمان النظر أحد الفسقين. المطل أحد المنعين. العري أحد الكفنين. المشفق أحد الوالدين. العين إحدي الرسولين. العشق أحد الرقين. الفرار أحد الحماسيين. المكيدة إحدى الحسامين. الفكرة إحدى الهاديين. اللسان أقطع السيفين. الدهر أحد المؤدبين. الشيب أحد الميتين. حسن الثناء أحد البقائين. ذهاب العدة أحد الهلاكين. التدبير أحد الثروتين المشورة أحد الدليلين الميزان أحد الصادقين. القلم أحد اللسانين. سوء الرأي أحد المحاربين. سامع الغيبة أحد المغتابين. البيان أنفذ السهمين. الثروة إحدى الإمارتين. الناصر أحد الساعدين. الطيف أحد الزيارتين. السلو أحد العتيقين. الصبر أحد المفيدين. التثبت أحد الناصحين. التوفيق أحد الخليلين. الزمانة أحد الأسيرين . التجارة إحدى الجابيين . الثقة بالله أحد الأمانين . الرد الجميل أحد الجوادين. التودد للناس أحد الحسنيين. الألفة إحدى العمارتين. العسر أحد الغربتين. اليسار أحد الوطنين. العدة أحد العطائين. السلامة أحد الغنيمتين. المبلغ

أحدالشاتمين .

ومن الشعر في هذا الفصل قولهم :

تأملت صورة العدد فمن ينظر إليه هدي
كما الأعداد راجعة وإن كثرت إلى الأحد
كذاك الخلق مرجعهم لرب واحد صمد

OOO

«فصل في إثنين»

في الحديث الوارد عن النبى ﷺ :

«ثنتان لا تردان : الدعاء عند النداء وعند اليأس حين يلحم بعضه بعضا . خُلقانِ يحبهما الله ورسوله : الحلم والإناة، وخلقان يبغضهما الله ورسوله : البخل وسوء الخلق . قطرتان من أفضل الأشياء : قطرة دم فى سبيل الله وقطرة دمع من خشية الله . خصلتان ليس فوقهما من الخير شىء : الإيمان بالله ، والنفع لعباد الله . غنيمتان غنمهما كثير من الناس : الصحة والفراغ . اثنان ليس فى الدنيا أقل منهما، ولا يزدادان إلا قلة : درهم حلال، وأخ فى الله يُسكن إليه . خصلتان لا ثمن لهما : العلم ، والعمل الصالح . منهومان لا يشبعان : منهوم فى العلم ، ومنهوم فى المال . شيئان العجلة فيهما محمودة : إطعام الضيف إذا حل ، وقضاء الدين . إثنان لا يجتمعان أبداً في بشر : الكذب والمروءة . إثنان يهون عليهما كل شىء : الحكيم الزاهد ، والجاهل الذي لا يدرى ما هو فيه . خصلتان لا تجتمعان فى منافق : الفقه فى الدين ، وحسن السمت . خصلتان يحبهما العاقل ويكرههما الجاهل : الصبر عند النوائب والعفو عند المقدرة . إثنان أعيت الحيلة فيهما: إقبال الأمر إذا أدبر ، وإدباره إذا أقبل . أمران يستصلح بهما المرء دنياه : أدب

يقوم نفسه ، واجتهاد يحسن به عيشه . وأمران يستصلح بهما أخراه : عقل يعرف به خطأه من صوابه ورشده من غيه ونزاهة يقهر بها هواه ويصرف بها شهواته . ومن الشعر :

إثنان لو بكت الدماء عليهما عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الأحباب

ooo

« فصل في ثلاثة »

في الحديث الوارد عن النبي ﷺ :

« ثلاثة من الموبقات فاحذروهن : الحرص والحسد والكبر. وثلاثة لاترد دعوتهم : الإمام المقسط والصائم حتى يفطر والمظلوم. ثلاثة لايضر معها شيء: الدعاء عند الكرب، والإستغفار عند الذنب، والشكر عند النعمة . ثلاثة لا يسئل أحد عنها يوم القيامة : ما أنفق فى مرضه، وفى إفطاره، وما أنفق فى قري ضيفه. ثلاثة من نعيم الدنيا، وإن كان لا نعيم لها: مركب وطىء، والمرأة الصالحة، والمنزل الواسع . ثلاثة يبغضهم الله : البخيل المنان والشيخ الزاني، والفقير المختال . ثلاثة مرحومون : عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وصاحب دين رجع عن دينه. ثلاثة معانون : المملك حتى يقضى أهله، والغازى حتى يقضى غزوه، والحاج حتى يقضى حجه. لا كذب فى إحدى ثلاث : الإصلاح بين الناس ، والحرب فإنها خدعة ، والزوجات فيما يبتاعه الزوج . ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة : بر من فاجر ، وشريف من دنىء، وحليم من سفيه . ثلاثة لايعرفون إلا فى ثلاثة مواطن : الحلم عند الغضب ، والشجاع فى الحرب ، والأخ عند الحاجة . ثلاثة لا يلامون على سوء الخلق : المريض والصائم والمسافر. ثلاثة يطلبون المرء وإن فر منهم : الموت والرزق والمصيبة .

ثلاثة من كن فيه ستر الله كنفه ، وأدخله جنته : رفق بالضعيف ، وشفقة على الوالدين ، والإحسان إلى المملوك . ثلاثة من لم يكن فيه واحدة منهن لم يجد طعم الإيمان : علم يرده عن جهل الجاهل ، وورع يحجزه عن محارم الله ، وخلق يدارى به الناس . ثلاثة من أخلاق الإيمان : من إذا غضب لم يدخله غضبه فى باطل ، وإذا رضى لم يخرجه رضاه من حق ، وإذا سئل لم يعط ماليس له . ثلاثة من هذه الأمة على منابر يوم القيامة من دُر وياقوت: التاجر الصدوق فى تجارته ، والسلطان العادل فى حكومته والبار بوالديه . ثلاثة للمرء المسلم من دعوته : إما خير يعجل له فى دنياه ، وإما خير يؤخر له الى آخرته ، وإما يستجاب له . ثلاث علامات للكسلان : يتوانى حتى يفرط ، ويفرط حتى يضيع ، ويضيع حتى يأثم . ثلاثة منجيات ، وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات : فخشية الله فى السر والعلانية ، والحكم بالحق عند الغضب ، والرضا والاقتصاد عند الفقر والغنى . وأما المهلكات : فشح مطاع ، وهوى متبع وإعجاب المر ء بنفسه . ثلاث ساعات من كان له إلى الله حاجة فليطلبها فيهن : عند زوال الشمس يوم الجمعة ، تفتح هناك أبواب السماء وتنزل الرحمة وتصوت الطير وتنفث الريح ، وساعة تغيب الشمس فإن الأعمال ترفع الى الله تعالى فى ذلك الوقت ، وساعة ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، ثلاث ساعات للمؤمن : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يروم فيها معاشه ، وساعة يخلى بين نفسه ولذتها، فيما يحل ويجمل . ثلاث فمن كن فيه ، فهو مؤمن : إذا قال صدق ، وإذا وعد وفي ، وإذا أؤتمن لم يخن . ثلاث من رزقهن فقد جمع له خير الدنيا والآخرة: الرضى بالقضاء، والصبر عند البلاء، والدعاءفى الرخاء. ثلاث يصفين لك وِد أخيك: تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه اليه . ثلاث من أعطيهن، فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : الكفاف والقنوع والورع . ثلاث لن ينفع المرء بعد وفاته إلا هن :

صدقة تجرى من بعده، وسنة يعمل بها من بعده، وولد يدعو له. ثلاث تتبع الميت الى قبره، فيرجع عنه إثنان، وتتبعه واحدة : أهله وماله، وعمله، فأما أهله وماله فيرجعان، ويتبعه عمله. ثلاث نهى الله عز وجل عنهن: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ثلاث لا يهلك مؤمن معهن : شهادة أن لا إله إلا الله ، وشفاعتى ، ورحمة الله التى وسعت كل شيء » .

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

ثلاثة أشياء لا ينبغى للعاقل تركها : علم يحث على عمل نافع فى المعاد ، وطب يكف عن البدن الأسقام ، وصناعة يستعين بها على المعاش .ثلاثة لا يتهمون : المخبر عن سقمه ، والمقر على نفسه ، والذى يدعو الناس الى الأخذ بما يعمل به العيش فى ثلاث : سعة المال ، وكثرة الخدم ، وموافقة الأهل . ليس لثلاثة حيلة : فقر يخالطه كسل ، وخصومة يداخلها حسد ، ومرض يمازجه هرم . ثلاثة لا يستخف بهم عاقل : السلطان ، والعالم ، والصديق ، لأن من استخف بالصديق أفسد مروءته . ثلاث لا يأنف الكريم من القيام عليهم : أبوه وضيفه ، ودابته . للسفر ثلاث عقبات : الأولى العزم ، والثانية العدة ، والثالثة الرحيل ، وأشدهن العزم . ثلاثة مسهرة : قرض فأر ، وأنين مريض ، ووكف بيت . ثلاثة لا راحة لها إلا بالفارقة : السن المتآكلة المتحركة ، والعبد الفاسد على مولاه ، والمرأة الناشزة على زوجها . ثلاث خصال إذا كن فى الرجل فلا تشكن فى صلاحه : إذا حمده جاره ورفيقه وقرابته . كدر العيش فى ثلاث : الجار السوء ، والولد العاق ، والمرأة السيئة الخلق . ثلاثة الإقدام عليها غرر : شرب السم للتجربة ، وركوب البحر للغني ، وإفشاء السر الى النساء . ثلاثة من عاداهم عادت عزته ذلا : السلطان ، والوالد ، والغريم . ثلاثة تزيد فى المودة : الزيارة

فى الرحال ، والمحادثة على الموائد ، ومعرفة الرجل حشم أخيه وخدمه . ثلاثة تنفع فى الدنيا مع ثوابها فى الآخرة : الحج ينفى الفقر ، والصدقة ترد البلاء ، والبر يزيد فى العمر . مطالع العلوم ثلاثة : قلب مفكر ، ولسان معبر ، وبيان مصور . ثلاث من كن فيه فقد أصاب البر : سخاء النفس ، والصبر على الأذي، وطيب الكلام . يستدل على تقى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل ، وحسن الرضا بما قد نال ، وحسن الصبر على ما قد فات . ثلاث خلال من بريء منهن نال ثلاثة : من بريء من الشره نال العز ، ومن برىء من البخل نال الشرف ، ومن برىء من الكبر نال الكرامة . ثلاث من كن فيه كن عليه : البغي ، والنكث ، والمكر . الملوك تحتمل كل شىء إلا ثلاثة : القدح فى المُلك ، وإفشاء السر، والعرض للحرم . ثلاثة تدل على عقول أصحابها : الرسول ، والكتاب ، والهدية . ثلاث من خير خصال النساء، وهن من شر خصال الرجال: الزهو، والجبن والبخل . العيش فى ثلاث : إقبال الزمان ، وعز السلطان ، وكثرة الإخوان . ثلاث من لم يرغب فيهن بلي بست: من لم يرغب فى الإخوان بلي بالعداوة والإمتحان ، ومن لم يرغب فى المعروف بلي بالندامة والخسران ، رؤوس النعم ثلاثة : فأولها: نعمة الإسلام التى لا تتم النعم إلا بها ، والثانية : نعمة العافية التى لا تطيب الحياة إلا بها ، والثالثة نعمة الغنى التى لا يتم العيش إلا بها . أولى الناس بالرحمة ثلاثة : البر يكون فى تدبير الفاجر فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع والعاقل يكون فى تدبير الجاهل فهو الدهر متعب مغبون ، والكريم يحتاج الى اللئيم فهو خاضع ذليل. أسباب الفتن ثلاثة : عين ناظرة ، وصورة ناضرة ، وشهوة قادرة . ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك : عبدك ، وولدك وزوجتك . الكمال فى ثلاثة : الفقه فى الدين ، وبر الوالدين وحسن تدبير المعيشة . ثلاثة لا يندم فيما سلف اليهم : الله عز وجل فيما عمل له ، والمولى المشكور فيما أسدى إليه ،

والأرض الكريمة فيما بذر فيها . ثلاثة لا تكون إلا في ثلاثة : الغنى فى النفس ، والشرف فى التواضع ، والكرم فى التقى عليكم بثلاثة : جالسوا الكرماء ، وخالطوا الحكماء ، وسائلوا العلماء . ثلاثة لا يصلح فسادهن شيء من الحيل : العداوة بين الأقارب ، وتحاسد الأكفاء ، والركاكة فى العقول . ثلاثة لايفسد صلاحهن بنوع من السكر : العبادة فى العلماء ، والقنوع فى المستبصرين ، والسخاء فى ذوي الأخطار . ثلاثة لا يشبع منهن : الحياة ، والعافية ، والمال . ثلاثة أشياء تفسد العقل : طول النظر فى المرآة ، والإستغراق فى الضحك ، ودوام النظر فى البحر . ثلاثة تبطل مع ثلا ث: الشدة مع الحيلة ، والعجلة مع التأنى ، والإسراف مع القصد ثلاثة من الأفعال من علامات الأحمق : كثرة الإلتفاتات من غير مناد ولا متكلم ، وسرعة الجواب والمسؤل غيره ، والضحك فى غير وقته . ثلاثة من حقيقة الإيمان : الإقتصاد فى الإنفاق ، والإبتداء بالسلام ، والإنصاف فى الأمور . ثلاث نواطق وإن كن خرساً : كسوف البال دليل على رقة الحال ، وحسن البشر دليل على سلامة الصدر ، والهمة الدنية دليل على الغريزة الردية . الرجال ثلاثة : عاقل ، وفاجر ، وأحمق فأما العاقل فالكرم شريعته ، والحكم طبيعته ، وحسن الرأي سجيته ، وإن كلم أجاب ، وإن نطق أصاب ، وإن سمع العلم وعاه ، وإن اطمأن اليه مطمئن رعاه . والفاجر : إن ائتمنته خانك ، وإن حازيته شانك ، وإن عُلم العلم لم يتعلم ، وإن ذُكر الله لم يتذكر ، وإن وثقت به لم يرعك ، وإن استكتم لم يكتم . والأحمق : إن تكلم عجل، وإن حدث أوهم وإن استنزل عن رأيه نزِل ، وإن حمل على قبيح ركبه ، وإن حدث لم يفقه ، وإن حَدث لم ينبه . النساء ثلاث : فهيِّنة لينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ، ولا تعين العيش على أهلها ، وأخرى وعاء للولد ، وأخرى غل قمل يضعه الله فى عنق من يشاء ، ويفكه عن من يشاء . ثلاثة لا غرابة معهن : مجانية الريب ، وحسن الأدب ، وكف الأذى . ثلاثة أشياء موكل بها

ثلاثة أشياء : الحرمان على المقدم فى صنعته ، وتحامل الأيام على ذوى الأدوات الكاملة ، ومعاداة العامة لأهل المعرفة . ثلاثة أشياء من أخذها من الديك تم بها أدبه : سخاؤه ، وشجاعته ، وغيرته . ثلاثة أشياء من أخذها من الغراب تمت بها مروءته : بكوره فى طلب الرزق ، وشدة حذره ، وستره سفاده . الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات : طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بالعطف واللين والإحسان ، وطبقة من خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة ، وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة لئلا تحرجهم الشدة ، ولئلا يبطرهم اللين . الرجال ثلاثة : فيهم عفيف مسلم يصدر الأمور مصادرها ، ويردها مواردها ، وآخر ينتهى الى رأي ذى اللب والمقدرة فيأخذ بقوله ، وينتهى الى أمره ، وآخر حائر بائر لا يأتمر الرشد ، ولا يطيع المرشد. ثلاثة متقاربة : السفر ، والسقم ، والقتال فالسفر سفينة الأذى ، والسقم حريق الجسد ، والقتال منيت المنايا . الإخوان ثلاثة : أخ يخلط لك وده ، ويبلغ فى مهمك جهده ، وأخ ذو نية يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته ، وأخ يجاملك بلسانه ويتشاغل عنك بشأنه ويوسعك من كذبه وإيمانه . الرقاب ثلاثة : رقبة تملك بالمن ورقبة تملك بالصفع، ورقبة لا ينفع فيها إلا السيف . ثلاثة ما اجتمعت فى حر : مباهتة الرجال ، والغيبة للناس والملل لأهل المودة . ثلاثة ليس لهم رأي : صاحب الخف الضيق ، وصاحب المرأة السوء ، وحابس البول . ثلاثة تسمن ولا تؤكل : دخول الحمام ، وعرف البخور ، ولبس الكتان الناعم . ثلاثة تؤكل ولا تسمن : الطلع والجمار والكمأة . الأنس فى ثلثة : صديق تأمن منه فى صداقتك ما يرتصدك به عدوك ، وامرأة تسرك إن دخلت عليها وتحفظك إذا غبت ، وسلوك يأتى كل ما فى نفسك حتى كأنه يطلع على غيبك . ثلاث تعقب العداوة : المباهتة ، والمفاخرة ، والممازحة ، ثلاث تزري بالمرء: الحسد، والنميمة، والطيش . الخير كله فى ثلاثة : فى

السكوت والكلام والنظر ، فكل سكوت لا يكون فكرة فهو سهو ، وكل كلام لايكون حكمة فهو لغو ، وكل نظر لا يكون عبرة فهو لهو . ثلاث تدل على ضعف العقل : سرعة الجواب ، وطول التمنى ، والإغراق فى الضحك . ثلاث تفسد المروءة : الشح والحرص والغضب . الرجال ثلاثة : رجل بنفسه ، ورجل بلسانه ، ورجل بماله . ثلاثة يصيرون أجن المجانين ، وإن كانوا أعقل العقلاء الغضبان والغيران والسكران . الأيادى ثلاث : بيضاء وخضراء وسوداء . فاليد البيضاء : الابتداء بالمعروف ، واليد الخضراء : المكافأة على المعروف . واليد السوداء : المن بالمعروف . تمام المعروف ثلاثة : تعجيله وتصغيره وستره . إحذر ثلاثاً : الكبر والغضب والطمع . أرج ثلاثاً : عفو الله عن ذنوبك ، ومحاسن عملك، وشفاعة نبيك صلى الله عليه وسلم . إستحي من ثلاثاً : مطالعة الله تعالى لك وأنت مقيم على ما يكره ، ومن الحفظة الكرام الكاتبين ، ومن صالحى المؤمنين . خذ من الدنيا ثلاثاً : من الكنوز العلم ، ومن الزاد التقوي ، ومن الأعمال العبادة . تلق النعمة من الله بثلاث : كثرة الشكر ، ولزوم الطاعة ، واجتناب المعصية . افزع الى ثلاث : آلى الله فى معميات أمورك ، والى التوبة من مساوىء عملك ، والى أهل العلم والأدب . إهرب من ثلاث : من الكذاب ، ومن الظالم إن كان والدك أو ولدك ، ومن مواطن الامتحان التى تحتاج فيها الى صبرك . من عرف بثلاث استوجب ثلاثاً : من عرف بالبخل استوجب الذم ، ومن عرف بالكذب استوجب المقت ، ومن عرف بالغيبة استوجب الخزى . علامة فضل المرء فى ثلاث : الفصاحة والسماحة والرياش . وعلامة همته فى ثلاث : إذا رأيته يمشى راكباً ، وسمعته يعرب فى كلامه ، وشممت عليه رائحة طيبة . ثلاث هن فى ذهاب العقل أسرع من النار فى يابس العرفج إهمال الفكرة ، وطول التمنى ، والاستغراق فى الضحك .

ثلاث بها نلت المعالي والغنى — وأصبحت معتز الجناب ممولا
طويت على قصد المروة باطني — وفي ظاهري أبديت فيه التجملا
وأغضيت عمافي يد الخلق ناظري — وأبصرت ما لله عندي أفضلا

ooo

« فصل من أربعة »

فمن الحديث الوارد عن النبي ﷺ :

« أربع من سنن المرسلين: الختان ، والسواك والتعطر، والنكاح . أربع يذهبن ضياعاً : الأكل مع الشبع ، والسراج فى القمر ، والزرع فى السبخة ، والصنيعة الى غير أهلها . أربع خصال من سعادة المرء : أن تكون زوجته صالحة ، وولده أبراراً ، وخلطاؤه صالحين ، ومعيشته فى بلاده . أربع لو شد إليهن المطايا كان قليلاً . لا يرجو عبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ، ولا يستحى الجاهل أن يتعلم ، ولا يستحى العالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم . أربع من كن فيه وجبت له الجنة : من ملك نفسه حين يرغب ، وحين يرهب ، وحين يغضب ، وحين يشتهى . أربع خصال لن تعدموهن : إذا مس أحدكم ضر فليحدث إخوانه ، فإما مواساة ، أو معونة بجاه . أو مشورة مباركة ، أو دعاء مستجاب . أربع لن يجد الرجل طعم الإيمان حتى يؤمن بهن : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وإنى رسول الله بعثني بالحق ، وأنه ميت ثم مبعوث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر كله . أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خلة منهن كانت له خلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب . وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر . الأذلاء أربعة : النمام ، والكذاب ، والمديان ، والفقير . من اجتنب أربعة دخل الجنة : الدماء، والأموال، والفروج، والأشربة . أحب الكلام إلى الله

أربع : لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله ، والحمد لله ولا إلـه إلا الله ، والله أكبر. أربع مواطن يستجاب فيها الدعاء، وتفتح أبواب السماء: عند التقاء الصفين فى سبيل الله ، وعند نزول الغيث ، وعند إقامة الصلاة ، وعند رؤية الكعبـة » .

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

أربعة يسود بها المرء : الأدب ، والعلم ، والعفة ، والأمانة . أربعة ينبغى للعاقل أن يمنع نفسه منها : العجلة ، واللجاجة والعجب ، والتوانى. أربع لابقاء لهـا : مودة الأشرار ، والبيت الذي ليس فيه تقدير ، والمال الحرام ، والكسب الذى ليس معه تدبير . أربع لا يستطاع إشباعهن : النـار من الحطب ، والبحر من الماء ، والموت من الأرواح ، والشره من المـال . أربع إذا كن فى الرجل أهلكته: محبة النساء، والقمار، والصيد، والخمر. أحب الأشياء إلى الله أربعة : القصد عند الجدة، والعفو عند القدرة، والحلم عند الغضب ، والرفق بعباد الله فى كل حال . الناس أربع طبقات بين إمارة وتجارة وزراعة وصناعة فمن لم يكن منهم كان كلا عليهم . أربع فيهن العلم كله : أولها : أن تعرف ربك ، والثانى أن تعرف ما صنع بك ، والثالث أن تعرف ما أراد منك ، والرابع أن تعرف ما يخرجك من ذنبك . أربعة أعداء للمؤمن : شيطان يضله ، وكافر يقاتله ، ومنافق يفتنه ، ومؤمن يحسده . أربع كلمات اجتمعت العرب والعجم عليها لا تحملن على قلبك مالا يطيق ، ولا تعملن عملا ليس لك فيه منفعة ، ولا تثق بامرأة ، ولا تغتر بمال وإن كثر . أربع يهزمن العمر وربما قتلن : الحمام على البطنة ، والمجامعة على الإمتلاء ، وأكل القديد الجاف ، وشرب الماء البارد على الريق . أربعة تذهب ماء الوجه : الكذب، والوقاحة، والتكبر، والنظر إلى المقتول. أربعة تزيد ماء الوجه: الوفاء

بالعهد ، والكرم ، والكلام الطيب . وطاعة الله سبحانه وتعالى . أربع تدل على حمق الرجل : طول لحيته ، وشناعة كنيته ، وإفراط شهوته، ونقش خاتمه. أربعة لاتدرك بأربع: الشباب بالخضاب، والغنى بالمنى، والبقاءبالدواء، والصحة بالحمية. أربع من كنوز البر: كتمان الفاقة، وكتمان المصيبة، وكتمان الوجع، وكتمان السر. لاينبغى للعاقل أن يخلى نفسه من أربع: عدة لمعاد، وصلاح لمعاش ، وفكر يقف به على ما يصلحه مما يفسده، ولذة فى غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث. أربع ترفع الرجل إلى أعالى الدرجات وإن قل عمله: الحلم والتواضع والسخاء، وحسن الخلق .أربعة أشياء لا تطلبها فى آخر الزمان فإنك لا تجدها: لا تطلب عالماً يعمل بعلمه فتبقى جاهلا، ولا تطلب طعاماً بغير شهية فتبقى جائعاً، ولا تطلب صديقاً بغيرعيب فتبقى وحيداً، ولا تطلب عملا بغير رياء فتبقى بلا عمل . أربعة لا يزول معها مُلك : حفظ الدين، واستكفاءالأمين، وتقديم الحزم، وإمضاء العزم. وأربعة لا يثبت معها مُلك : غش الوزير، وسوء التدبير، وخبث النية، وظلم الرعية . أربعة تؤكد المحبة : حسن البشر، وبذل البر، وقصد الوفاق، وترك الشقاق . أربعة من علامات الكرم : بذل الندى ، وكف الأذى ، وتعجيل المثوبة ، وتأخير العقوبة . وأربعة من علامات اللؤم : إفشاء السر ، واعتقاد الغدر ، وغيبة الإخوان، وإساءة الجوار. أربعة من علامات الإيمان: حسن العفاف ، والرضي بالكفاف ، وحفظ اللسان ، واعتقاد الإحسان . أربعة تتولد من أربعة : الشر من الممازحة ، والبغض من المكادحة ، والوحشة من الخلاف ، والنبأة من الاستخفاف . أربعة لا تنتصف من أربعة : الشريف من الدنيء ، والرشيد من الغوي ، والبر من الفاجر ، والمنصف من الجائر . أربعة تؤدي الى أربعة : الصمت إلى السلامة ، والبر إلى الكرامة ، والجود إلى السيادة ، والشكر إلى الزيادة . أربعة تعرف بأربعة : الكاتب بكتابته ، والعالم

بجوابه، والحكيم بأفعاله، والحليم باحتماله. أربعة لا تستغنى عن أربعة: الرعية عن الساسة، والجيش عن القادة، والرأي عن الاستشارة، والعزم عن الاستخارة. أربعة تمرض الجسم: الكلام الكثير، والنوم الكثير، والأكل الكثير، والجماع الكثير، أربعة تقوي البصر: الجلوس مستقبل القبلة، والكحل عند النوم، والنظر إلى الخضرة، وتنظيف المجلس. أربعة توهن البصر : النظر إلى العدو والنظر إلى المصلوب، والنظر إلى فرج المرأة ، والجلوس مستدبر القبلة. أربعة تزيد فى العقل : ترك فضول الكلام ، والسواك ، ومجالسة الصالحين والعلماء . أربعة يفرح بها القلب : النظر إلى الخضرة والنبات ، وإلى زرقة السماء الصافية ، وإلى المحبوب ، والقعود على طرف ماء جار. أربع يفنين العمر ، وإن لم يفن : قلة ذات اليد ، وفساد الولد ، وسوء الخلق ، وفقد الاخوان . أربع خصال تلزم قلب من كانت الدنيا همه : فقر لا يدرك غناه ، وهم لا ينقضي مداه، وشغل لا تنفذ أولاه، وأمل لا يبلغ منتهاه ، من أعطي أربعاً لم يحرم أربعاً : من أعطى الشكر لم يحرم المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يحرم القبول ، ومن أعطي الاستخارة لم يحرم الخيرة ، ومن أعطي المشورة لم يحرم الصواب . أربعة لا يقدر على مكافأتهم : رجل بات وحاجته تغلغل فى مفاتيح صدره حتى أصبح فقصدك بها ، ورجل أفشى إليك سره ، فوضعك مكان قلبه ، ورجل ابتدأك بالسلام ، ورجل دعوته فأجابك . أربعة إذا أفسدهم البطر، لا تزيدهم التكرمة إلا فساداً: الزوجة ، والولد ، والخادم ، والرعية . أربعة ترتفع الرحمة عنهم إذا نزل بهم المكروه : من كذب على طبيبه فيما يصف له من دائه ، ومن تعاطى مالا يستقل بأعبائه ، ومن بذل ماله فى لذاته ، ومن أقدم على ما حذرمن آفاته . السعادة أربع : سلامة الخلقة ، وجودة العقل ، وتأتى المطلوبات ، والمحبة فى الناس . الجماع أربعة : فالأول شهوة ، والثانى لذة ، والثالث شفاء ، والرابع داء . الرجال أربعة : رجل يدرى

ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فسلوه ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك غافل فنبهوه ، ورجل لا يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك مسترشد فعلموه ، ورجل لا يدري ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه . الناس فى الخير أربعة : منهم من يفعله ابتداء وهو الكريم ، ومنهم من يفعله اقتداء وهو الحكيم ، ومنهم من يتركه استجماماً وهو الردىء ، ومنهم من يتركه حرماناً وهو الشقي . أركان الدين والدنيا أربعة : الصبر ، والصدق ، والحلم ، والوفاء . أربعة لا يدرى قدرها إلا أربعة : لا يعرف قدر الحياة إلا الموتى ، ولا قدر الصحة إلا المرضى ، ولا قدر العافية إلا أهل البلاء ، ولا يعرف قدر الغنى إلا الفقراء . أربعة لا يطاقون: عبد ملك،ونذل شبع، وأمة ورثت، وقبيحة تزوجت .

ومن الشعر :

بأربعة أرجو نجاتي وإنها لا كرم مذخور لدي وأعظم
شهادة إخلاصي وحبي محمدا وحسن ظنوني ثم إني مسلم

«فصل من خمسة»

فمن الحديث الوارد عن النبي ﷺ :

«خمس لايجتمعن إلا فى مؤمن حقاً: النور فى القلب، والفقه في الإسلام، والورع فى الدين، والمودة فى الناس، وحسن السمت فى الوجه. خمس يفطرن الصائم وينقضن الوضوء: الغيبة، والنميمة، والكذب، والنظرة بالشهوة، واليمين الغموس. خمس دعوات لا ترد: دعوة الغازى حتى يرجع، ودعوة المريض حتى يبرأ، ودعوة المظلوم، ودعوة الصائم حتى يفطر، ودعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب. خمس لا يتعداهن كل عبد: عمله، وأجله، وأثره، ورزقه، ومضجعه. خمس من الإيمان من لم يكن فيه شيء منهن فلا إيمان له: التسليم لأمر الله ، والرضى بقضاء الله ، والتفويض الى الله ، والتوكل على الله ، والصبر عند الصدمة الأولى. خمس يقبحن خمسة من الناس: الفتوة فى الشيخ، والحرص فى القارى، وقلة الحياء فى ذى الحسب، والبخل فى الأغنياء، والجدة فى ذوى القدرة. خمس خصال من السعادة: اليقين فى القلب ، والورع فى الدين ، والزهد فى الدنيا ، والحياء ، والعمل . وخمس خصال من الشقاء : القسوة فى القلب ، وجمود العين ، وقلة الحياء والرغبة فى الدنيا ، وطول الأمل. خمس تجب للمسلم على أخيه : رد السلام وتشميت العاطس وإجابة الداعى ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز .

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

خمسة تقبح بخمسة : ضيق الذرع بذى المال ، وسرعة الغضب بالعلماء ، والبذاء بالنساء ، والمرض بالأطباء ، والكذب بالقضاة . لاتتم مروءة الرجل إلا بخمس : أن يكون عالماً ، عاقلاً ، صادقاً ، ذا بيان ، مستغنياً عن الناس . مفاتيح الأرزاق خمس : حسن الخلق ، وحسن الجوار ، وكف

الأذى، وصدق الحديث، وأداء الأمانة. خمسة من الأطعمة لوازم : الوليمة، العقيقة، والعذيرة، والعتيرة، والنقيعة، فالوليمة طعام الأعراس والأملاك، والعقيقة طعام أسبوع المولود، والعذيرة طعام الختان، والعتيرة الطعام الذى يبعث الى أهل الميت. والنقيعة أن تكون بين القوم عداوة فيصلح بينهم فيجتمعون على طعام، انتهى . والنقيعة: أيضاً : طعام القادم من السفر .

قال علي رضي الله عنه : خمس خذوها عنى: ألا يرجون أحد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولايستنكف أن يتعلم ما ليس عنده، وإذا سئل عما لا يعلم فليقل لا أعلم ، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد . خمسة مرحومون : عزيز ذل ، وغني قل ، وحبيب مل ، وفصيح كل ، وفقيه ضل .

ومن الشعر :

أقبل على صلواتك الخمس	كم مصبح عساه لا يمسي
واستقبل اليوم الجديد بتوبة	تمحو ذنوب صحيفة الأمس

« فصل من ستة »

فمن الحديث الوارد عن النبى ﷺ :

«ست خصال من لقى الله تعالى ولم يعمل بهن دخل الجنة : لم يشرك بالله شيئاً ، ولم يسرق ، ولم يزن ، ولم يرم محصنة ولم يعص ذا أمر ويقول الحق أو يصمت . ست خصال فى الزنا : ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة ، فأما اللواتى فى الدنيا ، يذهب بنور الوجه ، ويقطع الرزق ، ويسرع الفناء وأما اللواتى فى الآخرة : فغضب الله تعالى، وسوء الحساب والدخول فى النار . ست خصال اكفلوهن لى أكفل لكم الجنة الصلاة والزكاة ، والصيام ، والبطن ، واللسان والفرج . ست من المروءة : ثلاثة منها فى الحضر : تلاوة القرآن ، واتخاذ الإخوان ، وعمارة المساجد ، ثلاثة منها فى السفر : بذل الزاد وحسن الخلق ، والمزاح فى غير معاصى الله .

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

«ست خصال من كن فيه فهو إنسان كامل: الألفة ، والحياء، والأدب، والأنفة ، والشكر، والرجاء. ستة لا بقاء لها : ظل الغمام، وخلة الأشرار، وعشق النساء، والمال الكثير ، والسلطان الجائر ، والثناء الكاذب . ستة من علامات الجاهل: الثقة بكل إنسان، وأن لايميز عدوه من صديقه، وأن يفشى سره الى كل أحد من الناس، وكثرة الكلام فيما لا يعنيه، والغضب من غير شىء ووضع الشىء فى غير محله. فروع الشر ستة: حب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الثناء، وحب الشبع، وحب النوم، وحب الراحة. ستة لا تفارقهم الكآبة: حديث عهد بغنى، ومكثر يخاف على ماله، وطالب مرتبة فوق قدره، والحسود، والحقود، وخليط أهل الأدب وهو غير أديب. من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً: من عرف ربه فأطاعه، وعرف شيطانه فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه،

وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها .

ومن الشعر :

ست بليت بها والمستعاذ به	من شرها من اليه الخلق يبتهل
نفسي وإبليس والدنيا التي فتنت	من قبلنا والهوى والحرص والأمل
إن لم تكن منك يامولاي واقية	من شرها فقد أعيت عبدك الحيل

OOO

« فصل من سبعة »

فمن الحديث الوارد عن النبى ﷺ :

«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يرجع إليه، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال، فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه. سبعة لعنهم الله: الزائد فى كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمستحل بحرم الله، والمستحل ما حرم الله، والمعتدي بالجبروت ليذل ما أعز الله، والمؤذى أهل بيتى، والتارك لسنتى » .

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

سبع خصال من كانت فيه لم يعدم سبعاً: من كان جواداً لم يعدم الشرف، ومن كان ذا وفاء لم يعدم السنة ، ومن كان صدوقاً لم يعدم القبول ، ومن كان شكوراً لم يعدم الزيادة ، ومن كان متواضعاً لم يعدم الكرامة . سبع لا يمللن من سبع: خبز البر ، ولحم الضأن ، والماء البارد ، والثوب الناعم ،

والرائحة الطيبة ، والفراش الوطىء ، والنظر الى الحسن من كل شيء . سبع خصال لا توجد معهن غربة : حسن الأدب واجتناب الريب ، وكف الأذى ، وسعة الخلق ، واحتمال الصبر ، وجميل العشرة ، وصحبة الناس على أخلاقهم .

O O O

« فصل من ثمانية »

قال المؤلف : لم أجد فى هذا الفصل حديثاً عن النبى ﷺ
قال على بن أبى طالب رضي الله عنه لإبنه الحسن رضى الله عنه : يابنى احفظ عنى هذه الثمانية خصال لا يضرك ما عملت بهن شيء : أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الحسب حسن الخلق ، وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة الكذاب ، فانه يقرب اليك البعيد ويبعد عنك القريب ، وإياك ومصادقة البخيل إنه يقعد عنك أحوج ما تكون اليه ، وإياك ومصادقة التاجر فإنه يبيعك بالتافه اليسير .

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

ثمانية إن أهينوا فلا يلومن إلا أنفسهم : الآتى الى صنيع لن يدع اليه، والمتآمر على رب البيت فى بيته ، والداخل بين اثنين فى حديث لم يدخلاه فيه ، والمستخف بالسلطان ، والجالس مجلساً ليس له بأهل ، والمقبل بحديث على من لا يسمعه ، وطالب الخير من أعدائه ، وطالب الفضل من اللئام . ثمانية من أضيع الأشياء :عالم بين جهال فلا يسأل عن علمه ، وعلم عند من لا يعمل به ، ورأي صواب عند من لا يقبل منه ، وآلة جهاد عند جبان ، ومسجد عند قوم لا

يصلون ، ومصحف عند من لا يقرأ فيه ، وطول عمر عند من لا يتزود فيه للمعاد . ومال عند من لا ينفق منه فى الحقوق والمواساة . مفاتيح الرزق فى ثمان : فى حسن الخلق ، وحسن الجوار ، ولين الجانب ، وكف الأذى ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وحسن المعونة ، وقبول المعذرة .

ومن الشعر :

ثمانية قام الوجود بها فهل	ترى من محيص للورى عن ثمانية
سرور وحزن واجتماع وفرقة	وعسر ويسر ثم سقم وعافية
بين انقضت أعمار أولاد آدم	فهل من رأى أحوالهم متساوية

OOO

« فصل من تسعة »

فمن الحديث الوارد عن النبي ﷺ :

«وأمرنى ربي بتسع خصال : الإخلاص فى السر والعلن ، والعدل فى الرضى والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفوا عمن ظلمنى ، وأصل من قطعنى ، وأعطى من حرمنى ، وأن يكون نطقى ذِكراً ، وصمتى فكراً ، ونظرى عبرة » .

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم :

تسعة أشياء تحتاج الى تسعة لا تصلح إلا بها ولا تحسن إلا معها: العقل محتاج الى التجارب، والنجدة محتاجة الى الجَد، والحسب محتاج الى الأدب، والسرور محتاج الى الأمن ، والقرابة محتاجة الى الصداقة، والشرف محتاج الى التواضع، والعمر محتاج الى الصحة، والمال محتاج الى الكفاية، والاجتهاد محتاج الى التوفيق. شرط العلم

تسعة: العقل، والفطنة والذكاء، والشهرة، والكفاف من العيش، والفراغ، وعدم المانع، وطول العمر ومعلم عارف سمح .

ومن الشعر :

بتسع ينال العلم .. قوت وصحة ... وحرص وفهم ثاقب في التعلم
ودرس وحفظ للعلوم وهمة ... وشرخ شباب واجتهاد معلم

000

« فصل من عشرة »

فمن الحديث الوارد عن النبي ﷺ :

« سهام الإسلام عشرة خاب من لا سهم له فيها : أولها شهادة أن لا إله إلا الله ، وهى الملة ، والصلاة ، وهي الفطرة والزكاة ، وهي الطهر ، والصيام ، وهو الجُنة . والحج وهو الشريعة ، والجهاد وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والطاعة ، وهى العصمة ، والجماعة وهي الألفة ، والغسل من الجنابة وهى السريرة » .

ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم

عشرة من أخلاق العاقل: الحلم، والعلم، والرشد، والعفاف، والتعاون ، والحياء ، والرزانة ، والمداومة على الخير ، وكراهية الشر ، وطاعة الناصح . ومكارم الأخلاق عشرة: العقل ، والدين ، والعلم ، والحلم ، والصبر ، والصدق ، والشكر ، والجود ، والرفق ، واللين .

ومن الشعر :

إن المكارم أخلاق مطهرة ... فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والصبر خامسها والصدق سادسها

والشكر سابعها والجود ثامنها — والرفق تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم من عيني محدثها — إن كان من حزبها أو من أعاديها
ولست عمري في حالي أصدقها — ولا أرى الرشد إلا حين أعصيها

وقد ضرب بعض الحكماء مثل الحكمة والحكيم الذى يلقيها الى القلوب . فقال : إن الباذر خرج ببذره الطيب ليبذره فنثره فوقع بعضه فى أرض محجرة بل فى جنبات الطريق فلم يلبث أن اختطفه الطير فذهب به ، ووقع بعضه فى أرض محجرة إلا أن عليها ندى وطينا فرسخ البذر فى ذلك الندى والطين ونبت شيئاً حتى إذا وصلت عروقه الى الحجر لم يجد مساغاً ينفذ فيه فتلف وفسد ويبس ، ووقع بعضه فى أرض رخوة إلا أن فيها شوكاً نابتاً فنبت حتى إذا كان عند الإثمار خنقها الشوك فلم يأت بثمره . ووقع بعضه فى أرض طيبة نقية ليست على ظهر طريق ، ولا على حجر ، ولا فيها شوك فنما ، وطاب وزكا نبت وأثمر فجاءت الحبة بأضعاف مضاعفة ، ثم فسره فقال :فالباذر هو الحكيم الزارع الحكمة فى القلوب ، وبذره الطيب هو حكمته وموعظته الحسنة التى يلقيها الى القلوب ، والقلوب فى تلقي ذلك منقسمة الى الأقسام الأربعة المذكورة فمنها القاسى الذى: إذا سمع الحكمة لم يعقد عليها لقساوته فلم يثبت فيه ، ومنها قلب ظاهره رقة ، وباطنه قساوة ، فهو فى أول سماع الحكمة يرق لها ، ويلذ بسماعها ، ويحن الى ذلك بتلك الرقة الظاهرة على قلبه ، ولا يعقد عليها بعزم لقساوته ومنها قلب يسمع الحكمة ويحبها ويحب العمل بها إلا أنه قلب قد امتحن بلصوق الشهوات به حتى صارت له طباعاً ، فإذا عزم على العمل بما سمع اعترضت له تلك الشهوات فمنعته من إقامة وظائفها ، وأفسدت عليه ما سمع فاختلط أمره ولم يتم له مراده . ومنها القلب النقى الصافى العالم بفضل الحكمة المؤثر لها الذى لا همة له فى غيرها ولا شغل له إلا بها ، ولم تعلق به شهوة تناقضها ، ولا داء يقطع عنها ، فهذا القلب تنمى فيه الحكمة إيماناً ، وفهماً ، وحفاظا ، وعلما ، وقولا ، وعملا، وتبلغ به الى أفضل العواقب وأعلى المراتب .

القســم الثــاني

في السؤدد ، والمــروءة ، ومكــارم الأخــلاق ، ومــداراة النــاس والتــأدب معهــم في حالي الغنى ، والإمــلاق

إعلم أنه يجب على الإنسان أن يتخلق بالأخلاق الموجبة للسيادة ويعتنى فى طلب المكارم ، والمجادة ، لا يتشاغل عنها بسواها ولا يصرف همته الى ما عداها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أسرع به عمله لم يبطيء به حسبه ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه » .

قال حكيم لحكيم ما السؤدد؟ فقال: اصطناع العشيرة، واحتمال الجريرة . قال : فما الشرف ؟ فقال : كف الأذى ، وبذل الندى . قال: فما الثناء ؟ فقال : استعمال الأدب . ورعاية الحسب . قال : فما المجد ؟ فقال : احتمال المغارم ، وابتناء المكارم . قال : فما المروءة ؟ فقال : عرفان الحق وتعاهد الصنيعة . قال : فما السماحة ؟ فقال : حب السائل وبذل النائل . قال : فما الكرم ؟ فقال: صدق الإخاء فى الشدة والرخاء .

قال بعض العلمــاء :

الكرم هو إسم واقع على كل نوع من أنواع الفضل ، ولفظ جامع لمعانى السماحة والبذل ، فكل خصلة من خصال الخير وخلة من خلال البر ، وشيمة تعزي الى مكارم الأخلاق ، وسجية تضاف الى محاسن الطبائع والإعراق فهي واقعة على إسم الكرم ، فالكرم أبداً واقع على كل فعل من الأفعال المرضية لازم لكل حال من الأحوال الجليلة السنية . قال رســول الله ﷺ « مكارم الأخلاق عشرة تكون فى الرجل ولا تكون فى إبنه ، وتكون فى الإبن ولا تكون فى أبيه ، وقد

تكون فى العبد ولا تكون فى سيده . يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة . وهي : صدق الحديث وصدق البأس، وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان ، وإعطاء السائل ، والمكافأة بالضائع ، وحفظ الأمانة ، وصلة الرحم ، والتذمم للصاحب ، وقرى الضيف . وأسّهن الحياء » .

ومن المنقول فى تأليفنا كمال البغية والنيل فى باب حفظ السؤدد الواجب على ذى النسب الشريف والمجد الرفيع أن لا يجعل ذلك سلماً الى التراخى عن الأعمال الموافقة لنسبه . والإتكال على آبائه ، فإن أشرف الأنساب يحض على أفضل الأعمال . والشريف بهذا أولى إذا كان الشرف يدعو الى الشرف ، كما أن الحسن يدعو الى الحسن ، وأكثر الممدوحين إنما مدحوا بأعمالهم دون أنسابهم . وقد قال الشاعر فى هاشم بن عبد مناف وهو إمام ذوي الأنساب :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

فمدحه بفعله وإن كان شفيعاً رفيعاً .

واعلم أن الناس أشد تحفظاً على السيد الشريف فى قومه ، وأكثر اجتلاء لأفعاله ، وتصفحاً لأخلاقه ، وتنقيراً عن خصاله منهم عن خامل لا يعبأ به وساقط لا يكترث اليه ، فيسير عيب الرجل الجليل بقدح فيه ، وصغير الذنب يكبر منه .

قال بعضهم : وشرف الوالد جزء من ميراثه منتقل الى ولده كانتقال ماله فان رعى وحرس ثبت وازداد ، وإن أهمل وضيع هلك وباد ، وكذلك شرف الولد يعم القبيلة . وللوالد منه الحظ الأكبر والقسم الأوفر .

قال أبو علي حسن بن رشيق : والذى يقع عليه الإختيار عندهم قول المتوكل الليثي :

إنا وإن أحسابنا كرمت لسنا على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال عامر بن الطفيل :

وإني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثة أبى الله أن أسموا بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها واتقي أذاها وأرمي من رماهابمنقب

وأنشد أبوحيان للمنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر المعافري:

وإني لمقتاد الجيوش الى الوغى أسود تلاقيها أسود حواذر
لسدت بنفسى أهل كل سيادة وفاخرت حتى لم أجد من أفاخر
وما شدت بنياناً ولكن زيادة على ما بنى عبد المليك وعامر
رفعنَا المعالي حديثة وأورثناها في القديم معافر

ومن بديع الإفتخار بالسؤددوحفظه قول السموءل بن عاديا:

صفونا فلم نكدر وأخلص سرنا إناث أصابت حملنا ويعول
علونا الى خير الظهور وحطنا لوقت الى خير البطون نزول
إذا سيد منا خلا قام سيد قول لما قال الكرام فعول

قال أبو علي حسن بن رشيق ، وقد أنكر قدامة أن يمدح الإنسان بآبائه دون أن يكون ممدوحاً بنفسه قال :والذى ذهب إليه حسن . وأنكر الجرجاني علي أبى الطيب المتنبي قوله :

ما بقومي شُرفت بل شرُفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي

قال : وهذا معنى سوء يقصر بالممدوح ويغض من نسبه ، ويحقر من شأن سلفه ، وإنما طريقة المدح أن يجعل الممدوح يتشرف بآبائه ، والآباء تزداد شرفاً به فيجعل لكل منهم فى الفخر حظاً ، وفى المدح نصيباً . وإذا كان هذا لا يجمل ولا يحسن فى الشعر ويعد نقصاً فى معناه ، وهو من قبيل المجازات والتخيلات ، فكيف يجمل بالعاقل أن يرضى ذلك حقيقة فى ذاته ويهمل تأديب نفسه ، ويدع اكتساب المحامد واقتناء المكارم اتكالا على حسب آبائه ، واعتماداً على كرم أسلافه ، ولو لم يسع آباؤه فى طلب المجد وكانوا كسالى عن ذلك لم يكن له بهم فخر ، ولاسيما لهم ذكر ، قال :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل

وقال بعضهم :

تزين الفتي أخلاق وتشينه وتذكر أفعال الفتي حيث لا يدرى

فالأفعال المحمودة ، والأخلاق الجميلة توجب السؤدد ، والرياسة ، والأفعال المذمومة ، والأخلاق الدنيئة تمنع من ذلك ، وقد قال رسول الله (ﷺ) : «إن الله يحب معالى الأخلاق، ويكره سفاسها».

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي: واعلم أن زهر الفضائل، وحسن المناقب وبهاء المحاسن ، وما ضاد ذلك من قبح المثالب، وفحش الرذائل ، كل ذلك يظهر عليك، ويعظم منك بقدر ما أوتيته من علو المنزلة ، وشرف الحظوة فيكون حسنك أحسن ما يكونوقبحك أقبح . فيجب على المرء أن يجهد نفسه فى الإقتداء بصالح سلفه ، ويرغب فى الأعمال اللائقة بمجده ، وشرفه ، وينافس فى المعالى ، ويسارع الى المكارم ليحفظ مزية آبائه الرفيعة ، لا أن يجعل تلك المزية للتقصير ذريعة . قال أبو الطيب :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

وقال ابن المعلى لابنه : تشبه بأهل الفضل تكن منهم وتصنع للشرف تدركه ، واعلم أن كل امرىء حيث يضع نفسه ، وحسبك الحديث الوارد « من تشبه بقوم فهو منهم » قال بعضهم : اعلموا أن مجدكم الذى بناه آباؤكم متى لم تعمروه بأفعالكم خرب وذهب . قال الشاعر :

المجد إن خان التليد طريفه للمدعي فخراً به خوان
حسب الفتى عارا به أن لا يرى إلا بذكر قد به يزدان
وكفاه نبلاً أن يكون لذاته إن شال وزن قديمه رجحان
وأتم ذلك مفخراً ما طابقت في طيهن أرومها الأغصان

قال الإمام أبو بكر بن أبى جمرة : وما أجدر بالأولاد الإقتداء بالآباء والأجداد ، إذ الشرف والمجد لا يكونان إلا

بالآباء: يقال رجل شريف ورجل ماجد إذا كان له آباء متقدمون في الشرف، وأما الحسب والكرم فيكونان في الرجل، وإن لم يكن له آباء كرام لهم شرف: يقال رجل حسيب، ورجل كريم بنفسه، فينبغي للرجل أن يطلب خلال آبائه المحمودة، ويتبعها، ويعلمها، والأصل في ذلك قوله ﷺ: «إرموا يابني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً». وإذا كان هذا في الرمي فما ظنك بغيره؟ قال الله تعالى حاكياً عن الكريم ابن الكريم :«اتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب».

وعلى الجملة ففي معارج النطف على مدارج السلف فخر الشرف ذلك معتبر في النسب عند العجم والعرب. وفي الخبر المرفوع: «من نعمة اللهعلى الرجل أن يشبه والده». ذكر أبوعثمان الجاحظ في كتاب البيان والتبيين أن عمرو ابن سعيد دخل على معاوية بعد موت أبيه وعمرو يومئذ غلام، فقال له معاوية: إلى من أوصى بك أبوك ياعمرو؟ قال إن أبي أوصى إليّ ولم يوصي بي، قال وبأي شيء أوصاك؟ قال أوصاني أن لا يفقد إخوانه منه إلا شخصه، فقال معاوية لأصحابه: إن ابن سعيد هذا لأشرف. قال الشاعر:

إن القديم إذا ما ضاع آخره ... كساعد فله الأيام محطوم

وقال مسلم بن الوليد :

وإذا جهلت من امريء أعرافه ... وقديمه فانظر الى ما يصنع

وقال ابن الرومي :

إذا شئت تعرف أمل الفتى ... أجلِ لحظ طرفك في منظره
فإن لم يبن لك فانظر الى ... أفاعله فهي من جوهره
وإن غاب عنك بهذا وذا ... فلا تطلبن سوى محضره
فان الحاضر سير الرجال ... بها يعرف النذل من مخبره
بلوت الرجال وأخبارهم ... فكل يعود الى عنصره

وقال أبو الفتوح كشاجم :

وإذا افتخرت بأعظم مقبورة ... فالناس بين مكذب ومصدق
فأقم بنفسك لانتسابك شاهداً ... بحديث مجد للقديم محقق

قال بعض الحكماء: من جمع الى شرف أصله شرف نفسه فقد استدعى الفضل بالحجة، ومن أغفل نفسه واعتمد على شرف آبائه فقد عقهم واستحق أن لا يقدم بهم على غيرهم. والإفتخار نوعان: فخر الإنسان بنفسه، وفخره بسلفه، والكمال فى الجمع بين الأمرين. قال الشاعر :

ما السؤدد المكسوب إلا دون ما يومي اليه السؤدد المولود
فاذا هما اجتمعا تكسرت القنا إن غولبا وتضعضع الجلمود

أمافخر الإنسان بنفسه فهوالذى تسميه العرب الخارجى، يريد أنه خرج من أولية كانت له. قال كثير فى الخارجى:

أبا مروان لست بخارجى وليس قديم مجدك بانتحال

وكل من كان لخارجيه ليس له قديم قيل له عصامي، وكذلك من يفخر بالآباء وليس بشريف فى نفسه يقال له عظامي، ولذلك قالوا: كن عصامياً لا عظامياً، أي افتخر بنفسك لا بآبائك الذين ماتوا وبقيت عظامهم.. هذا ترغيب فى الأفعال المحمودة. والأخلاق الجميلة، وهو الذى أراد أبو الطيب بقوله :

ولست بقانع من كل فضل بأن أعزي الى جد همام
وآنف من أخي لأبي وإنى إذا ما لم أجده من الكرام

وعصام المذكور هو عصام بن شهير حاجب النعمان الذي يقول فيه النابغة الذبياني :

فإني لا ألام على دخول ولكن ما وراءك يا عصامي

وفيه قيل :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما
وجعلته ملكاً هماما

أي إنه إنما شرف بهمته وقدره لا لقديم كان له.

قال المأمون لرجل سمعه يفخر بنسبه : أنت عظامي لا عصامي أراد المأمون قول الشاعر :

« نفس عصام سودت عصاما »

وقول آخر :

إذا ما الحى عاش بعظم ميت فذاك العظم حى وهو ميت

ومن وصية الرشيد للمأمون المذكور : لا تتكل على أن تقول : كان أبى الرشيد ، واعمل على ما يتكل عليه من يقول : كان أبى المأمون .

وذكر أبو عثمان الجاحظ : إن زيادة من ظبيان التميمي . قال لابنه عبيدالله بن زياد ، وزياد يومئذ يجود بنفسه ، وعبيدالله غلام: يا بني ألا أوصي بك الأمير ؟ قال لا. قال ولم؟ قال إذا لم يكن للحي إلا وصية الميت فالحي هو الميت .

قال أبو العباس المبرد فى كتاب الكامل قال الكلبي ، قال لى خالد بن عبدالله القشيري: ما تعدون لسؤدد؟ فقلت : أما فى الجاهلية فالرياسة. وأما فى الإسلام فالولاية. وخير من ذا وذاك التقوى . فقال لي صدقت كان أبى يقول : لم يدرك الأول الشرف إلا بالفعل ولا يدركه الآخر إلا بما أدركه به الأول . وانتسب رجل عند رسول الله (ﷺ) حتى بلغ عشرة آباء ، فقال رسول الله (ﷺ): «لا حسب إلا بالتواضع، ولا نسب إلا بالتقوى، ولا عمل إلا بالنية، ولا عبادة إلا باليقين».

قال الشاعر :

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

قال الراعي :

لم أجدعروة الخلائق إلا الد ين لما اختبرت والحسبا

وقال منصور الفقيه :

إذ ا جمع الفتى حسباً وديناً فلاتعدل به أبداً قريناً

قال أبو عمرو بن العلاء: كان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من كانت فيه ست خصال، وتمامها فى الإسلام سابعة: السخاء. والنجدة. والصبر. والحلم. والبيان. والحسب . وفى الإسلام: زيادة العفاف .

وقيل لقيس بن عاصم: بم سودوك قومك؟ قال: بكف الأذى. وبذل الندى . ونصرة المولى .

قال وجيه الدين أبو المطاع بن حمدان :

وما يدعى باسم السيدة سيد ، إذا لم تكن فيه خلائق أربع
يحن إلى العليا ويغضي على القذى ويسخو بما تحوي يداه ويشجع

وقال الأشعث بن قيس يوماً لقومه : إنما أنا رجل منكم ليس لي فضل عليكم لكنى أبسط لكم وجهي ، وأبذل لكم مالي ، وأقضى حقوقكم ، وأحوط حريمكم ، فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ، ومن زاد علي فهو خير منى ، ومن زدت عليه فأنا خير منه. قيل له: يا أبا محمد ما يدعوك الى هذا الكلام . قال حضهم على مكارم الأخلاق . قال رسول الله (ﷺ) : «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ». ولما أتى ﷺبسبايا طيء كانت فى السبايا جارية جميلة فصيحة، فقالت : يا رسول الله بل يا محمد هلك الوالد وغاب الرافد فإن رأيت أن تخلى عنى ، ولا تشمت بي أحياء العرب فإنى بنت سيد قومي ، وكان أبى يفك العاني ويحمى الذمار ، ويقرى الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ولم يردد سائلا قط ،أنابنت حاتم الطائي. فقال رسول الله (ﷺ) « هذه صفة المؤمن ، ولو كان أبوك مسلماً لترحمت عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ». ولما توفى عبد الله بن طاهر صلى عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه وأعتق عند كل زاوية من زوايا قبره رقبة من غلمانه، وفعل ذلك إخوته ودفع كل رجل منهم الى كل غلام خمسمائة درهم ، وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولداً ذكراً، فقال أبو العميثل الإعرابي الشاعر لمصعب بن عبد الله، وكان يختص بطاهر وينادمه ألا أدلك على شيء تفعله فتتقدم به سائر إخوتك عند الأمير طاهر؟ قال بلى ، فأنشده هذه الأبيات ، وقال أكتب بها الى الأمير :

يامن يحاول أن تكون خلاله كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلا قصدتك بالنصيحة وَالذي حجَ الحجيج اليه فاقبل أودع
إن كنت تطمع أن تحل محله في المجد والشرف الأشم الأرفع
فاصدف وعف وبر وانصر واحتمل واحلم ودار وكاف واصبروا خشع
والطف ولن وتأن وارفق واتئد واحزم وجد وحام واحمل وادفع
هذا الطريق الى المكارم مهيئا فأبصر فقد أسلكت قصد المهيع

فاستحسن طاهر الأبيات، وقال : لقد أفدتنى بما يجب به شكرك على فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين،وأكسبه

ألف ألف درهم .

وقد جمعت هذه الأبيات خلال المكارم، وموجبات السؤدد، وتفاريق المروءة ، وكان سلم بن نوفل سيد كنانة فوثب رجل على إبنه وإبن أخيه فجرحهما فأتى به اليه فقال له : من أمنك من انتقامي؟ قال: ما سودناك إلا أنك تكظم الغيظ، وتعفوا عن الزلة، وتحلم عن الجاهل. وتحتمل المكروه. قال صدقت وخلي سبيله . وفى سلم هذا يقول الشاعر :

نسود أقواماً وليسوا بسادة بل السيد المعلوم سلم بن نوفل

قيل لعرابة الأوسي: بم سودك قومك؟ قال بأربع خلال : أنخدع لهم فى مالي،وأذل لهم فى عرضي، ولا أحقر صغيرهم، ولا أحسد كبيرهم ، وفى عرابة الأوسي يقول الشاعر :

رأيت عرابة الأوسي يسمو الى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن

وقال بعضهم :

إن السيادة فاعلمن مؤنة لولا صعوبتها لساد الرذل
ماكل من طلب السيادة نالها ما نالها إلا الجواد المفضل
يمسي ويصبح بالهموم موكلا وأخو المكارم بالهموم موكل
وتراه من طلب المعالي ناحلاً وكذاك من طلب المعالي ينحل

وقال أبو الطيب :

إذا لم يكن للمرء فضل ولم يكن يدافع عن إخوانه لم يسود
وكيف يسود الناس من كان دهره بلا منة منه عليهم ولايد

وكان أسماء بن خارجة الفررى سيد أهل الكوفة، فقال له يوما عبد الملك ابن مروان: ما أشياء تبلغني عنك يا أسماء؟ فقال يحدثك غيرى عنى يا أمير المؤمنين، فقال له عبد الملك وعلى ذلك، فأحب أن أسمعهامنك ياأسماء. فقال أسماء : نعم يا أمير المؤمنين ما مددت بين يدي جليسٍ لي قَط مخافة أن يرى أنى تكبرت عليه، ولا سألنى رجل قَط حاجة فكان أكبر همي من الدنيا ألا أقضى حاجته. ولا أكل رجل عندى قط إلا كان له الفضل على أيام حياتي، ولا ظلمنى رجل قَط بمظلمة

إلا رأيت عقوبته العفو عنه. فقال عبد الملك: حسبك بهذا شرفاً يا أسماء ثم أنشد عبد الملك يقول :

إذا ما مات خارجة بن حصن فلا مطرت على الأرض السماء
ولا رجع الوفود بغنم عيش ولا حملت على الطهر النساء
ليوم منك خير من أناس كثير حولهم نعم وشاء
فبورك في بنيك وبنيهم إذا ذكروا ونحن لك الفداء

وهذه الأبيات لعبد الله بن الزبير الأسدي فى مدح أسماء ابن خارجة المذكور ولها حكاية تتعلق بها ليس هذا الباب موضع ذكرها . قال الشاعر :

والإبن ينشأ على ما كان والده إن العروق عليها ينبت الشجر

قال جميل بن معمر :

أرى كل عود نابتاً في أورمة أبى منبت العيدان أن يتغيرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء صدق يلقهم حيث صيرا

وقال زهير بن أبى سلمى ، فى قصيدته التى مدح بها قوم سنان ابن حارثة المري :

لأرتحلن بالفجر ثم لآدبن الى الليل إلا أن يعرجني طبل
الى معشر لايورث اللؤم جدهم أصاغرهم بل كل مجد له نجل
فما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل

وهذا البيت من أشرد مثل قيل فى شبه البنين بالآباء إن مجداً فمجد ، وإن لؤماً فلؤم . وقال بشر بن هذيل الفزاري وهو أحد قومنا :

ولاتنظري مايعجب العين وانظرى الى عنصر الأحساب أين يلول
فكم قد رأينا من فروع طويلة تموت إذا لم يحيهن أصول

ومن محض النصيحة بمقتضى مضمن هذا الباب قول ابن دريد :

وإنما المرأ حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وكان أبو عمرو بن العلاء يتمثل بقول الشاعر فى معناه

وسيبقى الحديث بعدك فانظر خير أحدوثة تكون فكنها

قال أزدشير :

الأيام صحائف آجالكم فخلدوا فيها أحسن أعمالكم

وقد قال المفسرون فى قول الله عز وجل ، عن خليله ابراهيم ، صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه « **واجعل لي لسان صدق في الآخرين** » أي ثناء حسنا . انتهي .

ومن المنقول فى هذا الفصل . قيل لعدي بن حاتم . ما السؤدد ؟ فقال : يكون السؤدد فى الرجل الأخرق فى ماله . الذليل فى عرضه . المطرح لحقده وقالوا يسود المرء بأربعة أشياء : بالعقل ، والأدب ، والعلم ، والمال .

قال عبيد بن الأبرص :

إذا أنت لم تعمل برئي ولم تطع أولي الرأي أو تسكن الى أمر مرشد
ولم تجتنب ذم العشيرة كلها وتدفع عنهم باللسان وباليد
وتحلم عن جهالها وتحوطها وتقمع عنها نخوة المتهدد
فلست وإن عللت نفسك بالمنى بذي سؤدد باد ولا قرب سؤدد

قال قس بن ساعدة : من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه . قال الشاعر :

لايصلح النا س فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
والبيت لا ينبني إلا بأعمدة ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فإن تجمع أوتاد وأعمدة يوما فقد بلغوا الأمر الذي كادوا
تهدي الأمور بأهل الخير ما صلحت فإن تولت فبالأشرارتنقاد

وقيل لبعض الحكماء : متى يبلغ الرجل درجة الكمال؟ قال : إذا اتقى من خلقه ، وجاد بما رزقه ، فذاك الذي أنهج الى الكمال طرقه . قال ابن سلام :

إذا كنت صباراً لدفع الشدائد وسطوة جبار وجفوة صاحب
ودنت بمنع النفس عن شهواتها ونيل هواها خوف سوء العواقب
فقد حزت أشتات المكارم كلها وأحرزت سبق الفضل من كل جانب

قال علي بن أبى طالب رضي الله عنه : إن الله تعالي جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلا بينكم وبينه، بحسب الرجل أن يتصل اليه بخلق منها. وقال بعضهم : إذا رغبت فى المكارم، فاجتنب المحارم. قال بعض الحكماء: من أخذ نفسه بمكارم الأخلاق، جري من الفضل فى ميدان السباق، فاستوجب حسن الثناء بالإستحقاق، وقالوا: بكثرة الصمت تكون الهيبة، وبعدل المنطق تكون الجلال، وباحتمال السؤدد يجب السؤدد، وبحلمك عن السفيه يكثرأنصارك عليه، وينفى العجب عنك، تأمن الحاسدين، وبترك مالا يعنيك يتم الفضل . والإقتضاء بأهل العقل والنبل ، واجتناب مقاصد أهل النقص والجهل فيتحلي بحسن الشمائل، ويسبق فى مضمار الفواضل .

قال عمرو بن العاص : فى كل شيء سرف إلا فى ابتناء مكرمة واصطناع معروف .

قال الشاعر :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا ... الى المجد حتى عد ألف بواحد

قال الشاعر :

إذا أعجبتك خصال المرء ... فكنه تكن مثل ما يعجبك

فليس على المجد والمكرمات ... إذا جئتها حاجب يحجبك

« الفصل الأول في الأدب»

قالت الحكماء : الأدب أحد المنصفين ، وقالوا : نعم العون لمن لا عون له الأدب . وقال الأحنف : نور العقل كما أن النار فى الظلمة نور البصر، واعلم أن الأدب كما قيل أربعة : أدب لسان ، وأدب جنان ، وأدب زمان، وأدب إيمان . فأدب اللسان : الفصاحة ، والبلاغة ، وذكر ما صدر عن أربابها. وأدب الجنان الإنقياد ، والسهولة، والتزين بهما. وأدب الزمان: سيرة كبراء أهله فى مخاطباتهم وتصرفاتهم ، وحفظ أخبارهم . وأدب الإيمان : ما جاء به الشرع من المحاسن المكملة فى الأخلاق والأقوال والأفعال .

وقال بعض العلماء : الأدب على ثلاثة أقسام : كسبي ، وطبيعي . أما الأدب الطبيعي : فهو ما يفطر عليه اللسان من الأخلاق الحسنة السنية . والاتصاف بالصفات المرضية مثل الحلم والكرم ، وحسن الخلق والحياء ، والتواضع والصدق ، وترك الحسد الى غير ذلك من الصفات المحمودة التى يطول هنا استقصاؤها ، ولا يمكن استيفاؤها وكلها نعم من الله سبحانه على عباده لاشتمالها على المكارم والمآثر ، واحتوائها على المحاسن والمفاخر . أما الأدب الكسبي فهو : ما يكتسبه الإنسان بالدرس والقراءة والحفظ والنظر ، وهوعبارة عن ستة أشياء: الكتاب ، والسنة ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، وأيام الناس .

فأدب الشريعة يؤدى به الفرض ، وأدب سياسة تعمر به الأرض . فأدب السياسة كما قال ابن القرية للحجاج ، وقد سأله: ما الأدب ؟ قال: هو تجرع الغصة حتى تمكن الفرصة . وأدب الشريعة كما قال أعرابي فى مجلس معتمر بن سليمان : أدب الدين هو داعية الى التوفيق ، وسبب الى السعادة وزاد من التقوى ، وهو أن تعلم شرائع الإسلام ، وآداء الفرائض ، وأن تأخذ لنفسك بحظها من النافلة ،

وتؤيد ذلك بصحة النية ، وإخلاص اليقين وحب الخير شافياً به ، مبغضاً للشر نازعاً عنه . ويكون طلبك للخير رغبة فى ثوابه ، ومجانبتك للشر رهبة من عقابه ، فتفوز بالثواب ، وتسلم من العقاب . ذلك إذا اعتزلت الذنوب الموبقات، وآثرت الحسنات المنجيات. وقيل التأدب نوعان : ما يلزم الإنسان فى تأديب ولده، أو فيمن يلزمه تأديبه، وهو أن يأخذه بمباديء الأدب ليأنس بها حتى تصير له كالطبع، وما يلزم الإنسان فى تأديب نفسه . فأما ما يلزم الإنسان فى تأديب نفسه فقسمان: أدب مواضعه واصطلاح، وأدب رياضة واستصلاح. فالأول: ما اصطلح عليه العقلاء، واستحسنه الأدباء. والثاني: ما هو محمول على حال لا يجوز فى العقل أن يكون على خلافها. قال المفضل: رأس الأدب معرفة الرجل نفسه. وقال بعضهم رأس الأدب المنطق . ولا خير فى قول إلا بفعل، ولا فى مال إلا بجود، ولا فى صدق إلا بوفاء . ولا فى فقه إلا بورع . ولا فى صدقة إلا بنية .

لما دخل ضمرة بن ضمرة على المنذر بن ماء السماء ، وهو إذ ذاك ملك الحيرة واليمامة ، وكان ضمرة ذا عقل وعلم ، وحلم وحكمة وشجاعة ، إلا أنه كان دميم الخلقة ، قصير القامة ، وكان ذكره قد شاع فى الآفاق لما فيه من الخصال المحمودة ، فلما رآه المنذر احتقره لدمامة خلقته وقصر قامته . فقال : سماعك بالمعيدي خير من أن تراه . فقال له ضمرة : أيها الملك ليس المرء بحسنه وجماله وبهائه وكماله وهيئته وثيابه، لا والله حتى يشرفه اصغراه ، لسانه وقلبه ، ويعلو به أكبراه همته ولبسه(*). وقد قال الشاعر :

رأيت العز في أدب وعلم ... وفي الجهل المذلة والهوان
وما حسن الرجال لهم بفخر ... إذا لم يسعد الحسن البيان
كفى للمرء عيبا أن تراه ... له وجه وليس له لسان

(*) فأكرمه ورفع منزلته .

وفي هذا المعنى قول بعضهم :

وكائن ترى من صامت لك معـ ـجب زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق وليس له لسان

ودخل المختار بن أبى معاوية ، وكانت عليه عباءة رثة فاستحقره . فقال له المختار : يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك ، ولكن يكلمك من فيها وأنشد :

أما وإن كان أثوابي ملفقة ليست بخز ولا من نسج كتان
فإن في المجد هماتي وفى لغتي فصاحة ولساني غير لحان

وقولهم فلان لاأصل له ولا فصل: الحسب . الفصل : اللسان . قالت الحكماء : جاهك بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال ، وجاهك بالأدب غير زائل . قال علي بن الجهم :

لو قيل لي تملك الدنيا بأجمعها ولا تكون أديباً تحسن الأدبا
لقلت لا أبتغي هذا بذاك ولا أرى الى غيره مستدعياً أربا
لجلسة مع أديب في مذاكرة أنفي به الهم أو أستجلب الطربا
أشهى الي من الدنيا وزخرفها ومثلها فضة أو ملئها ذهباً

وقال بزرجمهر: ما ورث الآباء الأبناء خيراً من الأدب ، لأن بالأدب يكسبون المال وبالجهل يتلقونه . قال الشاعر :

يطيب العيش إن تلقى أديباً غذاء العلم والرأي المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل وفضل العلم يعرفه الأديب

وقالت الحكماء : الأدب أفضل من الحسب لأن الرجل ينطق به فيعرف قبل حسبه. ومن فقد نسبه نهض به أدبه. فالأدب أكرم الجواهر وأنفسها فانه يرفع الخسيس، ويفيد الرغائب، ويعزبغير عشيرة، ويكثر الأنصار بغير روية، فالبسوه حلة وتزينوه حلية، ويؤنسكم فى الوحشة. ويجمع لكم القلوب المختلفة، ويكسيكم خير العاجلة والآجلة. قال شعيب بن شيبة : اطلبوا الأدب فإنه عون على المروءة، وزيادة فى العقل، وصاحب فى الغربة وصلة فى المجلس. وقد جمع الله تعالى لنبيه ﷺ جملة من الأدب فى قوله سبحانه { **إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم**

لعلكم تذكرون } وأمر بذلك عباده فيجب على الإنسان أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ، وأن يهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ، قال أبو بكر بن شيبة : قيل للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : « أأنت أكبر أم رسول الله (ﷺ)؟ قال: هو أكبر مني، وأنا ولدت أسن منه » وقال بعضهم: الأديب من اعتصم بعز الأدب من ذلة الجهل ، ولم يتورط فى هفوة ، وكان أدبه زلفة له فى دنياه وأخراه . وقال عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز : قال لى رجاء بن حيوة : ما رأيت رجلا أكمل أدباً ، ولا أجمل عشرة من أبيك ، وذلك أني سهرت معه ليلة ، فبينما نحن نتحدث إذ غشي المصباح ، وقد نام الغلام ، فقلت له : يا أمير المؤمنين قد غشى المصباح أفنوقظ الغلام ليصلح المصباح ؟ فقال : لا تفعل فقلت : أفتأذن لي أن أصلحه ، فقال : لا لأنه ليس من المروءة أن يستخدم الإنسان ضيفه ، ثم قام هو بنفسه وحط رداءه عن منكبيه ، وأتى الى المصباح فأصلحه وجعل الزيت فيه ، وأشخص الفتيل ، ثم رجع وأخذ رداءه وجلس . ثم قال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز،رضي الله عنه ووصف الشعبي أدب عبد الملك بن مروان ، فقال : والله ما أعرفه قط ، إلا آخذاً بثلاث تاركا لثلاث : آخذاً بحسن الحديث إذا حَدث ، وبحسن الإستماع إذا حُدث وبأيسر المؤنة إذا خولف ، تاركاً للمحاورة مع اللئيم، ومماراة السفيه، ومنازعة اللجوج. قال بعض الحكماء: من لزم الأدب أمن من العطب . وقال بزرجمهر : أفضل منازل الشرف لأهله العلم والأدب . وقال عبدالملك بن مروان لبنيه: يا بني لو عاداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعولون عليه . فقال الوليد : أما أنا ففارس حرب ، وقال سليمان : أما أنا فكاتب سلطان ، وقال ليزيد : فأنت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما زكا غاية لمختار . فقال عبد الملك : فأين أنتم عن التجارة التى هي أصلكم ونسبكم؟ قالوا: تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبة ولا ينجو صاحبها من الدخول فى جملة

الدهماء والرعية . فقال عليكم إذن بطلبالأدب ، فإن كنتم ملوكاً سدتم وإن كنتم وسطاً رأستم ، وإن أعوزتكم المعيشة عشتم . ومن المنقول فى « كمال البغية والنيل » الأدب أدبان : أدب الغريزة ، وهو الأصل وأدب التعلم ، وهو الفرع ، ولا يتفرع شىء إلا عن أصله ، ولا ينمي الأصل إلا باتصال المادة .

قال الشاعر :

ولم أر فرعاً طاب إلا بأصله ... ولم أر بدأ العلم إلا تعلما

وقال آخر :.

من خانه نسب فليطلب الأدبا ... ففيه منبهة إن حل أو ذهبا
فاطلب لنفسك آداباً تعز بها ... حتى تسود بها من يملك الذهبا
إن الأديب ليحي ذكر والده ... كالغيث يحيي نداه حيثما انسكبا

قال ابن داؤود : الأدب المتراد ف خير من النسب المتلاحف، وكان يقال لا زينة أحسن من زينة الأدب، ولا حسب لمن لا أدب له، ولا أدب لمن لا مروءة له، ومن كان من أهل الأدب ممن لا حسب له، فقد يبلغ به أدبه مراتب ذوي الأحساب. قال الشاعر:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك مأثورة عن الحسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي

وتكلم عند عبد الملك بن مروان رجل ، وذهب كل مذهب فأعجب عبد الملك فقال : ابن من أنت ؟ فقال : ابن نفسي التى توسلت بها إليك . قال الشاعر ، فى ما معناه :

أنا ابن نفسي وهمتي حسبي ... ما أنا مولى ولا أنا عربى
إن أنتمى منتم الي أحد ... فانني منتم الى أدبي

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « من قعد به أدبه لم يرفعه حسبه » .

وقال الشاعر :

خير ما ورث الرجال بنيهم أدب صالح وحسن ثناء
ذاك خير من الدنانير والاو راق في يوم شدة ورخاء
تلك تفنى والدين والأدب الصا لح لايفنيان حتى اللقاء

قال محمد بن الحنفية : أفضل ما ورث الآباء الأبناء الأدب النافع والثناء الحسن والإخوان الصالحون . وكان يقال فى الجاهلية الجهلاء : شخص بغير أدب كجسم بلا روح وكلفظ بغير معنى ، وقال بعض العرب : إن لكل شيء ذؤابة، وذؤابة الشرف: العقل والأدب . وإن لكل شيء عروة، وعروة العز : الأدب .

قال الشاعر :

ما وهب الله لامرىء هبة أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فان عدما ففقده للحياة أليق به

وقال الزهيري : لم يركب العز من لم يركب الأدبا . وقال أكثم بن صيفي: أفسد كل حسب من ليس له أدب قال شهاب الدين القرافى : ومن نفاسة الأدب وكثرة جدواه أن قليله خير من كثير العمل . ولذلك هلك إبليس لعنه الله وضاع أكثر عمله بقلة أدبه . نسأل الله تعالى السلامة فى الدنيا والآخرة . وقالوا : حسب الرجل مروءته وحسن فعله . فإذا كان الرجل طاهرالأثواب كثير الآداب ، صلح بصلاحة . وتأدب بأدبه جميع أهله .

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ويعديهم داء الفساد إذا فسدا
يعظم في الدنيا لفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد

من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان قبل وضيعاً ، وبعد صيته وإن كان خاملا وساد ، وإن كان غريباً ، وكثرت الحاجات إليه وإن كان مقتراً . ومن لم تك استفادة الأدب أحب إليه من الأهل والمال لم ينجب .

دخل أعرابي على أبى جعفر المنصور فتكلم فأحسن فأعجبه كلامه . فقال له المنصور : ليس فى كل وقت يمكننى

أن آمر لك بما تحب. فقال والله يا أمير المؤمنين ما استقصر عمرك . ولا أخاف بخلك . ولا أغتنم مالك، وإن سؤالك لزين، وإن عطاءك لشرف فأطال للأمة بقاءك ، وأحسن عنا جزاءك. فأمر المنصور بحشو فمه جواهرا ، وكتبه فى العطاء .

ودخل رجل يوماً على الإسكندر رث الهيئة، فتكلم فأحسن، وسُئل فأصاب الجواب. فقال له الإسكندر: لو أعطيت جسمك حقه من الزينة كما أعطيت نفسك حقها من العلم والمعرفة لأشبه بعضك بعضا، فقال له: أيها الملك أما الكلام فأقدر عليه فإنى مالكه، وأما الزينة فلا أقدر عليها لأنيِ لا أملكها. فعلم أنه محتاج، فخلع عليه وأحسن إليه وقربه .

ودخل بعض العلماء على الرشيد وكان دميم الصورة قصير القامة فاستحقره الرشيد، فقال ما أقبح هذا الوجه فقال العالم : يا أمير المؤمنين إن حسن الوجه ليس مما يتوسل به إلى الملوك . هذا يوسف عليه السلام أحسن الناس وجهاً. قال : اجعلني على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم . ولم يقل : إني حسن الوجه جميل . قال الرشيد : صدقت ارتفع ، فرفع قدره وقربه مجلسه .

ومن الواجب على من عري من الأدب ، وتخلىّ عن المعرفة والفهم . ولم يتحل بالعلم أن يلزم الصمت ويأخذ نفسه به . فإن ذلك حظ كبير من الأدب . ونصيب وافر من التوفيق . لأنه يأمن من الغلط . ويعتصم من دواعي السقط ، فالأدب رأس كل حكمة . والصمت جماع الحكم . قال الشاعر :

وفي الصمت ستر للعي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما

قال ابن عائشة : كان شاب حسن الوجه يجالس الأحنف ويطيل الصمت . فأُعجب به الأحنف فخلت الحلقة يوما فقال له تكلم يا ابن أخى . فقال : يا عم لو أن رجلا سقط من شرافة هذا المسجد، أكان يضره شيء فقال الأحنف ليتنا تركناك مستوراً . قيل لبزرجمهر أي الأشياء خير؟ قال:

عقل يعيش به . فان لم يكن ؟ قال فإخوان يسترون عليه . فان لم يكونوا ؟ قال فمال يتحبب به الى الناس. قيل: فإن لم يكن له مال؟ قال فأدب يتحلى به. قيل : فإن لم يكن ؟ قال : فصمت يسلم به . قيل : فان لم يكن ؟ قال : فموت يريح منه العباد والبلاد . قال يحي بن خالد : ما رأيت رجلا قط إلا هبته حتى يتكلم ، فإن كان فصيحاً عظم شأنه فى صدري. وإن كان مقصراً سقط عن عيني. قال الشاعر:

لسان المرء ينبي عن حجاه ووعي المرء يستره السكوت

وكان يقول : الجمال فى اللسان . والمرء مخبوء تحت لسانه . واعلم أن على الجوارح أدباً . فالصبر ينظر به لإخوانه نظر المودة . والسمع أن يسمع منهم مشتمه لحديثهم. واللسان تكلمهم بما يحبون بمقدار فهمهم وعلمهم . واليدان تكونان مبسوطتين لهم بالبر والمعذرة . والرجلان على حد التبع . ولا يتقدمهم ولا يقعد إلا بقعودهم الى غير ذلك من الأدب . والآداب مع اختلافها تنقل الأحوال وتغير العادات لا يقدر على حصرها . وإنما يعرف الإنسان ما بلغه ووسعه من آداب أهل زمانه . قال ابن مسعود : إن كل مؤدب يجب أن يؤخذ بأدبه ، وأن أدب الله هو القرآن ، ولولا ما قد جبلت عليه النفس من ارتياحها الى أنواع تختلف وارتياحه بل واسترواحها الى فنون تستطرف لكان كتاب الله كافياً . وذكر غيره مستحسناً .

« الفصل الثاني »

في المروءة

إعلم أن المروءة دالة على كرم الأعراق . باعثة على مكارم الأخلاق . وهي مراعاة الأحوال التى يكون الإنسان على أفضلها. قال رسول الله {ﷺ} « من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته ».

وقال {ﷺ}: « لا دين إلا بمروءة » . وقال {ﷺ} : « المروءة فى الإسلام إستحياء المرء من الله أولاً. ثم من نفسه آخراً » .

قال ابن سلام: (حدالمروءةرعي مساعي الشر ورفع دواعي الضر. والطهارة من جميع الأدناس. والتخلص من عوارض الإلتباس. حتى لايتعلق بحاملها لوم ولايلحق به ذم).

وما من شيء يحمل على صلاح الدين والدنياويبعث على شرف الممات والمحيا إلا وهو داخل تحت المروءة . قيل لبعض الحكماء : ما المروءة ؟ قال : طهارة البدن . والفعل الحسن . وقال بعضهم: من سلك المروءة سبيلا. أصاب إلى كل خير دليلا . وسئل بعضهم : أي الخلال أجمع للخير وأبعد من الشر وأحمد للعقبى ؟ فقال الجنوح الى التقوى . والتحيز إلى فئة المروءة . . وقال بعض العلماء : اتق مصارع الدنيا بالتمسك بحبل المروءة واتق مصارع الأخرى بالتعلق بحبل التقوى تفز بخير الدارين . وتحل أرفع المنزلتين. وقال بعضهم : إذا طلب رجلان أمراً ظفر به أعظمهم مروءة .

قال الشاعر :

كمال المروءة صدق الحديث   وستر القبيح عن الشامتينا

قيل للأحنف بن قيس : ما المروءة ؟ قال : صدق اللسان . ومواساة الإخوان. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : رُفع رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى جرم اقترفه ، فأراد معاقبته . فأخبر أن له مروءة ، فقال : استوهبوه من صاحبه . قال رسول الله ﷺ : « تجافوا عن عقوبة ذي المروءة ما لم تبلغ حداً ، وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ».

وأسباب المروءة إنما هي مرتبطة بشرف النفس وعلو الهمة إذا اجتمعا ولم يتفرقا . وقال بعض الحكماء : المروءة سجية جبلت عليها النفوس الزكية . وشيم طبعت عليها الهمم العلية . وضعفت عنها الطباع الدنية . فلم تطق حمل أشراطها السنية . وقال غيره . لا يدرك المروءة إلا من حوى خصالها. وجمع خلالها . وفى ذلك يقول الشاعر:

إن المروءة ليس يدركها امرؤ ... ورث المكارم عن أب فأضاعها
أمرته نفس بالدناءة والخنا ... ونهته عن سبل العلى فأطاعها
فإذا أصاب من المكارم خلة ... يبني الكريم بها المكارم باعها

قال ابن عائشة القرشي: لوْلا أن المروءة متعصب محلها لما ترك اللئام للكرام منها بيته ليلة . وللمروءة وجوه وآداب لا يحصرها عدد ولا حساب . وقلما اجتمعت شروطها قط فى إنسان . ولا اكتملت وجوهها فى بشر . فإن كان فى الأنبياء صلوات اللهعليهم دون سائرهم. وأما الناس فيها فعلى مراتب بقدر ما أحرز كل واحد منهم من خصالها . واحتوى عليه من خلالها. قال بعض الحكماء: لا تفارق الصبر فتعظم عليك البلوى . ولا المروءة فتشمت بك الأعداء.

قال الشاعر :

من فارق الصبر والمروءة ... أمكن من نفسه عدوه .

قيل لعبد الملك بن مروان : كان مصعب بن الزبير يشرب الطلا . قال : لو علم مصعب أن المـاء يفسد مروءته ما شربه . قال الشاعر :

اعفوا عن الأمر القبيح تكرماً | وإن لم أكن حبراً ولا متخشعاً
وأمنع نفسي ما تلذ وتشتهي ولا | اذا أنا يوماً خفت عيناً ومقرعاً
خلت أن المـاء يوما يشينني | لمت ولم أجرع من المـاء مجرعاً

قيل لسفيان بن عيينة : قد استنبطت من القرآن كل شى . فأين المروءة فيه ؟ فقال : فى قوله تعالى:
«خـذ العفـو وأمر بالعـرف وأعـرض عن الجـاهـلين »
ففيه المروءة . وحسن الآداب . ومكارم الأخلاق . فجمع فى قوله خذ العفو صلة القاطعين . والعفو عن المذنبين . والرفق بالمؤمنين . وغير ذلك من أخلاق المطيعين . ودخل فى قوله: { **وأمر بالعرف** } صلة الأرحام وتقوى الله فى الحلال والحرام . وغض الأبصار . والإستعداد لدار القرار . ودخل فى قوله: {**وأعرض عن الجاهلين** } الحض على التخلق بالحلم . والإعراض عن أهل الظلم . والتنزه عن منازعة السفهاء . ومساواة الجهلة والأغبياء . وغير ذلك من الأخلاق الحميدة . والأفعال الرشيدة. وقال الله عز وجل حكايةعن قوم قارون: ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض**﴾ وفيها عين المروءة وحقيقتها . وقال بهرام بن بهرام: «المروءة إسم جامع للمحاسن كلها ». وقال أنو شروان: المروءة أن لا تعمل عملا فى السر تستحى منه فى العلانية. وكان يحي بن خالد يقول: المروءة سعة المنزل . وكثرة الخدم ووطأة الفرش. وطيب الرائحة. والإحسان إلى الحاشية. والإفضال على الإخوان .

وكان الحسن بن سهل يقول : المروءة والشرف فى البشر ولا يصلح للصدر إلا واسع الصدر . وكان الفضل البلعمى يقول : المروءة الجمع بين الدين والدنيا والتوقى من سخط الخالق وذم المخلوقين . وكان عبد الله بن أحمد بن يوسف يقول : المروءة الكبري إطعام الطعام . ومجالسة الكرام.

وقال المهلب: المروءة عشرة أجزاء ، تسعة منها فى المائدة

وجزء منها فى سائر الأشياء. وقال يحي: إذا أردت أن تنظر مروءة المرء فانظر الى مائدته، فان كانت حسنة فاحكم له بالشرف، وإن رأيت تقصيراً فما وراءها خير. وقال أبو منصور الثعالبي : لا مروءة لمن لا يجتمع الإخوان على خوانه . ولا تقع الأجفان . وقال بعضهم : المروءة إدامة الإهداء . وترك الإستهداء . قال أبو منصور : الهداية عمارة المروءة . وهى سنة الرسول ورسم الملوك . واستمالة القلوب . ومفاتيح المودة ، واللطف الأكبر . والبر الأعظم ، وكان يقال : ما أرضي الغضبان ، ولا استعطف السلطان .ولا سلت السخائم ولا دفعت المغارم ، ولا توقى المحزور ، ولا استعمل المهجور . بمثل الهدية . قال الشاعر :

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى وودا وتكسوهم إذا حضروا جمالا

والطيب لسان المروءة . قال محمد بن عبد الله العتيبي: فى الطيب أربع خصال : سنة . ومروءة . ولذة . وقوة . قال المبرد فى كتاب الكامل : ثلاثة تحكم لهم بالشرف والمروءة قبل أن تعرفهم : رجل شممت منه طيباً . ورجل تربيته فى بلاد العجم . وهو يعرب فى كلامه ، ورجل راكب فرسا جوادا. قال بعضهم :

ومن المروءة للفتى ما عاش دار فاخرة
فاقنع من الدنيا بها واعمل لدار الآخرة

ودار الرجل عشه ، وفيها عيشه ، وهي مقر نفسه . ومأوى أهله ومحرز ماله . وموضع أنسه ، ومجمع مروءته . قال أبو الحسن القزويني : من المروءة أن يقعد الرجل فى باب داره وينظر فى دفتر . قالوا : إذا اجتمع فى الدار الحمام والقصر والبستان وخزانة الكتب فقد اجتمع فيها المروءة . قال بعض السلف : المروءة إصلاح المال وحسن التدبير ، وأتعاهد الصنيعة ، والأفضال على الإخوان . وقال أبو منصور : المروءة أن تكون بمالك متبرعاً ، وعن مال غيرك

متورعاً . قال سلمة ابن عبد الملك : ما أعان على مروءة المرء كالمرأة الصالحة . قال الشاعر :

إذا لم يكن في منزل المرء حرة مدبرة ضاعت مروءة داره

وقال بعض الحكماء : المروءة أن لاتدخل ، ولا تسب ، ولا تسن . وسئل مسعر ابن كدام عن المروءة . فقال : ـ النفقة في الدين ، ولزوم المسجد الى أن تطلع الشمس . وسئل عبد الله الفارسي عنها : . فقال : هي التألف . والتظرف . والتنظف ، وترك التكلف ، وأنشد أبو بكر الإسماعيلي :

وإذا جلست وكان مثلك قائماً فمن المروءة أن تقوم وإن أبى
وإذا اتكأت وكان مثلك جالساً فمن المروءة أن تزيل المتكا
وإذا ركبت وكان مثلك ماشياً فمن المروءة إن مشيت كما مشى

قال الإمام أبو الحسن البارودي : الفرق بين العقل والمروءة أن العقل يأمر بالنفع ، والمروءة تأمر بالأجمل ، ولا ينقاد للمروءة إلا من سهلت عليه المشاق رغبة فى الحمد، ولذلك سيد القوم أشقاهم . قال أبو الطيب :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

وقال أيضاً :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

والداعي الى استسهال المشاق : علو الهمة ، وشرف النفس . فعلو الهمة يبعث على التقدم وبشرف النفس يكون قبول التأديب والتهذيب ، وبه تعرف النفس قدرها ، وشروط المروءة وحقوقها ، لاتكاد تحصى لانتشارها وخفاء أكثرها ، ولكن الأظهر منها ينحصر فى قسمين . شروط مروءة المرء فى نفسه وهى العفة ، والنزاهة ، والصيانة ، وشروط مروءة المرء فى غيره، وهي المعاونة، والمياسرة ، والأفضال .

«العفـــة»

وهي إما عن المحارم. وأما عن المآثم . فالعفة عن المحارم ضبط الفرج. وكف اللسان. «أحب العفاف إلى الله عفاف البطن والفرج» والعفة عن المآثم كالكف عن الظلم والخيانة والمكر {ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله} والباعث على الظلم الجرأة والقسوة. قال رسول الله {ﷺ} «من أصبح ولم ينو ظلم أحد غفر له ما اجترم» . وقال علي بن أبى طالب رضى الله عنه: «إتقى دعوة المظلوم فإنه يسأل حقه، وإن الله لا يمنع ذا حق حقه» والخيانة مما تعجل عقوبتها . قال رسول الله {ﷺ}: «أد الأمانة الى من ائتمنك. ولا تخن من خانك» وقال خالد الربعي: قرأنا فى بعض الكتب أن مما تعجل عقوبته الأمانة تخان، والإحسان يكفر، والرحم تقطع والبغي على الناس .

OOO

«النـــــزاهـــة»

وهي إما عن المسامع الدنية. أو عن مواقف الريبة . وكان رسول الله {ﷺ} يقول فى دعائه: «اللهم أعوذ بك من طمع يهدي الى طبع» وفى المعنى . قال الشاعر:

لا تضرعن لمخلوق علي طمع فان ذلك نقص منك في الدين

واسترزق الله مما في خزائنه فإنما هو بين الكاف النون

والباعث على الطمع الشره. وقلة الأنفة، فلا يقنع بما أوتي. ولا يستنكف مما منع. وحسم الطمع باليأس والقناعة. ومواقف الريبة التردد بين منزلتي حسد وذم. والوقوف بين حالتي سلامة وسقم . قال رسول الله {ﷺ}: «دع ما يريبك إلى مالا يريبك» والمانع مما يريب : الحياء والحذر .

وقد تنتفي الريبة بحسن الثقة وترتفع التهمة بطول الخبرة والصلاح ، كما حكى أن بعض الحواريين رأى عيسى عليه السلام وقد خرج من منزل ذات فجور . فقال : يا روح الله ما تصنع هنا؟ قال: الطبيب إنما يداوى المرضى. ووقف رسول الله {ﷺ} مع زوجته صفية ذات ليلة على باب مسجده يحادثها وكان معتكفاً فمر بهما رجلان من الأنصار فأسرعا فقال لهما: على رسلكما إنها صفية بنت حي . فقالا : سبحان الله أيتخالجنا فيك شك يارسول الله ؟ فقال مه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى لحمه فخشيت أن يقذف فى قلوبكما سوءاً . قال أبو بكر الصولي :

حسنت ظني بأهل دهري فحسن ظني بهم دهاني
لا آمن الناس بعد هذا ما الخوف إلا من الأمان

الصيانة : وهي إما بالإقتصاد ، أو بالإستغناء عن الناس، أما الإقتصاد فلأن المحتاج مهتضم ولكن لابد مما يسد الخلة وشروطه ثلاثة : أحدها أخذه من حله . الثانى عدم ابتذال العرض فيه . لأن العرض لايبتذل فى كسبه . الثالث حسن التدبير لأن سوء التدبير فساد .

وقيل الكمال فى ثلاث ، الفقه فى الدين . والصبر على النوائب . وحسن التدبير فى المعيشة . وما فضل من الكفاية مجلبة للشغب والتعب .

وأما الإستغناء عن الناس فلأن تحمل من الناس ذل . والإسترسال فى الإستعانةبهم تثقيل عليهم.قال بعضهم : من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذلك عزته ، وأنشد ثعلب:

من عف خف على الصديق لقاءه وأخو الحوائج وجهه مبذول
وأخوك من وفرت ما في كيسه فاذا استعنت به فأنت ثقيل

ومن دعاه الى الإستعانة اضطراراً ألم أو حادث هجم فلا لوم علي مضطر ، وقد اقترض رسول الله «ﷺ» ثم قضي فأحسن وقال « من أعياه رزق الله حلالا فليستدن على الله ورسوله » .

قال البحتري :

إن لايكن مال ففضل عطية يبلغ بها باغي الرضى بعض الرضى
أو لا تكن هبة فقرض يسرت أسبابه وكواهب من اقترضا

وتذكر شروط مروءة المرء فى غيره :

المعاونة : تكون بالجاه والمال والبدن . قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «الخلق كلهم عيال الله فأحب خلق الله اليه أحسنهم صنيعاً لعياله » . وقال {ﷺ} : « من عظمت نعمة الله عنده عظمة مؤنة الناس عليه ، فمن لم يتحمل تلك المؤنة عرض لزوال تلك النعمة » وعلى المعاون التلقى بالبشر ومجانبة الإمتنان وترك التعرض للتقريع بما كان . قال الشاعر :

ألم تعلما أن الملامة نفعها قليل إذا ما الشيء ولى فأدبرا

قال عليه السلام « اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم » .

قال عدي بن زيد :

كفى زاجرا للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتغتدي

وقال عليه السلام « خير من الخير معطية ، وشر من الشر فاعله ».

والمعاونة واجبة للأهل والإخوان والجيران وتبرع لغيرهم.

« المياســـرة »

وهـي الـعـفـو عـن الـهـفـوات والمـسـامـحـة فـى الحـقـوق والـواجبات فأما الـعفو . عـن الهفوات فشيمـة أهـل الفضل وعنوان ذوي العقل ، وقـد قيل : لا صديق لمن أراد صديقاً لا عيب فيه ، وقيل لأنوشروان : هل من أحد لاعيب فيه ؟ قال من لا موت له . قال أبو العتاهية :

وشـر الأخـاء مـن لـم يـزل   يـعـاتـب طـورا وطـورا يـذم
يريك النصيحة عند اللقا   ويريك في السريري القلم

والهفوات صغائر وكبائر ، فالصغائر مغفورة لتعذر الاحتراس منها ، والكبائر منها ما يقع سهواً وهو هدر ، ومنها ما يقع عمداً ، فان كان مجازاة فلائمةعلى البادى . قال بعض الحكماء : من نالته إساءتك همته مساءتك ، وإن كان لكف عدو فالشر لا يطفأ إلا بالشر ، وإن كان إطفاؤه بالخير أولى .

قال جعفر ابن محمد : كفاك من الله نصراً أن ترى عدوك يعصي الله . وقال البحتري :

فأقسم بالله لا أجزيك بالشر مثله   كفى بالذي جازيتني لك جازيا

وإن كان لكف لئيم كان التغافل أولى : وقيل : شرف الكريم تغافله عن اللئيم . قال رسول الله {ﷺ} : « الناس كشجرة ذات جني ويوشك أن يعودوا كشجرة ذات شوك إن ناقدتهم ناقدوك ، وإن هربت عنهم طلبوك وإن تركتهم لم يتركوك . قيل يارسول الله : كيف المخرج ؟ قال اقرضهم من عرضك ليوم فاقتك ، وقال شر ما فى الكريم أن يمنعك خيره وخير ما فى اللئيم أن يكف عنك شره » . قال ابن بقيلة :

والخير والشر مقرونان في قرن   فالخير متبع والشر محذور

وإن كان تنكرا من صديق عولج بالإغضاء . وقال : دواء المودة كثرة التعاهد . قال كشاجم :

أقل ذا الود عثرته وقفه ... على سنن الطريق المستقيمة
ولا تسرع بمعتبة اليه ... فقد يهفو ونيته سليمة

ومن الناس من يرى متاركة من تنكر كالعضو يقطع إذا فسد لأن رغبتك فيمن يزهد فيك وزهدك فيمن يرغب فيك صغر همه . قيل للمهلب ابن أبي صفرة : بأيهما شئت . ومن حقوق الصفح الكشف عن سبب الهفوة . وهو إما ملل أو زلل فالملل مودة صاحبه ظل غمام وحلم منام فيترك لملله فسينل ويرجع . والزلل ينبغى أن يؤول كما فعل خالد بن صفوان وقد مر به صديقان عرج أحدهما وطواه الآخر ، فقيل له فى ذلك فقال : عرج الواحد لفضيلته وطوانا الآخر لثقته ، فان لم يقبل الزلل تأويلا ووقع عليه ندم فالندم توبة ، ولا ذنب لتائب ، ولا يكلف التائب عذراً .

وقال {ﷺ} : « إياكم والمعاذير فإنها مفاجر ». وقال علي رضي الله عنه : كفى بما يعتذر منه تهمة . ومن عجل العذر قبل توبته قبل عذره فالعذر توبة . قال الشاعر :

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً ... إن بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد أجلك من يعصيك مستتراً

واحلم عن الناس إذا ما كنت مقتدرا فالسيد الحر من يعفوا إذا قدرأو تارك التوبة والإعتذار إن كف عن الإساءة فالكف إحدي التوبتين . والإقلاع أحد العذرن ، وإن استمر علي إساءته، فان أمكن استصلاحه استصلح ، وإلا فآخر الداء الكي ، ومن سل سيف البغي أغمد فى رأسه.

وأما المسامحة فى الحقوق والواجبات فلأن الإستقصاء منفر وذلك لمقت الطباع لمن شاحها، وحب من سامحها. قال رسول الله {ﷺ} : « أجملوا فى طلب الدنيا فان كلا ميسر لما كتب له منها ». وقال {ﷺ} : « ألا أدلكم على شىء يحبه الله ورسوله ؟ قالوا بلى يا رسول الله : قال التغابن الضعيف». واشترى عمرو بن عبيد إزاراً للحسن البصري وكان بستة

دراهم ونصف فأعطى التاجر سبعة دراهم ، فقال : التاجر إنما ثمنه ستة ونصف . قال هو لرجل لا يقاسم أخاه درهماً والمسامحة فى الأموال إسقاط وتخفيف وأنظار ، وفى كلها حسن الثناء ، وجزيل الأجر . قال محمود :

المرء بعد الموت أحدوثة — يفنى وتبقى منه آثاره
فأحسن الحالات حال امريء — تطيب بعد الموت أخباره

الأفضال : وهو اصطناع واستكفاف ، فأما الإصطناع فهو ما أعطاه المرء جوداً لشكور ، أو تألف به نبوة نفور ، ومن قلت صنائعه فى الشاكرين ، وأعرض عن تألف النافرين ، بقى محقوراً وفرداً مهجوراً. قال عمربن عبد العزيز رضي الله عنه ، ما طاوعني الناس على شيء أردته من الحق حتى بسطت لهم طرفاً من الدنيا.

قال إسحق بن ابراهيم الموصلي :

يبقى الثناء وتذهب الأموال — ولكل دهر دولة ورجال
ما نال محمدة الرجال وشكرهم — إلا الجواد بماله المفضال
لا ترض من رجل حلاوة قوله — حتى يصدق ما يقول فعال

قال الأحنف : ما ادخرت الآباء للأبناء ، ولا أبقت الموقى للأحباء ، أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب.

وأما الإستنكاف فكل ما كف به لسان حاسد ، واستدفع ضرر معاند. وقال عليه السلام : « ماوقى المرء به عرضه فهو صدقة » وامتدح الزهري رجل فأعطاه قميصه ، فقيل له : أعطى فى مثل هذا ؟ فقال : إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر ، وشرط عطاء الإستنكاف إخفاؤه حتي لا يطمع فى مثله السفهاء ، وأن يظهر المعطى لما يعطيه وجها قرن العطاء به ، وليغتنم المرء غناه وليأخذ من دنياه لأخراه.

قال رسول الله {ﷺ}: « إغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك ».

« الفصل الثالث »

في المال

إعلم أنه قد يحتاج الزيادة فى المال أهل التكرم والأفضال فالمال على المروءة من أكبر العون ، وللحسب والمجد من أعظم الصون ، وهو يستر العوار وعدمه يطفىء الأنوار . قال بعض العرب : المروءة : طعام مأكول ، ونائل مبذول وبشر مقبول وكلام معسول . وقال احيحة بن الجلاح:

رزقت لبا ولم أرزق مروءته وما المروءة إلا كثرة المال
إذا أردت مساماة تقاعد بي عما ينوه باسمى رقة الحال

قيل : لا مروءة لمقل . قال بعض الحكماء : شر الزمان إذا كانت السماحة عند من لا مال له ، وكان المال عند من لا سماحة له ، وفى ذلك يقول الشاعر :

إذا كان من يعطي فقيرا وذو الغنى بخيلا فمن ذا يستعان على الدهر

قال بعضهم : المال والمروءة رضيعا لبان، وشريكا عنان، وغزيا حصان، وفرسا رهان، رفع الى المنصور كثرة نفقات محمد بن سليمان والى البصرة، فوقع : أعظم الناس مروءة أكثرهم مؤنة . قال بعضهم : لا مروءة إلا بالمال والفعال .

وقال عبد الله بن جعفر بن على بن أبى طالب :

أرى نفسي تتوق الي أمور يقصر دون مبلغهن مالى
فلا نفسي تطاوعني ببخل ومالي ليس يبلغه فعالي
فلا والله ما أحببت مالا لشيء قط إلا للنوال
أفيد ويستفيد الناس مني وما يبقى يصير إلى الزوال

قال بعض الحكماء: الجدة على المروءة منجدة. قال الشاعر:

فلو مد سرورى بمال كثير لجدت ولم ترني باخلا
فإن المروءة لا تستطاع إذا لم يكن مالها فاضلا

وقال ابن نباتة :

مثل خلعت على الزمان رداءة ... عون الدراهم آفة الأجواد

قال غيره :

إحتل لنفسك أيها المحتال ... فمن المروءة أن يري لك مال
إني رأيت الموسرين أعزة ... والمعسرين عليهم الإذلال

فمال الرجل موئله ، وعمدته وعدته ، وجماله ومروءته . وعن هشام ابن عروة عن أبيه إن سعد بن عبادة رضي الله عنه كان يدعو : اللهم هب لى حمداً ، وهب لي مجداً ، لا مجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال . اللهم لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه . وكان رضي الله عنه إذا انصرف من صلاة يقول : اللهم ارزقني مالا أستعين به على فعالي فانه لا تصلح الفعال إلا بالمال .

احتجم داود الطائي فأعطي الحجام دينار ، فقيل له : هذا إسراف فقال: لا عبادة لمن لا مروءة له . قال رسول الله {ﷺ}: «نعم العون على تقوى الله عز وجل هذا المال». وقال {ﷺ} : «نعم صاحب المسلم هذا المال لمن يأخذه بحقه ويجعله فى سبيل الله تعالي » .

وقال {ﷺ} : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » .

قال ابن سلام : ومن الحق الواجب على من ساعدته دنياه وأقبلت عليه وحشدت مسيراتها اليه ، أن يتلقى ذلك بشكر الخالق ، ويقابله بمجد المحسن فيتمثل فى عباده جميل صنعه اليه ، وينشر فيهم جزيل أنعامه عليه ، فيحسن العشرة ، ويحمل الصحبة ، ويقيل العثرة ، ويجبر الكسير ، ويمنح الفقير ، ويعين الضعيف العسيف ، ويأخذ بالعفو ، ويعرض عن السهو الى ما يشبه ذلك ، ويتعلق به من أفعال البر التى تحسن ذكراه ، وتحصن عقباه ، وكما يلزمه أيضاً

ويتعين عليه إذا أعرضت الدنياعنه مواهبها منه أن يتلقى صنيعهابالصبر الجميل، والشكر الجزيل، والرضي بالمقسوم، والتسليم للمحتوم، لما له في ذلك من الأجر المدخور، والثواب الموفور، فما زال الدين مصلحاً لفساد الدنيا مهونا على المؤمن فيها جميع الأشياء، وهو المنفرد بصلاح الآخرة ، المؤدي الى خيراتها الوافرة. فما للعاقل عذر في التخلف عما يجمع له صالح الدارين، ويفوز منه بعلو المنزلين . وقال بعض الحكماء : خير الدارين التقى والغني ، وشر الدارين الفقر والعجز . فأجمل في الطلب فلن يعدوك ما قدر لك ، وكان يقال : الشكر زينة الغني ، والعفاف زينة الفقر . وقال الشبلي : الغني أفضل من الفقر . لأن الغنى من صفات الله تعالى والفقر من صفات المخلوقين ، وصفة الحق التى تجب له أفضل من صفات الخلق التى لا تجوز على الله تعالي . قال رسول الله {ﷺ} : « الحسب المال وبه تبلغ الآمال » . ويقال في المثل : رب شرف عالى الذرى ، ألحقه عدم الشراء بالثري . قال الشاعر :

يغدو الفقير وكل شيء ضده ... والناس تغلق دونه أبوابها
حتي الكلاب إذا رأت ذا ملبس ... هشت اليه وبصبصت أذنابها
وإذا رأت يوماً خاطراً ... هرت عليه وكشرت أنيابها

وقال الآخر :

المال يرفع مالا يرفع الحسب ... والود يعطف مالا يعطف النسب
والحلم آفته الجهل المضر به ... والعقل آفته الإعجاب والغضب

ويروي أن لقمان الحكيم قال لإبنه: يابني استعن بالكسب الحلال على الفقر، فإنه ما افتقر أحد إلا أصابته من هذه الثلاث استخفاف الناس به قال قيس بن عاصم لبنيه: يابني عليكم اصطناع المال، فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم . قال الشاعر : ·

أرى الغنى الناس يسعون حوله ... وإن قال قولا تابعوه صدقوا
فذلك دأب الناس مادام ذا غنى ... فإن زال عنه المال يوماً تفرقوا

وقال آخـر :

إحرص على الدرهم والعين — تنج من العيلة والدين
فإنما العين بإنسانها — وإنما الإنسان بالعين

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حسب الرجل ماله ، كرمه دينه ، ومروءته خلقه . وقال حكيم لإبنه : أطلب المال ، فإنه عز فى قلبك، وذل فى قلب غيرك قال ابن عباس رضي الله عنهما : الدنيا العافية ، والشباب الصحة ، والمروءة الصبر ، والكرم التقوي ، والحسب المال . وقالت الحكماء : يجمع المال ليصان به العرض ، وتحي به المروءة ، وتوصل به الرحم . قال الثوري : المال صلاح المؤمن فى هذا الزمان . وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : يا حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به الى ربي، وقال معاوية : إن الشرف والسؤدد لينتقلان مع الفتى كما ينتقل الظل . قال بعضهم: الغنى حسب من لا حسب له. وقال أرسطاليس: المال علة البقاء للنفس الحيوانية فهو جزء منها ، ولا بقاء للنفس بفساد ذلك الجزء . قال الشاعر:

يسود هذا المال غير مسود — ويحرمه ليث فصبح ثعلبا
وأول من يجفو الفقير لفقره — بنوه ولن يرضوه في فقره أبا
كأن فقير القوم في الناس مذنب — وإن لم يكن من قبل ذلك أذنبا

وقال آخـر :

والمرء يحقر إن قلت دراهمه — وليس ينفعه إن كان ذا حسب

ومن أقوال الحكماء : المال يستر القبايح ، والفقر يحجب المحاسن إلا من رفض الدنيا اختياراً أو تركها تهاوناً لها واستصغاراً . وقالوا : المال يوقر الدنى ، والفقر يذل السنى ويخرس الفصيح اللسان ، ويسلب الحسن من الوجود الحسان واعلم أن تثمير المال آلة للمكارم، وعون على الدين. والمروءة، ومتألف للإخوان . وأن من فقد المال : قلت الرغبة فيه والهيبة له ، ومن لم يكن موضع رغبة أو رهبة استهان به من لا يعرفه ، فاجهد جهدك كله أن تكون القلوب معلقة

بك برغبة أو رهبة فى دين أو دنيا . ولا تجمح بك الرغبة فى الإزدياد من المال الى الطلب المحظور عليك ، فان قليل ما خبث من المال يمحق كثير ما طاب منه . قال الشاعر:

إذا اكتسب المال الفتى من وجوهه ... وأحسن تدبيرا له حين يجمع
وميز فى إنفاقه بين مصلح ... معيشته فيما يضر وينفع
وأرضي به أهل الحقوق ولم يضع ... به الذخر زادا للتي هي أنفع
فذاك الفتى لاجامع المال ذاخراً ... لأولاد سوء حيث جلسوا وأوضعوا

وصاحب الدنيا يطلب ثلاثاً لا يدركها إلا بأربعة : فأما الثلاثة التى يطلب: فالسعة فى المعيشة. والمنزلة فى الناس والمنزلة فى الآخرة. وأما الأربعة التى يدرك بها الثلاثة: فاكتساب المال من أحسن وجوهه، ثم حسن القيام عليه، ثم التثميرله، ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الأهل، والإخوان ويعود فى الآخرة نفعه، فان أضاع شيئا من هذه الأربعة لم يدرك شيئا من الثلاثة. وإن لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به، وإن كان ذا مال واكتساب ولم يحسن القيام عليه يوشك يبقى بلا مال، وإن هو أنفقه ولم يثمره لم تنفعه قلة الإنفاق من سرعة النفاذ، كالكحل الذى إنما يؤخذ على مثل الغبار، ثم هو مع ذلك سريع نفاذه، وإن هو أصلح واكتسب وثمر، ثم لم ينفق المال فى أبوابه كان بمنزلة الذى لا مال له ثم لا يمنع ذلك له من أن يفارقه ويذهب حيث لا منفعة فيه، كحابس الماء الذى تنصب فيه الماء إن لم يخرج منه بقدر ما يدخل فيه فضل وسال من نواحيه فيذهب ضياعاً. قال الله عز وجل لنبيه {ﷺ} : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾.

قال الثوري: من كان فى يده مال فليصلحه فإنه فى زمان أن احتاج اليه أول ما يبذل فيه دينه. وقال بعض الحكماء: آفة المال سوء التدبير. وآفةالكامل من الناس العدم. وقال أرسطاطاليس: الغنى فى الغربة وطن، والفقر فى الأهل غربة.

وفـى كتـاب الـهنـد مـا الـتبـع والأعـوان والأهـل والإخـوان والأصدقـاء والحشـم إلا مـع المال، ومـا يـظهـر المروءة إلا المـال، أمـراً قعد بـه العدم فيبقى مقصراً عمـا أراد كالمـاء الذى يبقى فـى الأوديـة مـن مـطـر الصيـف فـلا يبقى الـى بحـر ولا نهـر ويبقى مكانـه حتـى تـنشفـه الأرض، ووجدت مـن لا مـال لـه لا إخـوان لـه، ومـن لا ولد لـه لا ذكر لـه، ومـن لا عقل لـه لا دنيا لـه ولا آخـرة، ومـن لا مـال لـه لا شـيء لـه لأن الـرجـل إذا افـتـقـر رفـض إخـوانـه، وقـطـعـه ذوو رحـمـه وربمـا اضـطـرتـه الحاجة لـنفسـه وعيالـه الـى الـتمـاس الـرزق بمـا يـغـرر فـيـه بدينـه ودنـيـاه ، فـلا شـيء اشـد مـن الـفـقـر ، الـشجـرة الـنـابـتـة على الـطريـق، المأكولة من كل ناحيـة، أمثـل حالاً مـن الفقيـر المحتاج الـى مـا فـى أيـدى الـنـاس، والـفـقـر داعـيـة الـى مـقـت الـنـاس، ومـسلبـة لـلعقـل والمروءة، ومـذهـب لـلعلـم والأدب، مـوضـع للتهمة، ومـجمـع البلايا، ووجدت الـفقيـر يـسيء بـه الظن من كـان مـؤتمنـا لـه. ولـيس مـن خصـلـة هـى لـلغنـى مدح وزيـن إلا وهـى لـلفقيـر ذم وشـين، فـإن كـان شـجاعـا قـيـل أهـوج، وإن كـان جـواداً قـيل مـفسـد، وإن كـان حـليـمـاً قـيـل ضـعـيـف، وإن كـان وقـوراً قـيل بـليـد، وإن كـان صـمـوتـاً قـيـل غـبـى، وإن كـان بـليغاً قـيل مـهـزار، فالموت أهـون مـن الـفقـر الـذى يـضـطـر صاحبه الى المسألـة، لا سـيـمـا مـسـألـة الـنـاس، فـان الـكـريـم ، لـو كـلـف أن يـدخل يـده فـى فـم الـتـنـين، ويـخـرج مـنـه ممـا يـبـتـلـعـه كـان عليـه أسـهل وأخـف مـن مـسألـة الـبـخيـل الـلئيـم. قـال أكـثـم بـن صيـفى: «كل سؤال وإن قـل أكثـر مـن كل نـوال وإن جل». وقـال بـعض الحكمـاء: مـن أبـدى إلـى الـنـاس فـقـره فـلـيس لـه عـنـدهـم قدر، ومـن أراد أن يـعلـم هـوانـه عـليـهـم فـليـشـك الـيـهـم حـاجـتـه، ومـن استـغـنـي عـنـهـم عـظـمـوه ووقـروه. سـأل رجـل الحـكيـم الـيـونـانـي فـقـال: عـلـمـنـي مـا يـقـربـنـى مـن الله ومـن الـنـاس. فـقـال: أمـا مـا يـقـربـك مـن الله فـمـسـألـتـه، وأمـا مـا يـقـربـك مـن الـنـاس فـتـرك مـسـألـتـهـم . قـال بـعضـهـم : أشـرف المـال مـا قـوى كـريـمـاً عـلـى سـد خلة كريم . وقـالـوا أفضـل المـال مـا قـضـى بـه الحقوق.

وكان يقال شر مالك ما لزمك إثم مكسبه، وحرمت لذة إنفاقه. قال بعضهم: الرزق الواسع لمن لا يستمتع به، بمنزلة طعام موضوع على قبر. وقال على رضي الله عنه : «أفضل المال ماأكسب حمداً ، وأعقب أجراً». قال الشاعر:

ذهاب المال في حمد وأجر ذهاب لا يقال له ذهاب

ومن أمثال الحكماء : خير الأموال ما استرق حراً، وخير الأعمال ما استحق شكراً . وفى كتاب الهند : لينفق ذو المال ماله فى ثلاثة وجوه : فى الصدقة إن أراد الآخرة ، وفي مصانعة السلطان إن أراد الذكر ، وفى النساء إن أراد نعيم العيش . قالت الحكماء : من أصلح ماله فقد صان الأكرمين الدين والعرض . قيل لابن أبى زناد : لم تحب الدراهم وهي تدنيك الى الدنيا ؟ فقال : هي وإن أدنتني منها فقد صانتني عنها . قيل لبعض الحكماء : ما بالنا نجد من يطلب المال من العلماء أكثر ممن يطلب العلم من ذوي الأموال ؟ قال لمعرفة العلماء بمنافع المال ، وجهل ذوي الأموال بمنافع العلم . قال الحاتمي : أشرد بيت قيل فى الحض على طلب الغنى قول كعب ابن سعد الغنوي:

أعص العوازل وأرم الليل عن عرضي بذي شبيب يقاسي ليلة خببا
حتى تمول مالا أو يقال فتى لاقى التى تشعب الفتيان فانشعبا

وفى الأمثال : كاد الحريص يكون عبداً ، وكاد الفقر يكون كفرا ، وكاد البخيل يكون كلباً . وفى الحكم : المال خير مآل ، وقد يشرف الوضيع بالمال . قال الشاعر:

ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى ولم أر مثل المال أرفع للنذل
ولم أر عزاً لامريء كعشيرة ولم أر ذلاً مثل ناء عن الأهل

وقال ابن حبناء التميمي :

الناس أتباع من دانت له النعم والويل للمرء إن زلت به قدم
المال عز ومن قلت دراهمه حي كمن مات إلا أنه صنم
مالي رأيت أخلائي كأنهم آثنان منقبض عني ومحتشم
لما رأيت الذي يبدون قلت لهم أذنبت ذنباً فقالوا ذنبك العدم

وقال آخر :

ألم تعلمى أن الغنى يجعل الفتى سنيا وأن الفقر بالمرء قد يزري
فما رفع النفس الوضيعة كالغنى ولا وضع النفس الرفيعة كالفقر

وقال آخر:

إذا كنت ذا ثروة من غنى فأنت المسود في العالم
وحسبك من نسب صورة تخبر أنك من آدم

قال بزرجمهر : إن كان شيء فوق الحياة فالصحة، إن كان شيء مثلها فالغنى ، وإن كان شيء فوق الموت فالمرض ، وإن كان شيء مثله فالفقر . وقال بعضهم الحاجة الموت الاكبر. وقال مجاهد : الخير فى القرآن كله المال . وقال السري وابن زيد فى قوله تعالى: ﴿ **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرةحسنة** ﴾ إن الحسنة فى الدنيا المال وفى الآخرة الجنة . قال : الدراهم والدنانير خواتم الله فى الأرض حيث قصد بها قضيت حاجتك .قال الشاعر :

وقائلة ما العلم والحلم والحجا وما الدين والدنيا فقلت الدراهم
تداوي جراح الفقر حتى تزيلها فما هي في التحقيق إلا مراهم

قالت الحكماء : الدراهم مواسم تسمى حمداً وذماً ، فمن حبسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ، وما كل من أعطى مالا رزق به جمالا ، ولا كل معدوم مذموم . واتفق الناس على أن ما أحوج من الفقر مكروه ، وما أبطر من الغنى ، واختلفوا فى تفضيل ما سوى ذلك ، ففضل قوم الغني لأن الغني قادر والفقير عاجز ، والقدرة أفضل من العجز ، وهذا مذهب من غلب النباهة . وفضل قوم الفقر ، لأن الفقر تارك ، والغنى ملابس ، وترك الدنيا أفضل من ملابستها ، وهذا مذهب من غلب السلامة . وتوسط قوم ، لأن خيار الأمور أوساطها ، وخير المال التقوى ، وهي الفائدة العظمى والغاية القصوى والأقرب الى السلامة من خداع الدنيا.

قال الشاعر :

يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا

يـقـول المـرء فـائـدتـي ومـالـى وتـقـوى اللـه أفضل مـا استـفـادا

« لما نزل قوله تعالى :

﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم** ﴾ الآية ..

أمر النبي صلي الله عليه وسلم منادياً ينادي :

«من لم يتأدب بآداب الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات » .

« الفصل الرابع »
في التحبب إلى الناس ومداراتهم والمسالمة لهم

اجمعت الحكماء وأهل الفضل على أن السيادة والمروءة وجمع العشرة فى المسارعة الى المعونة ، وفى العفو مع القدرة ، وفى التودد الى الناس ، والتحبب له.

قال رسول الله {ﷺ} « لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن البشر » وقال عليه الصلاة والسلام : « أحب الناس الى الله عز وجل أكثرهم تحبباً الى الناس » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا أحب الله عبداً حببه الى الناس ».

قال الشاعر:

وجه عليه من الحياء سكينة ... ومحبة تجري مع الأنفاس
وإذا أحب الله يوماً عبده ... القى عليه محبة في الناس

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد بن أبي وقاص : إن الله عز وجل إذا أحب عبداً حببه الى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الناس . واعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك . وقالوا: مكتوب فى التوراة : لتكن كلمتك لينة ووجهك بسيطاً ، تكن أحب الى الناس ممن يعطيهم العطاء. وفى المثل: الكلام الحسن مصايد القلوب، والعبوس من طبعه البؤس. وقال أبو دهمان لسعيد بن مسلم وقد وقف الى بابه فحجبه حيناً ثم أذن له، فمثل بين يديه فقال: إن الأمر الذى صار اليك وفى يديك، قد كان فى يدي غيرك فأمسوا حديثاً، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فتحبب الى عباد الله بحسن البشر، ولين الجانب، وتسهيل الحجاب، فان حب عباد الله عز وجل موصول بحب الله ، وبغضهم موصول ببغضه لأنهم شهداء الله على خلقه ، ورقباؤه على من اعوج عن سبيله. وقال أرسطاليس للإسكندر: أعظم ما أوصيك

به أن لا تبغض الى أحد من خلق الله ، فرأس العقل بعد الإيمان التحبب الى الناس كافة . قال الشاعر:

البشر يكسب أهله صدق المودة والمحبة
والتيه يستدعي لصاحبه المذمة والمسبة

وقيل إن معاوية بن أبى سفيان قيل له : من أحب الناس اليك ؟ قال : من كانت له عندى يد صالحة . وقال اليزيدي النحوي : أتيت الى الخليل بن أحمد فوجدته جالساً على طنفسة صغيرة ، فرحب بي ووسع لي ، فكرهت أن أضيق عليه فانقبضت عنه، فأخذ بعضدي ، وقربني من نفسه، وقال لي: إنه لا يضيق سم الخياط بمتحابين ، ولا تسع الدنيا متباغضين ، أخذ هذا المعنى أحمد ابن عبد ربه فقال :

صل من هويت وإن أبدى معاتبة فاحبب العيش وصل بين خلين
واقطع حبائل خدن لاتلائمه فربما ضاقت الدنيا على اثنين

وأقرب منه قول الآخر :

صير فؤادك للمحبوب منزلة سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضاً في معاشرة فقلما تسع الدنيا بغيضين

قال معاذ بن جبل : إذا أحببت رجلاً ، وأخلص له ودك ، ولذوي الفاقة رفد ، وللعامة بشرك ، ولعدوك عدلك ، وشح بدينك وعرضك على كل أحد . قال الشاعر :

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان
وإن أساء سيء فليكن لك في عروض زلته عفو وغفران

قال أبو جعفر المنصور: إن أحببت أن يكثر الثناء الجميل عليك من الناس بغير نائل فالقهم ببشر حسن. قالوا: ثلاثة لايقوم للمرءالرشد إلا فيهن: مشاورة ناصح، ومداراةحاسد، والتحبب الى الناس. وقالوا: التودد الى الناس إحدى الحسنيين . قال رسول الله {ﷺ}: «رأس العقل بعد الإيمان التودد الى الناس». وقالت الحكماء: لا تكمل المروءة إلا بثلاث: قطع الرجاء عما فى أيدي الناس، والصبرعلى أذاهم،

وأن تحب لهم ما تحب لنفسك. قال رسول الله {ﷺ}: «أمرت أن أصلى على سبعة أعظم». وقالت الحكماء: من لم يحسن المداراة للناس نادبه المكروه. وقال بعضهم: مداراة الناس نصف العقل. وقال العتابي : المداراة سياسة لطيفة لا يستغنى عنها ملك ولا سوقة يجتلبون بها المنافع . ويدفعون بها المضار ، فمن كثرت مداراته ، كان فى ذمة الحمد والسلام ، وقال بعضهم : رأس المداراة ترك المراء ، قال الشاعر :

فمن لم يدار الناس قل صديقه … ومن ذمهم كان الغني المذمما
ومن يهن الإخوان لا يكرمونه … ومن يكرم الإخوان كان المكرما

وقال بعضهم: ينبغى للعاقل أن يداري زمانه مداراة السابح فى الماء الجاري . قال الشاعر :

إن ترمك الغربة في معشر … تطابقوا فيك على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم … وارضهم ما مت في أرضهم

وقال آخر :

مادمت حياً فدار الناس كلهم … فإنما أنت في دار المداراة
من يدري ومن لم يدر سوف يرى … عما قليل نديما للندامات

وقال آخر :

دار من تخشى أذاه … وألقه في باب داره
إنما الدنيا مدارا … ة فمن تخشاه داره

وينبغى مداراة العدو وأن يتحرز منه ولا يوثق به، وإنما يدفع بالمداراة إظهار العداوة. قال بعض الحكماء: سالم عدوك ما استطعت وإن كنت ذا قوة وقهر. قال الشاعر :

سالم الناس ما استطعت ودار … أخسر الناس أحمق لا يداري
ضرك الناس ضر نفسك يجني … لا يقوم الدخان إلا النار

قالت الحكماء: المسالم السلامة، وقالوا: سالم تسلم.

قال الشاعر :

سالم جميع الناس تسلم منهم … إن السلامة في مسلمة الورى
وإذا أتاك من امريء يوماً أذى … لا تجزء أبداً بما منه ترى

وقال آخر :

من سالم الناس سالموه وكان في ذمة السلامة

لما قدم حاتم الاصم الى أحمد بن حنبل قال له أحمد بعد بشاشته به : أخبرني كيف التخلص إلى السلامة من الناس؟ فقال له حاتم : بثلاثة أشياء فقال له أحمد : ما هي؟ قال: تعطيهم مالك ولا تأخذ مالهم، وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك، وتصبر على أذاهم ولا تؤذهم ، فقال أحمد: إنها لصعبة قال له حاتم : وليتك تسلم . قالت الحكماء: من غض بصره عن عيوب الناس غضوا أبصارهم عنه.

قال الشاعر:

أحب معالي الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعابا
فمن عز الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابها

قال بعض الحكماء: استشعروا السلامة للناس، وألبسوا لهم اللين، والقوهم بالبشاشة، وعاشروهم بالتودد، وتفضلوا عليهم بحسن الاستماع، وإن كان ما يأتون به نزراً إن لكل امريء عند نفسه قدرا فالقوهم بما يستنبذون به اليكم، وخرجوا عقولكم بأدب كل زمان، واجروا مع أهله على مناهجهم تقل مساويكم، وتسلم لكم أعراضكم، وضعوا عنكم مؤنة الخلاف، واللجاجة فى المنازعة، فربما ورثت الشحناء ونقضت هرم المودة والإخاء، فليكن المرء مقبلا على شأنه، راضيا عن زمانه، سلما لأهل دهره، جاريا على عادة عصره ولا يباينهم بالعزلة فيمقتوه، ولا يجاهرهم بالمخالفة فيعادوه فإن موافقة الناس رشاد، ومخالفتهم ضلال وعناد. وفى المثل: إدمان الخلاف من أسباب التلف. عن ابن عباس رضي الله عنهما:« أن رجلا أتي النبي {ﷺ} فقال: يارسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: أنفعهم للناس، وأن من أحب الأعمال الى الله تعالى سروراً تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تسد عنه جوعاً، ولإن أمشى مع أخ لي فى حاجة أحب الى من أن أعتكف شهرين فى المسجد. ومن كف

غضبه ستر الله عورته. ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضي. ومن مشى مع أخ له فى حاجة حتى يثبتها ثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام. وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل».

وفى المثل: الأخلاق الصالحة، وثمرة العقول الراجحة، فمن لقي الناس بالإحسان، وعاملهم بالأخلاق الحسان، فهو الذى يخف عليهم جانبه، وتخمد انحاؤه ومذاهبه، ولن يعدم منهم حين الثناء، ومن الله جزيل الجزاء، انتهى.

قال الشاعر :

إذا حويت خصال الخير أجمعها ... فضلا وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذي العرش ... تحرزه والشكر من خلقه في السروالعلن

القسم الثالث

في طرف من الحكايات والآداب
الصادرة عن أولي الألباب والأحساب

إعلم أن فى الحكايات والأخبار سلوةللنفوس، وآدابا نافعة للرئيس والمرؤوس والقلوب ترتاح إليهامن شجونها والأذان تصغى لسماع طرفها وفنونها، والوحيد يأنس بمطالعتها والجليس ينبسط بمذاكرتها ومحاضرتها، والطباع تجم بها من مللها ويذهب عنها قلة نشاطها وكثرة كسلها والملو ك يتحفون بها، وينال الجاه والرفعة منهم بسببها. وقال عمر ابن الخطاب: عليكم بطرائف الأخبارفإنها من علم الملوك والسادة وبها تنال المنزلة والحظوة منهم. قال علي رضي الله عنه: قيمة كل امرىء ما يحسن، وقال بعض ملوك الهند لبنيه: اكثروا من النظر فى الكتب وازدادوا فى كل يوم حرفاً، فإن ثلاثة لا يستوحشون فى غربة: الفقيه العالم، والبطل الشجاع، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأي. . وقيل للمأمون: ما ألذ الأشياء؟ قال: التنزه فى عقول الناس، يعنى قراءة أقوالهم. قال محمد بن بشير:

لله من جلساء لا جليسهم ... ولا خليطهم للسوء مرتقب
لا بادرات الذي يخشى رفيقهم ... ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
ابقوا لنا حكماً تبقى منافعها ... أخرى الليالى على الأيام وانشعبوا
إن شئت من محكم الآثار يرفعها ... إلى النبي ثقات خيرة تجب
أو شئت من عرب علما بأولهم ... في الجاهلية تنبيني بها العرب
أو شئت من سيد الأملاك من عجم ... تنبي وتخبر كيف الرأي والأدب
حتى كأني قد شاهدت عصرهم ... وقد مضت دونهم من دهرنا حقب
فصرت في البيت مسروراً تحدثنى ... من علم ما غاب عنا في الورى الكتب
فرداً تخبرني الموتى وتنطق لي ... فليس لي في أناس غيرهم أرب
ما مات قوم إذا أبقوا لنا أدبا ... وعلم دين ولا فاتوا ولا ذهبوا

سأل الرشيد يوماً الأصمعي عن أنساب بعض العرب .

فقال : على الخبير بها سقطت يا أمير المؤمنين، فقال له الفضل بن الربيع : أسقط الله حسك أتخاطب أمير المؤمنين بمثل هذا؟ فكان الفضل على قلة علمه أعرف بما يستعمل فى مخاطبة الخلفاء من الأصمعي مع إمامته، وليس يكمل أدب المرء حتى يعرف المثل السائر والبيت النادر، وما يحكى عن أهل العصور من الأخبار العجيبة، وما وقع لهم من الألفاظ البليغة، والمعانى الغريبة، ففي ذلك العلم بالأمور والعقل المكتسب والأدب الصادر عن ذي المروءة، والحسب لم تزل الحكايات، والأخبار تذكر فى معرض الإعتبار، وتورد موارد الاستبصار، وهذا القسم لا تضبطه الفصول والأبواب ولا يستوفيه مصنف فى كتاب غير أنه يأتى بما يناسب تبويبه ويشاكل تفصيله وترتيبه وإني أذكر هنا من ذلك ما أستحسنه فى فنه واستظرفه واستملحه فى نوعه وأستطرفه فى فصلين اثنين بحول الله وقوته.

الفصل الأول

في الأخبار التي تتعلق بذي الإمرة والسياسة

قال المسعودي فى كتابه « عيون المعارف » مما حفظ من كلام أزدشير عند ما وضع التاج على رأسه أن قال: الحمد لله الذي خصنا بنعمه، وشملنا بفوائده وقسمه، ومهد لنا البلاد، وقاد الى طاعتناالعباد،نحمده حمد من عرف فضل ما أتاه، ونشكره شكر الداري بما منحه وأعطاه. ألا وإنا ساعون فى إقامة منار العدل، وإدرارالفضل، وتشييدالمآثر، وعمارة البلاد، والرأفة بالعباد وزم أقطار المملكة، ورد ما تخرم فى سائر الأيام منها فليسكن طائركم أيها الناس فإني أعم بالعدل وسنةمحمودة، وشريعةموروةوسترون في سيرتنا ما تحمدوننا عليه وتصدق أقوالنا أفعالنا إن شاء الله تعالي.

وكتب أزدشير بن بابك الى الملوك الكائنين بعده: الخراج عمود المملكة، يكنفه نقش الرعية، وحفظ الأطراف والبضة فاختاروا للعمل عليه أولى الطبيعة الحرة وذوى العقل والحنكة، وكفوهم سني الأرزاق تجسسواأنفسهم عن الإرتفاق فما استفرز بمثل العدل، ولا استنذر بمثل الجور. وجعل أنوشروان يوماً للحكماء ليأخذ من آدابهم. فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم من مجلسه: دلونى على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسي وعامة رعيتي فتكلم كل واحد منهم بماحضره من الرأي وأنوشروان مطرق مفكر فى أقاويلهم وانتهى القول الى بزرجمهر بن البختكان. فقال أيها الملك: أنا جامع لك ذلك فى اثنى عشرة كلمة. قال له هات ماهن؟ فقال: أولاهن تقوى الله تعالي فى الشهوةوالرغبةوالرهبة والغضب والهوى فاجعل ما عرض من ذلك كله لله لا للناس. والثانية الصدق فى القول والوفاء بالعدات والشروط والعهود والمواثيق. والثالثة مشورة العلماء فيما يحدث من الأمور .

والرابعة: إكرام العلماء والأشراف وأهل الثغور والقواد والكتاب والخول. والخامسة: التعهد للقضاة والفحص فى العمال محاسبة عادلة ومجازاة المحسن منهم بإحسانه والمسىء ويطلق البريء. والسابعة: تعاهد سبل الناس، وأسواقهم وأسعارهم، وتجاراتهم . والثامنة: حسن تأديب الرعية على الجرائم، وإقامة الحدود، والتاسعة: إعداد السلاح، وجمع آلات الحرب، والعاشرة: إكرام الولد والأهل والأقارب وتفقد ما يصلحهم. والحادية عشرة: إذكاء العيون فى الثغور لعلم ما يتخوف فتؤخذ أهبته قبل هجومه. والثانية عشرة: تفقد الوزراء والخول، والإستبدال بذوي الغش منهم. فأمر أنوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب، وقال: هذا كلام فيه جميع أنواع السياسة الملوكية .

وحدث الفضل بن سهل قال : كانت رسل الملوك إذا جاءت بالهداياتجعل اختلافها الي فكنت أسأل الرجل منهم عن سيرة ملوكهم، وأخبار عظمائهم فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم. فقال: ملك بذل عرفه، وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة، لايبطر جنده ولا تحرج رعيته سهل النوال جرىء النكال، الرجاء والخوف معقودان فى يديه. قلت: فكيف حكمه؟ قال: يرد الظلم، ويردع الظالم، ويعطى كل ذى حق حقه، فالرعية اثنان: راض، ومغتبط. قلت: فكيف هيبتهم له؟ قال: يتصور فى القلوب فتغيض له العيون، قال: فنظر إلي رسول الحبشة، وأنا أصغى اليه وأقبل عليه فسأل ترجمانه ما الذى يقول الرومي فقال: يذكر ملكهم ويصف سيرته فتكلم مع الترجمان بشيء فقال لي الترجمان: إنه يقول إن ملكهم ذو أناة عند القدرة، وذو حلم عند الغضب، وذو سطوة عند المغالبة، وذو عقوبة عند الإجرام، قد كسا رعيته جميل نعمته، وخوفهم خسف عقوبته، فهم يتراؤنه ترائي الهلال خيالاً، ويخافونه مخافة الموت نكالاً، وسعهم عدله، وردعتهم سطوته،إذا أعطى أوسع، وإذا عاقب أوجع. فالناس اثنان: راج، وخائف، فلا الراجي

خائب الأمل، ولا الخائف بعيد الأجل. قلت: فكيف هيبتهم له؟ قال: لا ترفع اليه العيون أجفانها، ولا تتبعه الأبصار إنسانها كأن رعيته قطا رفرفت عليهم صقور صوائد. فحدثت المأمون بهذين الحديثين فقال: كم قيمتهما عندك؟ قلت ألفا درهم. قال: يا فضل إن قيمتهما عندي أكثر من الخلافة، أما عرفت قول علي بن أبى طالب رضي الله عنه: «قيمةكل امريء ما يحسن» أتعرف أحداً من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف أحداً من خلفاء الله الراشدين بمثل هذه الصفة؟ قلت لا، قال: فقد أمرت لهما بعشرين ألف دينار واجعل العذر مادة بيني وبينهما فى الجائزة عن العود، فلولا حقوق الإسلام وأهله لرأيت إعطاءهما ما فى الخاصة والعامة دون ما يستحقانه. سئل رجل من بني أمية عاقل: فقيل له: أخبرنا من أي شيء كان بدء زوال ملككم؟ فقال: سألت فاسمع، وإذا سمعت فافهم: إنا تشاغلنا بلذتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم، وأبرموا أموراً أسروها عنا، وظلمت رعيتنا، ففسدت نياتهم لنا، وجدب معاشنا، فخلت بيوت أموالنا، وقل جندنا، فزالت هيبتهم لنا، واستدعاهم أعداؤنا، فظافروهم علينا، وكان أكبر الأسباب فى ذلك استتار الأخيارعنا.

وقد قال بعض الحكماء: خير الولاة من عدل فى رعيته فيما يخصه منهم وفيما يخصهم منه. فأماالذي يخصه منهم فحسن النظر لنفسه فيما يجب له عليهم من التزام طاعته فلا يبلغ فيه من العنف عليهم منزلة تحمله على الندم فى أمره والبرم لولايته، ولا يبلغ بهم من التراخى والإهمال منزلة تقودهم الى الإستخفاف بأمره، والإخلال بحقه. وأما الذى يخصهم منه فحسن النظر لهم، والرفق بهم، والجري الى مصالحهم بحسن الذب عنهم، ورفع الأيدى المعتديةإليهم، وأخذه بالحق فيما لهم وعليهم وانتصاف المظلوم من الظالم، والمساواة في الحقائق بين القوي والضعيف، والغني والفقير، حتى يعم عدله الكبير والصغير والقريب والبعيد،

كما قال أبوبكر الصديق رضى الله عنه في خطبته:

«إعلموا أنه لا أحد أضعف عندي من القوي حتي آخذ الحق منه، ولا أقوى من الضعيف حتى آخذ الحق له». فمن الحق علي من ملكه الله تعالي على بلاده وحكمه فى عباده: أن يكون لنفسه مالكاً، وللمثوى تاركاً، وللغيظ كاظماً وللظلم كارها، وللعدل فى الرضي والغضب مظهراً، وللحق فى السر والعلانية مؤثراً فإذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته، وأشرب القلوب محبته، فأشرق بنور عدله زمانه، وكان الناس على أعدائه أعوانه .

كتب أبرويز لابنه: يا بني إن كلمة منك تسفك دما، وكلمة تحقن دما، وأمرك نافذ، وكلامك ظاهر، فاحترس فى غضبك من قولك أن يخطيء، ومن لونك أن يتغير ومن جسدك أن يخف، فإن الملوك تعاقب قدرة وتعفو حلماً.

وكتب بعض الصالحين الى بعض الولاة: مثلك أعزك اللهمن تواضع لعظمة الله، وتقرب اليه بما يرضاه، وقدم العدل فى عباد الله فأغاث المستغيث ، وأجار المستجير، وأمن الخائف، وعاد على الراجي، وآثر الحلم فاغتفر ذنوب الجاني طائعاً لله، مقتدياً برسول الله {ﷺ} مستشعراً: أجل عزائم الصبر وأوضح معالم البر، من أسماء الله سبحانه وصفة من صفاته، لأنه جل ذكره يرى عصيان العاصى، ويطلع على جناية الجانين، ويشاهد جور الظالمين، ويحصي ذنوب الخاطئين، فلا يحتجب عنه عمل عامل، ولا يغيب عنه شيء فى عاجل ولا آجل وهولا يعجل بالإنتقام مع القدرة، ولا يستفزه الغضب مع إسهال القوة، ولاتبعثه العجلة على إنفاذ حكمه مع وضوح الحجة، بل يؤثرالأناةوالإمهال ليكون له الفضل والمنة،وحسبنا قوله تعالى:﴿وربك الغفور ذوالرحمة﴾الآية، وقوله تعالي:﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾الآية.قال الشاعر:

لن يدرك المجد أقوام وإن شرفوا ... حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويصفحوا عن كثير من إساءتهم ... لا صفح ذل ولكن صفح أحلام

روي عن الرشيد أنه أحضر رجلاً يوليه القضاء. فقال: ياأمير المؤمنين إنى لا أحسن القضاء، ولا أنا فقيه. فقال الرشيد فيك ثلاث خلال : فيك شرف والشرف يمنع أهله من الدناءات، ولك حلم، والحلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطؤه، وأنت رجل تشاور فى أمرك، ومن شاور كثر صوابه، وأما الفقه فسينضم اليك من تتفقه به. فولي فما وجد فيه طعن. وقال بعضهم من أخلاق الوالي السعيد: أن لا يعاقب أحداً، وهو غضبان لأن هذه حال لا يسلم معها من التعدي والتجاوز بحد العقبة فاذا سكن غضبه ورجع الى طبعه أمر بعقوبته على الحد الذى سنته الشريعة ونقلته الملة فإن لم يكن فى الشريعة ذكر عقوبة ذنبه، فمن العدل أن يجعل عقوبة ذلك الذنب واسطة بين غليظ الذنوب ولينها وأن يجعل الحكم عليه فيه ونفسه طيبة وذكر القصاص منه على بال . . قالت الحكماء: السياسة أن يخلط الوعد بالوعيد، والعطاء بالمنع، والحلم بالإيقاع، فإن اناس لا يصلحون إلا على الثواب، والعقاب، والأطماع والإخافة، ومن أخاف ولم يوقع وعرف بذلك كان كمن أطمع ولم ينجز فخير الخير ما كان ممزوجاً، وشر الشر ما كان صرفاً، وإذا كان الناس إنما يصلحون على الشدة واللين وعلى العفو والإنتقام وعلى البذل والمنع وعلى الخير والشر عاد ذلك الشر خيراً وذلك المنع عطاء وذلك المكروه نفعاً، قال الله عز وجل ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب**﴾ فأسوس الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها ، وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرهبة . قال الحسن :

يا ابن أبي العباس أنت الذي ... سماؤه للجود مدرار
يرجو ويخشى حالتيك الورى ... كأنك الجنة والنار

وقال بعضهم : الرغبة والرهبة أصلان لكل تدبير وعليهما مدار كل سياسة عظمت أو صغرت، بذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتب وأقام الوعد مع الوعيد، والثواب مع العقاب، والرجاء مع المخافة، والعفو مع السطوة. قال عز وجل « **فمن**

يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره». فكل عامل على ثقة مما وعده فتعلقت قلوب العباد بالرغبة والرهبة فاضطرد التدبير واستقامت السياسة لموافقتها ما فى الفطرة ومن ظن أحداً من الخلق فوقه أو دونه يصلح بخلاف ما دبرهم الله عليه خالف الرب فى تدبيره وظن أن رحمته فوق رحمة ربه ولوكان الناس يصلحون على الخير وحده لكان الله عز وجل أولى بذلك الحكم. قال الله تعالي فى محكم كتابه {**إني لا يخاف لدى المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم**}. وتلا مطرف هذه الآية: {**وإن ربك لذو مغفرة للناس علي ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب**} فقال: لو يعلم الناس قدر نعمة الله وعفوه وتجاوزه لقرت أعينهم، ولو يعلمون قدر عذاب الله ونكاله ونقمه وبأسه مارقأ لهم دمع، ولا قرت أعينهم بشيء قال الله سبحانه {**إدعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين**} فوصف فى هذه الآية منزلةالقرب من البعد، فذكر نفسه تبارك وتعالي بأقرب القرب من عبده،وبأبعدالبعد ممن استكبرعن عبادته.

وكان أنو شروان إذا ولي رجلا أمر الكاتب أن يضع فى كتاب العهد موضع ثلاثة أسطر، فيوقع فيها بخطه: سس خيار الناس بالمحبة، وامزج للعامة بالرغبة والرهبة ، وسس سفلة الناس بالمخافة .قال الشاعر :

إذا كنتم للناس أهل سياسة — فسوسوا كرام الناس باللين والبذل
وسوسوا لآم الناس بالذل يصلحوا — على الذل إن الذل يصلح للنذل

لما أراد عمرو بن العاص المسير الى مصر قال لمعاوية: يا أمير المؤمنين إنى موصيك، قال: أجل فأوصنى. قال: أنظر الأحرار فاعمل فى سدها وطغيان السفلة فاعمل فى قمعها، واستوحش من الكريم الجائع، ومن اللئيم الشبعان فإنما يصول الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع. كان زياد إذا ولي رجلاً عملاً قال له: خذ عهدك، وسر الى عملك. واعلم إنك مصروف رأس سنتك، وإنك تصير الى أرفع خلال، فاختر

لنفسك إنا إن وجدناك أمينا ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك، وسلمتنا من معرتنا أمانتك. وإن وجدناك قوياً إستهنا بقوتك، وأحسنا عن خيانتك أدبك، وأوجعنا ظهرك وثقلنا غرمك، وإن جمعت الجرمين علينا جميعاً، جمعنا عليك المضرتين، وإن وجدناك قويا أمينا، وزدنا فى عملك ورفعنا ذكرك، وكثرنا مالك، وأوطأنا عقبك. عزل الإسكندر عاملا عن عمل نفيس، وولاه عملا خسيساً، فقدم عليه بعد حين فقال له: كيف رأيت عملك؟ قال له: أيها الملك إنه ليس بالعمل الكبير ينبل الرجل، ولكن الرجل ينبل عمله به، وإن كان خسيساً لحسن السيرة وإنصاف الرعية. وقال بعض الحكماء: أحسن جبلة الولاة إصابة السياسة، ورأس إصابة السياسة العمل بطاعة الله ، وفتح بابين للرعية: أحدهما رأفة ورحمة وبذل وتحسن، والآخر غلظة ومباعدة وإمساك ومنع . . وكتب عبد الملك الى الحجاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته، فكتب اليه: إنى أيقظت رأيي، وأنمت هواي، فأدنيت السيد المطاع فى قومه ووليت الحرب الحازم فى أمره، وقلدت الخراج لأمانته، وقسمت لكل امرىء من نفسي قسماً. فأعطيته حظاً من نظري، ولطيف عنايتى وصرفت السيف الى النطف المسيء، والثواب الى المحسن البريء، ليخاف المريب صولة العقاب ويتمسك المحسن بحظه من الثواب ، ويرغب أهل العفاف فى أداء الأمانة، ويتجنب أهل النطف والخيانة، وأملت على ذلك من الله النجاة، ومن خليفته المكافأة .. وخطب سعيد بن شريك بحمص فحمد الله وأثني عليه، ثم قال: أيها الناس إن الإسلام حائط منيع، وباب وثيق، فحائط الإسلام الحق، وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتدالسلطان، وليس شدة السلطان قتلا بالسيف، ولا ضرباً بالسوط، ولكن بقضاء بالحق، وأخذ بالعدل . . قال أبو وائل الثقفي: دعاني سليمان بن وهب، وقال لى: إني قدمت حسن الظن بك، والثقة بأمانتك، ووليتك قلادة فى عنقى، فصدق ظنى فيك وحقق ثقتى بك،

ولا تفارق العدل فى المخلوقين ظاهراً، والعدل بينك وبين الخالق باطناً، والله تعالى المستعان، ثم دفع الي رقعة فيها توليتى على بعض الأمور . . وروي المهدي ولى الربيع بن أبى الجهم فارس وقال له: ياربيع انشر الحق، والزم القصد، وارفق بالرعية، واعلم أن أعدل الناس من أنصف من نفسه، وأن أجورهم من ظلم الناس لغيره .. وفي كتاب الهند إنما يسلم العاقل بالأخذ بالأناة. ولا يزال صاحب العلة يجتني منها ثمرةالندامة، وضعف الرأي، وليس أحد أحوج الى التؤدة والتثبت من الملوك، فإن المرأة إنما هى بزوجها، والمولود بأبويه، والمتعلم بمؤدبه، والجند بالقائد، والناسك بالدين والعامة بالملوك، والملوك بالقوي والتقوى بالتثبت، فالحزم للملك معرفةأصحابه،وإنزالهم منزلهم،واتهام بعضهم على بعض، فإنهم يلتميون هلاك بعضهم بعضا، وإظهار مساءة المسيئين وإخفاء إحسان المحسنين :

فلم يستأثروا بكبير جمع	وكانوا للمصالح مؤثرينا
وكان الحزم فيما حاولوه	شعارهم فصاروا مكتفينا
ويسرهم لفعل الخير فيما	اليهم من أمور المسلمينا
وإن يشأ الإله فساد قوم	أتاح لهم أكابر معتدينا
ذوي كبر ومجهلة وجبن	وإهمال لما يتوقعونا
فظلوا يشرهون ويجمعون	وليسوا في العواقب يفكرونا
وجاروا حيث ما أمروا بعد	ل كأن قد قيل كونوا جائرين

قال الحجاج لعبدالملك بن مروان: ياأمير المؤمنين،إنك أعز ماتكون وأحوج ماتكون الى الله ، فإذاعززت بالله فاعف له، فإنك به تقدر، وإليه ترجع. وقال بعض الحكماء: وجدت المسيءالي عبدالله ، ولو أساءالي عبدلأخى لصفحت عنه إكراماً له، فكيف لا أصفح عن مسيءهو عبدالله. قال الشاعر:

إرحم أخي عباد الله كلهم	وانظر اليهم بعين اللطف والشفقة
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم	وراع في كل خلق وجه من خلقه

قال الشعبي : دخلت على ابن هبيرة ، وقد أتى بقوم

فأمر بضرب أعناقهم، فقال له رجل منهم: أيها الأمير، إن الذى جعل السجن كان حكيماً جعله قيدا للعجلة وباباً الى التثبت، وسبباً الى الأناة، فعليك بالتؤدة، وإياك والعجلة فأنت على عقوبتنا أقدر منك على ردها، فأمر بحبسهم، ثم عفا عنهم، وأحسن إليهم .. وفى سير العجم، آثر بالقيادة والسيادة والرياسة أهل الشرف فى المواضيع وأهل القدم والنصيحة والشهرة والنجدة والخبرة بالحروب وحسن المواساة للأتباع ، وسخاء النفس لبذل المال .. قال محمد بن نصر الكاتب:

إذا ما الله شاء صلاح قوم أتاح لهم أكابر مصلحينا
ذوي رأي ومعرفة وفهم وإعداد لما قد يحذرونا

ذكروا أن عبد الملك بن مروان لما ولي إبنه الوليد دمشق عهد إليه بما أحب، ثم قال له: يابني لأبيك صنائع قد رسخت فى المجد أصولها وأورقت فى العلي فروعها، وأنشر عند الناس ذكرها، فلا تهدمن ما قد شرف لك بناؤه، وأضاءلك ضياؤه، فكفى من سوءرأي المرء، وقبيح أثره، وضعة نفسه أن يهدم ما قد شيد له من فضيلة البناء، ورفيع الثناء. إياك وإعراض الأحرار فإن الحر لايرضيه عن عرضه عوض، واجتنب العقوبةفى الإبشارفإنه وتر مطلوب، وعار باق، ولا يمنعك من ذى فضل سبقت إليه صنيعة غيرك أن تصطنعه، فإن صنيعة ذى الفضل شكر تستوجبه، وكنز تدخره، واستعمل أهل الفضل دون أهل الهون، ولا تعزل إلا عن عجز أوخيانة، وليكن جلساؤك غيرأسنانك، فإن الشباب شعبة من جنون، وإن نازعتك نفسك على أخذ شيء من المال، فلا يكن خصمك إلا بيت المال، وليكن رسولك فيما بينى وبينك من يفهم عنى وعنك، وإذا كتبت كتاباً فأكثر النظر فيه فإن الكتاب موضع عقل الرجل، ورسوله وموضع عقله ،واستودعك الله العظيم. قال عمارة الفقير: كنت أجالس عبد الملك بن مروان كثيراً فى ظل الكعبة ، فبينا أنا معه إذ قال لي: ياعمارة إن تعش قليلا فسترى الأعناق مائلة إلي

والآمال نحوي سامية، واذا كان ذلك فلا عليك أن تجعلنى لرجائك بابا، ولأملك ذريعة، فوالله إن فعلت لأملأن يديك غبطة، ولأ كسونك نعمة سابغة قال: ثم إن عبدالملك سار إلى دمشق، وصارت اليه الخلافة، فخرجت اليه زائراً واستأذنت فأذن لي، ودخلت فسلمت عليه، فلما انقضى سلامي. قال: مرحباً يا أخى، ونادى أحد غلمانه. قال: بوئه أحسن مهاده، ونزهه، وآثره على خاصتي. قال ففعل وأقمت عنده عشرين ليلة أحضر غداءه وعشاءه. فلما أردت الإنصراف والأوبة الى أهلي أمر لي بعشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم، ومائة ناقة برقيقها وكسوتها. وقال لي: أتراني يا عمارة ملأت يديك غبطة؟ قال فقلت: يا سبحان الله ياأمير المومنين وإنك ذاكر لذلك. قال نعم : والله لاخير فيمن يذكر ما وعد به، وينسى ما أوعد، كم لهذا الأمر ياعمارة قلت : والله لكأنه بالأمس وله دهر ياأمير المؤمنين، قال : فوالله ما كان ذلك عن خبر سمعناه، ولا حديث كتبناه، ولا أثر رويناه، غير إنى عقلت فى الحداثة أشياء رجوت أن يرفع الله بها درجتي ، وينشر بها ذكري . قلت: وما هي يا أمير المؤمنين، قال نعم كنت لا أشاري ولا أماري، ولا أهتك ستراً ستره الله دوني، ولا أركب محرماًحظره الله علي، لاحسدت ولا بغيت، وكنت من قومي بواسطة القلادة، وكنت أكرم جليسي وإن كان دميماً، وكنت أرفع قدر الأديب، وأكرم ذا الثقة ، وأداري السفيه، وأرحم الضعيف فبذلك رفع الله قدرى، يا عمارة خذ أهبة السفر وامض راشداً .. وروي أن مروان بن الحكم لما ولي إبنه عبد العزيز مصر قال له حين ودعه: إنه يقال إرسل حكيماً ولا توصه ، فانظر الى أهل عملك ، فإن حل لهم قبلك حق غدوة فلا تؤخره عنهم الى العشي، وإن حل لهم عشية فلا تؤخره عنهم الى غد، أعطهم حقوقهم عند محلها فتستوجب بذلك الطاعة، وإياك يا بني أن يظهر لرعيتك منك كذب، فإنهم إن جربوا عليك الكذب لم يصدقوك في

الحق ولا تحابين في القضاء قريبا ولا بعيداً، واقض فى ذلك بالحق، واستشر جلساءك وأهل العلم، فإن لم يستبن لهم فاكتب الى أن يأتيك فيه رأيي إن شاء الله وإن كان لك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذه عند ثورة الغضب واحبس عنه عقوبتك إياه حتى يسكن غضبك، ثم ليكن منك ما كان اليه وأنت ساكن الغضب، منطفيء الحيرة، فإن أول من جعل الحبس كان حليماً ذا أناة ثم أنظر الى أهل الحسب والدين والمروءة والعقول فليكونوا جلساءك وأهل دخلتك ثم اعرف منازلهم منك على غيرهم فى غير استرسال منك ولا انقباض، أقول هذا واستخلف الله عليك.

كان أزدشير يقول: ما شيء أضر على نفس ملك أو رئيس أو ذي معرفة صحيحة من معاشرة سخيف، أو مخالطة وضيع، لأنه كما أن النفس تصلح على مخالطة الشريف الأديب الحسيب، كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها ، ويبينها عن محمود شريف أخلاقها، وكما أن الريح إذا مرت بالطيب حملت طيباً تحي به النفوس، وتقوى به جوارحها، كذلك إذا مرت بالنتن فحملته آلمت النفوس، وأضرت بأخلاقها إضراراً تاماً، والفساد أسرع اليها من الصلاح ، إذ كان الهدم أسرع من البنيان، وقد يجد ذو المعرفة من نفسه عند معاشرة السفل الوضيع شهراً فساد عقله دهراً .. قال بعض الحكماء: أوحش الأشياء رأس صار ذنباً، وذنب صار رأسا. وقال عمرو بن العاص: لإن يموت مائة من الأشراف خير من أن يرتفع واحد من السفلة لأن عرضه إذا ارتفع وضع الأشراف وحط الأقدار.

قال الشاعر :

من كان يرجو أن يرى ... من ساقط أمرا سنيا
فلقد رجا أن يجتني ... من عوسج رطبا جنيا

روي أن معاوية ركب يوماً متجولا فى بعض أزقة دمشق وهو على بغلة شقراء له ومعه المغيرة بن شعبة ، فبينا هما

كذلك إذ عرض لهما شخص من بعيد ، فلما نظرا إليه عمدا نحوه فإذا هو معبدالجهيني، فقال له معاوية: ما الذى أقدمك يا معبد أراغب أم راهب؟ فقال: كل لم يأت لي، ولكن أتيت وارجع زاهداً، فثنى معاوية عنان بغلته. فقال له المغيرة : ماولدت قرشية قرشياً أضعف قلباًمنك. فقال: يا مغيرة أيما أحب اليك، أحلم عنهم ويجتمعون اليّ، أم أسفه عليهم ويتفرقون عنى. فقال المغيرة: لا بل تحلم عنهم ويجتمعون اليك فضرب معاوية بيده على صدر نفسه ثم قال: ما ولدت قرشية قرشياً مثل هذا القلب.

وروي أنه لما ولى الحسن ابن عمارة مظالم الكوفة،أصبح الأعمش يقول ظالم ولي المظالم، فبلغ الحسن بن عمارة قوله، فوجه اليه بنفقة وثياب فلما أصبح الأعمش، قال مثل هذا يولى علينا يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعود على فقيرنا. فقال له رجل من جلسائه: ياأبا محمد ما هذا قولك بالأمس، قال حدثنى خيثمة عن عبد الله بن مسعود، قال «جبلت النفوس على حب من أحسن اليها، وبغض من أساء اليها». قال بعض الحكماء من أراد أن تنقاد له القلوب بالطاعة، ويسعد بقبول ما يأمر به وينهى عنه فليتول ذلك فى نفسه فإن قدر عليها ووقف بها حيث يحب من المحامد. فليثق بسرعة نفاذ أمره فى غيره، وقبول ما يراه ويأمر به، فإن المهذب مطاع والعاجز عن مصلحته مخالف، ولا يحظى بعظته. سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة فأقبل على أصحابه فقال : إذا شئتم فقاموا، فلما خلا المجلس وهيأ الرجل الكلام . قال له عبدالملك عليّ رسلك : إياك أن تمدحنى فأنا أعلم بنفسي منك ،أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب، أو تغتاب عندى أحداً. قال أفتأذن لي فى الإنصراف؟ قال : نعم . قال عبد الله بن العباس : قال لي أبى: إن هذا الرجل، يعنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدنيك ويستخليك دون الناس فاحفظ عنى ثلاثاً: لا تفشين له سراً ولا تغتابن عنده أحداً، ولا يطلعن منك على كذب.

وفي كتاب العجم: أن بعض الملوك استشار وزراءه فقال أحدهم : لاينبغى للملك أن يستشير منا أحداً إلا خالياً به ، فإنه أموت للسر، وأحزم للرأي ، وأجدر بالسلامة، وأعفى لبعضنا من غائلة بعض ، فإن إفشاء السر الى واحد أوثق من إفشائه الى إثنين، وإفشاؤه الى ثلاثة كإفشائه الى العامة لأن الواحد رهن بما أفشي اليه، والثاني يعلق عنده ذلك الرهن. والثالث علاوة ، فإذا كان سر الرجل الى واحد كان أحري أن لايظهره رغبة منه ورهبة وإذا كان عند اثنين دخلت الى الملك شبهة، واتسعت على الرجلين المعارض فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد، وإن اتهمهما اتهم بريئاً بجناية مجرم، وإن عفا كان العفو عن أحدهما، ولا ذنب له.

قال الشاعر :

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوماً وإن كنت من أهل المشورات
فالعين تنظر منها ما دنى ونأى ... ولا ترى نفسها إلا بمرآت

قال الوليد بن عتبة : أسر الي معاوية حديثاً ، فأتيت أبي، فقلت له: إن أمير المؤمنين أسر الي حديثاً ولا أظنه كان يطوي عنك ما بسطه الي أفأخبرك به . قال لا يا بني إن من كتم سراً كان الخيار اليه ، ومن أفشاه كان الخيار عليه ، فلا تكن مملوكاً بعد أن كنت مالكاً . قال : فقلت يا أبت إن هذا لا يدخل بين الرجل وإبنه. قال لا يا بني، ولكن أكره أن يتذلل لسانك بأحاديث السر، فدخلت على معاوية فحدثته بما جرى بيني وبين أبى فقال: ويحك ياوليد، أعتقك أخي من الخطأ.

قال الشاعر:

تحفظ من لسانك فهو عضو ... أشد عليك من وقع اليمان
فلا والله ما في الأرض شيء ... أحق بطول سجن من لسان

قال بعض الحكماء: يجب للوالي أن يعلم أن رأيه لايتسع للأمور كلها فليتفرغ للمهم منها. وليعلم أنه متى شغل نفسه بغير المهم أزري بالمهم. وقالوا: يستدل على إدبار الملك بخمسة أمور: أحدهما أن يستكفي الملك بالأحداث، ومن

لاخبرة له بالعواقب. الثاني: أن يقصدأهل مودته بالأذى. الثالث : أن ينقص خراجه عن قدر مؤنة ملكه. الرابع : أن يكون تقريبه وتبعيده للهوي لا للرأي . الخامس : استهانته بنصائح العقلاء ، وآراء ذوي الحنكة.

وقالوا: رأس أعمال الملك أربعة أشياء: حفظ المملكة، وتحسين الديانة، وإثابة المحسن، وإنصاف المظلوم. قال بعض الحكماء: الدول تشب وتكهل وتخرف، فإذا كان عائدها أكثر مما يستحقه الملك فهي شابة تنذر بطول البقاء وأن كان عائدها بمقدار ما يحتاج اليه فهي مكتهلة، وإن كان عائدها أقل مما يحتاج اليه فهي خرفة متولية. نقل ابن سعيد في كتاب الزهرات: إن المقتدر من خلفاء بنى العباس خلا يوماً ببطانته، فقال: إنا كنا فى أول أمرنا لاننكر من حالنا، ولا من حال الجند، ولا حال الرعية شيئاً، ثم صرنا ننكر حال الرعية، ثم صرنا ننكر حال الرعية والجند، ثم صرنا الآن ننكر الأحوال الثلاث، فليتكلم كل بما عنده. فأطرق الجماعة، فقال: مالكم لا تتكلمون؟ فقال علي بن عيسي بن الجراح :أيد الله أميرالمؤمنين، إن مثل هذا لايقدر أحد من عبيدك أن يتكلم فيه إلا خلوة. قال: فليقعد من عنده جواب عن ذلك، فقاموا وقعد ابن عيسي، ثم قال: سدد الله الآراءالعالية، وأمدها بالمعقبات الحافظة الكالئة، إن هذه الأمور صلاحها واختلالها من قبل الوزراء، وهم ولاة التدبير والنظر فى الجبايات.

فكان أول وزير نظر فى الأعمال،أميناً فى أموالكم، كافياً فى خاصتكم، عادلاً فى رعيتكم ، فلم ينكره مولانا من الأحوال الثلاثة شيئاً إلا أن أكفاءه حسدوه على مكانه من السلطان، وثناء الناس، فتوصلوا بكل سبب الى عزله فكان ذلك ، وولي الثاني فلم يكن له يد من سد المكان الذى أتى منه الأول فاشتغل بمداراة الخاصة وقبل الجاهات ، واحتاج الى المصانعات ، فلم يكن له بد من الميل على الرعية وهي

أول ما يمد اليه اليد فضجت به، فلم يكن لك بد من عزله. وولي ثالث فاحتاج الى سد المكانين، وقد تشعبت الأحوال، وتقلصت الأموال فلم يكن له بد من التغيير لمايحتاج اليه السلطان فعم اختلال . الأحوال الثلاث . فاستحسن المقتدر ما أتى به ، وقال : فما يصلح ما اختل ، ويقبل ما أدبر؟ قال: أن تولي من يقدم خوف الله فتأمن معه الرعية، ثم يخافك فتأمنه فيما يجبيه اليه، وفيما يخرجه عنك، وإذا خاف الله فإنك احتجت أن تسد له مكان الخوف من الناس بكثرة الإستدعاء والعمل بما أشار به، وأن لاتجعل بينك وبينه واسطة، فبهذا تتوفر الأموال، وتصلح الأحوال، وتبسط الأيدي والدعاء ، وتنكف أكف الشفاعات والجاهات. فقال : قد قلدناك ما وراء بابنا، واشترطنا لك ما شرطته لمن يتولي ذلك فيصلح الله على يديه ، فقبل يده وانصرف الى مكان الوزارة ، كان أول ما نطق به أن جعل الخراج أقل من الدخل ، وولى للكفاية لا للعناية ، وبلغ من السياسة والأمانة الى الغاية ، فصلحت الأحوال وتكاثف ما تقلص من الظلال ، وكان على بن بسام قد هجاه لما نفي الى مكة ، فلما ردت اليه الوزارة جلس يوماً للمظالم فمرت به فى جملة القصص رقعة مكتوب فيها :

وافى ابن عيسى وكنت أضغنه أشد شيء على أهونه
ما قدر الله ليس يدفعه وما سواء فليس يمكنه

فقال عيسى بن علي : صدق ، هذا ابن بسام ، والله ما ناله منى مكروه أبداً.

«الفصل الخامس»
في الأخبار التي تتعلق بذوي الهمم والرياسة

حدث محمد بن عبد الأعلى بن هاشم القاضي . قال : كان الوزير سليمان بن وانسوس رجلا جليلا أديبا من رؤساء البربر، وكان أسيراً عند الأمير عبدالله بن محمد صاحب الأندلس من بنى أمية، فدخل عليه يوماً وكان عظيم اللحية فلما رآه مقبلاً جعل الأمير ينشد:

معلوفة كأنها جوالق   نكداء لا بارك فيها الخالق
للقمل في حافاتها تعانق   فيها لباغي المتكا مرافق
وفي احترام الضيف را   نق إن الذي يحملها لمائق

ثم قال له: إجلس يا بربري، فجلس وقد غضب . فقال له أيها الأمير إن الناس يرغبون فى هذه المنزلة ليعفوا عن أنفسهم الضيم ، وأما اذا صارت جالبة للذل فلنا دور تسعنا وتغنينا عنكم ، فإن حلتم بيننا وبينها، فلنا قبور تسعنا لاتقدرون على أن تحولوا بننا وبينها، ثم وضع يديه فى الأرض وقام من غير أن يسلم ونهض الى منزله. قال : فغضب الأمير ، وأمر بعزله عن الوزارة ورفع دسته الذى كان يجلس عليه وبقى كذلك مدة، ثم أن الأمير عبد الله وجد على فقده لعفافه وأمانته ونصيحته وفضل رأيه. فقال للوزراء: لقد وجدت لفقد سليمان تأثيراً، وإن أردت استرجاعه وتبرأ منا كان ذلك غضاضة علينا، ولوددت أن يبدأنا بالرغبة. فقال له الوزير أبو محمد بن الوليد بن غانم: إن أذنت لي فى المسير اليه استنهضته الى هذا، فأذن له فنهض ابن غانم الى دار ابن وانسوس، وكانت رتبة الوزارة بالأندلس أيام بني أمية ألا يقوم الوزير إلا لوزير مثله فإنه كان يتلقاه وينزله معه على مرتبته ولا يحجبه ولا لحظة فأبطأ الإذن على ابن غانم حينا. ثم أذن له فدخل

عليه ، فوجده قاعداً، فلم يتزحزح له ولا قام اليه. فقال له ابن غانم: ما هذا الكبر؟ عهدي بك وأنت وزير السلطان وفى أبهة رضاه تتلقاني على قدم، وتتزحزح لي عن صدر مجلسك، وأنت الآن فى ما وجدته بضد ذلك. فقال له: نعم لأنى كنت حينئذ عبد مثلك، وأنا اليوم حر. قال فيأس ابن غانم منه وخرج ولم يكلمه، ورجع الى الأمير فأخبره، فابتدأ الأمير بالإرسال اليه ورده الى أفضل مما كان عليه .

لماجاءت الخلافة هشام بن عبدالملك سجد شكراً لله وسجد من معه غير الأبرش الكلبي، فقال له هشام: مالك لم تسجد يا أبرش ؟ فقال : مالي وللسجود ياأميرالمؤمنين، بينا أنت صاحبى إذ ذهبت فى السماء وتركتنى . قال : فإن ذهبنا بك معنا أو تفعل؟ قال: نعم . قال: فالآن طاب السجود فسجد .
قال أحمد بن اسماعيل بن علي: كان أبى ومشايخ أهلي يجلسون مع أبى جعفر المنصور، وكان أحداثنا يجلسون دون ذلك ، وكان يتفقد من أمورنا ما كان يتفقد من أمور ولده حتى يستقريء أحدنا ، ويسأله ما بلغ من القرآن فإذا أدرك المدرك منا خيره بين أن يسريه، وبين أن يزوجه ويتعاهدنا حتى يبعث بفاكهة الشام وخراسان. وكنا نصل بالغداة والعشي فنجلس فى مجلسه حتى يخرج إلينا ، وإنا صرنا فى مجلسه ذات يوم كعادتنا، فجلسنا ننتظر خروجه إذ أفاض أبى وعمومتى فى استبطائه، واستئثاره عليهم فأطنبوا فى ذلك، وكان الموكل بالباب سليم الأسود يرفع الستر إذا جاء، فحانت من سليم غفلة، وجاء وهو يتسمع عليهم، ففهم ما هم فيه، ووثب سليم ليرفع الستر فأمسك بيده ومنعه من رفعه حتى استوعب سمعه جميع ما كانوا فيه. فلما انقضى كلامهم أمر سليمان برفع الستر ودخل، فقاموا له كنحو ما كانوا يفعلون ، فقال: ما هذا؟ إنما ينبغى أن تفعلوا هذا بحضرة العامةلتشدوا بذلك سلطانكم. فأما مجالس الخلوة فنحن فيها أخوة ، ثم أمرهم بالجلوس ، وأقبل عليهم وقال : ياعمومتى ويا إخوتى قد سمعت ما

كنتم فيه وقولكم استأثر علينا، ولعمرى،لقد كانٍ ذلك، وما استئثارى عليكم إلا قالكم، ولقمع عدوكم، وإشفاقاً من ذهاب سلطانكم. وزوال أموالكم، وإنما أبكى لكم رقة عليكم، فكأني بالرجل منكم ، ومن أبنائكم ، أو من أبناء أبنائكم بين يدي الرجل من ولدى، أو ولد ولى بنتسب له فلا يعرفه حتى لعله أن يبلغ علي بن عبد الله بن العباس. قال : فذهبوا ليتكلموا، فقال: أقسمت عليكم لما سكتم أفيضوا بنا فى غير هذا الحديث، فقطعهم أن يتكلموا، وضرب الدهر ضرباته ومات المنصور وولي المهدي ومات ، وولي الهادي ثم مات ، وولي الرشيد وخرج الرشيد الى الرقة، ونالتنا جفوة، ولزمنى دين، فخرجت اليه الى الرقة، فكان أول ما لقيت موكباً عظيماً، فقلت : ما هذا؟ فقيل لي هذان وليا العهد: الأمين، والمأمون ، فترجلت وسلمت عليهما فقالا من أنت؟ فقلت أحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وبكيت، فانتهى الخبر من ساعتها الى الرشيد ، فلم أصل الى منزلى حتى لقينى رسول يدعونى، فلما دخلت عليه قال لي: مم بكيت؟ قلت يا أمير المؤمنين، كان من القصة كيت وكيت، وسقت اليه خبر المنصور، فبكيت إذ كنت أنا المبتلغ بذلك دون من ضره. فقال لي: هما أبناء أخيك، وهي عورة فاسترها، ولن تسأل عن نسبك بعد اليوم، ما أقدمك؟قلت : دين لزمنى. قال: وكم هو؟ قلت: عشرون الف دينار، فقال ياغلام : أحملها اليه الساعة، واجعل معها خمسة آلاف دينارلحفظه الحديث عن المنصور، هل من حاجةلك غير ذلك؟ قلت أودع أمير المؤمنين، وانصرفت.

ركب جلال الدولة يوما الى الصيد على عادته، فلقيه سوادي يبكي، فقال له: مالك ؟ فقال : لقينى ثلاثة غلمان أخذوا لي حمل بطيخ كان معى هو بضاعتى ، فقال : امض الى العسكر ، فهناك قبة حمراء فاقعد عندها، ولا تبرح الى آخرالنهار، فأنا أرجع وأعطيك ما يغنيك. فلما عاد السلطان قال لنائبه : إني قد اشتهيت بطيخاً ، ففتش الخيام على

شيء منه وأخذ البطيخ . فقال: عند من وجدتموه؟ قيل له : فى خيمة فلان الحاجب فقال أحضروه فأحضر ، فقال له : من أين هذا البطيخ ؟ فقال : إن الغلمان جاءوابه ، فقال : أريدهم الساعة فأحسوا بالشر فهربوا خوفاً من أن يقتلهم قال : احضروا السوادي فأحضر ، فقال له : هذا هو بطيخك الذى أخذ منك ؟ قال نعم ، فقال : خذه وهذا الحاجب مملوك لي ، وقد سلمته اليك ووهبته لك حين لم يحضر الذين أخذوا البطيخ منك ، والله لئن خليته لأضربن عنقك فأخذ السوادي بيد الحاجب وخرجا ، فاشترى الحاجب نفسه منه بثلاثمائة دينار ، فعاد السوادي الى السلطان ، وقال : يا مولاي قد بعت المملوك الذى وهبت لي بثلاثمائة دينار . قال : ورضيت بذلك ؟ قال نعم . قال : اقبضها وامض بالسلامة.

لما ولي معاويةعمرو مصراحتبس فى بعض الأعوام خراجها عن معاوية ، فعزم على عزله عنها، وأراد استعمال أبى الأعور السلمي عليها، وكتب الى عمرو بالتسليم . فلما بلغ عمرو الخبر أحضر وردان غلامه، فقال له : إن أمير المؤمنين قد عزلنا، واستعمل أبا الأعور، فهل عندك من حيلة؟ قال : نعم ، إذا قدم عليك فاصنع له طعاماً، ولا تنظر له كتاب حتى يأكل، ودعنا نستعمل عليه الحيلة. فلما قدم الأعور على عمرو. قال له : هذا كتاب أميرالمؤمنين. قال عمرو : لو جئتنا بغير كتاب لصدقنا مقالتك. قال انظر فى الكتاب. قال: ما أنا بناظر لك فيه حتى تأكل. فدعا عمرو بالطعام ووضع أبوالأعور كتابه وعهده الى ناحية وأقبل على طعامه فلما أقبل يطلب الكتاب والعهد فلم يجدهما، فقال: أين كتابي وعهدي؟ قال له عمرو: مه يا أبا الأعور، إنما جئتنا زائراً، فنحسن جائزتك ، فاضطرب من ذلك أبو الأعور، ثم صار الى أن قبل الجائزة، وبلغ ذلك معاوية فضحك حتى استلقى، وأقر عمرو علي ما كان عليه من ولاية مصـــر .

حكى بكر بن عبد الله المزني أن رجلا كان يقف على رأس بعض الملوك ويقول أحسن آلى المحسن بإحسانه والمسىء سيكفيكه مساعيه، وكان الملك يحسن اليه ، فحسده رجل من أصحابه على مقامه، وتمنى أن يكون مكانه فى مقامه، فبغى عليه الى الملك أشد البغي، وسعى فى حقه أبلغ السعي، حتى تغير عليه الملك، وكان لا يكتب بخط يده إلا فى صلة أو جائزة ، فكتب بخط يده الى بعض عماله لشدة حنقه: إذا وصلك كتابي هذا، فاذبح حامله، واسلخه واحش جلده تبناً، وابعث به الي، ودفعه الى ذلك القائم على رأسه، فأخذه وخرج به، فلقيه الساعي عليه. فقال له : ما هذا ؟ قال : خط يد الملك الى عامله فلان . فقال هبه لي بفضلك واحينى به ، فإنى محتاج اليه وأنت غني عنه . فرق له ودفعه اليه فأخذه وذهب به فرحاً مسروراً . فلما قرأه العامل قال : أتعرف ما فى كتابك؟ قال صلة الأمير المعلومة من خط يده . قال : بل أمرنى فيه أن أذبحك وأحشوا جلدك تبناً وأرسل به اليه . فقال له : اتق الله فى دمي، فإن الكتاب لم يكن لي، فراجع الملك فى أمري . قال: ليس لكتاب الملك مراجعة إلا إنفاذ أمره لا سيما إذا كان بخط يده ، وأمر بإنفاذ ما فى الكتاب . قال : وجاء ذلك الرجل على عادته وقام على رأس الملك ، وجعل يقول : إحسن الى المحسن بإحسانه والمسيء سيكفيكه مساعيه ، فلما رآه الملك ، قال ما فعل الكتاب الذى كتبت لك بخط يدي؟ قال له لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له . قال له الملك : إنه ذكر لي عنك أمر كذا وسعى عليك بوجه كذا، فأوضح الرجل براءته مما نسب اليه، وبين حكمته فى تكذيب سعيه عليه حتى تبين له أمره ، وظهر عنده صدقه ، وجيء بجلد الباغى محشوا تبناً . فقال الملك : صدقت وصدقت موعظتك ، قم كما أنت تقوم ، وقل كما كنت تقول.

قال الأصمعي: تطاول رجل من قريش على رجل من أخلاط الناس عند عمربن الخطاب رضي الله عنه، فجعل

القرشي يقول: أنا من معتلج البطاح، وأنا وأنا، فغاظ ذلك عمر . فقال له: يا هذا: أن كان لك عقل فلك حسب وإن كان لك خلق فلك شرف، وإن كان لك تقوى فلك كرم، وإلا فلست خيراً من أحد، وذلك الحمار خير منك. ثم قال عمر: إن أحبكم إلينا قبل أن نراكم أحسنكم إسماً، فإذا رأيناكم ، فأحسنكم صمتا، فإذا تكلمتم فأثبتكم منطقاً فإذا اختبرناكم فأحسنكم عملا أحب إلينا، وشركم عملا أبغض إلينا، سرائركم بينكم وبين ربكم.

قال إياس بن معاوية : خرجت فى سفر ومعي رجل من الأعراب. فلما كان فى بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعاتبا، والى جانبهما شيخ من الحي، فقال لهما الشيخ: أنعما عيشاً، إن المعاتبة تبعث التجنى، والتجني يبعث المخاصمة، والمخاصمة تبعث العداوة، ولا خير فى شيء ثمرته العداوة، فقلت للشيخ: من أنت؟ فقال: أنا ابن تجربة الدهر، فقلت : ما أفادك الدهر ؟ قال : العلم به . قلت : فأيته أحمد ؟ قال : أن يبقى المرء أحدوثته حسنة بعده.

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قدم الشام على حمار، ومعه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على حمار، فتلقاهما معاوية فى مركب له ردء فجاوز عمر، حتى أخبر فرجع إليه . فلما قرب منه نزل فأعرض عنه عمر وتركه يمشى . فقال له عبدالرحمن : أتعبت الرجل ياأمير المؤمنين، فأقبل على معاوية. فقال له: أنت صاحب المركب آنفا مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك. قال: نعم ياأمير المؤمنين، قال : ولم ذلك ؟ قال لأنا فى بلاد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو، ولابد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان، فإن أمرتنى بذلك أقمت عليه، وإن نهيتنى انتهيت . فقال : يامعاوية ماعاتبتك فى شيءيبلغنى عنك إلا تركتنى منه فى أضيق من رواحب الضرس ، فإن كان الذى قلت حقاً فرأى أريب ، وإن كان باطلا فخدعة أديب، ولست آمرك به

ولا أنهاك عنه . فقال : عبد الرحمن : يا أمير المؤمنين ، لحسن ما صدر هذا عما أوردته فيه . فقال عمر: لحسن موارده ومصادره جشمناه ماجشمناه.

حكي أنه شكا أهل بعض الأقطار إلى المأمون والياً كان عليهم. فقال لهم: كذبتم فقد صح عندي عدله فيكم، وإحسانه إليكم، فاستحيوا أن يردوا عليه قوله. فقال له شيخ منهم: يا أمير المؤمنين قد عدل فينا خمسة أعوام، فاجعله فى قطر غيره حتى يسع عدله جميع رعيتك وتربح الدعاء الحسن فضحك المأمون واستحي منهم ، وصرفه عنهم .

وقف شقيق بن سليك على الحجاج . فقال : أصلح الله الأمير أعرنى سمعك ، واغضض عني بصرك ، واكفف عنى شرك ، وإن سمعت خطأ أو زللاً فدونك والعقوبة . قال هات قال : عصي عاص من عرض العشيرة ، فحلق على إسمى ، وهدم منزلى ، وحرمت عطائي . فقال الحجاج : أما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يجني عليك وقد	تعدى الصحاح مبارك الجرب
فلرب مأخوذ بذنب عشيرة	ونجا المقارف صاحب الذنب

قال أصلح الله الأمير : سمعت الله عز وجل يقول غير ذلك قال : وما سمعته يقول؟ قال: قال الله العظيم ﴿ **يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين . قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون** ﴾ فقال الحجاج عليَّ بيزيد بن مسلم، فمثل بين يديه، فقال له، إحك لهذا عن إسمه، واصكك له بعطائه، وابن له منزله، وأمر منادياً ينادي : صدق الله ، وكذب الشاعر.

عاد المعلي بن أيوب صديقاً له، فرأى علة وخلة فأسرّ إلى وكيله، فقال اذهب وجئنى بخمسمائة درهم مختومة فى قرطاس، فذهب وجاءه بها ووضعها بين يديه، فدفعها إلى العليل وقال له : هذا دواؤك فاستعمله ونهض، ففتحها

العليل عن منية من المتمنى وغير ماكان من حاله. فلما كان الأسبوع عاده ثانيا فرآه متماثلا نشيطاً، فقال: كيف وجدت الدواء؟ قال : ياسيدي وجدته نافعا لعلتى وحالي . قال : أتريد زيادة ؟ قال: نعم يا مولاي ، فقال للوكيل اذهب وجئنا بمثل ذلك الدواء، فذهب وجاءه بخمسمائة أخري فانشط العليل من عقال العلة، وقال: هذه إعادة حياة لا عيادة.

وكان لعمرو بن سعيد صديق ينقطع اليه، فرأي يوماً ثوبه الذى يلي بدنه من تحت جبته فيه أثر بلي. فلما انصرف من عنده وجه اليه بتخت من ثياب وصرة من دنانير فأخذها الرجل وكتب اليه:

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي	أيادي لم تمنن وإن هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه	ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها	فكانت قذى عينيه حتى تجلت

حكي أنه لما مرض الشافعي رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه . قال لقومه إذا أنا مت ، فقولوا لفلان يغسلني ، فلما توفى وبلغه الخبر . قال : ائتوني بتذكرته ، فجيء بها اليه ، فوجد فيها على الشافعي سبعون ألف درهم دينار لفلان وفلان ، فكتبها الرجل على نفسه، وقال: هذا هو الغسل الذى أراده ... مر الشافعي بسوق الحدادين بمصر ، فسقط قوسه من يده ، فقام رجل من دكانه فأخذه ومسحه بكمه ، وناوله إياه ، فقال الشافعي رضى الله عنه لغلامه كم معك ؟ قال سبعة دنانير ، فقال له : إدفعها اليه.

خرج سعيد بن العاصي يوما من عيادة مريض ، فرآه شاب من قريش يمشى وحده فماشاه حتى بلغ باب داره . فلما انتهى الى باب الدار التفت اليه فقال له : ألك حاجة ؟ قال : ما لي حاجة ، ولكنى رأيتك تمشى وحدك فأحببت أن أصل جناحك ، فقال : بارك الله فيك مكانك ، ثم دخل الى منزله فأخرج اليه بدرة فيها عشرة آلاف درهم فدفعها اليه.

مر يزيد بن المهلب بأعرابية عقب خروجه من سجن عمر

ابن عبد العزيز يريد البصرة فقرته عنزاً ، فقبلها وقال لإبنه معاوية: ما معك من النفقة؟ قال : ثمانمائة دينار، فقال : إدفعها اليها، فقال إبنه: إنك تريد الرجال، ولا يكون الرجال إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهي بعد لا تعرفك. قال : فإن كانت ترضي باليسير فإنا لا نرضى إلا بالكثير ، وإن كانت لا تعرفني ، فأنا أعرف بنفسي ، إدفعها اليها.

حكى أن رجلاً أتى على بن سليمان فقال له : بالذى أسبغ عليك هذه النعم من غير شفيع كان لك اليه إلا تفضلاً منه عليك إلا أنصفتني من خصمى؟ وأخذت لي الحق منه ، فإنه ظلوم غشوم ، لايستحى من كبير ، ولا يلتفت الى صغير ، فقال له : إعلمنى من هو ؟ فإن لم ينصفك ، وإلا أخذت الذي فيه عيناه ، من هو ؟ قال : الفقر ، فأطرق الى الأرض ملياً ينكت الأرض بأصبعه ، ثم رفع رأسه فأمر له بعشرة آلاف دينار فأخذها ومضى ، فلما سار خارجاً منه قال ردوه . فلما مثل بين يديه قال : يا هذا الرجل : سألتك بالله متى أتاك خصمك متعسفاً ، إلا أتيت الينا فيه متظلماً.

قدم أعرابي على علي بن أبى طالب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين لي إليك حاجةيمنعني الحياء أن أذكرها لك فقال له: يا أعرابي خطها فى الأرض فخط فيها: إنى فقير، فقال علي لغلامه قنبر إكسه حلتى، فكساه الحلة فأنشد الأعرابي:

كسوتني حلة تبلى محاسنها	فسوف أكسوك من حلل الثناءحللا
إن نلت حسن ثناء نلت مكرمة	ولست تبغي بما قد نلته بدلا
إن الثناء ليحي ذكر صاحبه	كالغيث يحي نداء السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به	كل امريء سوف يجزى بالذي فعلا

فقال علي لغلامه: أعطه مائة دينار فأعطاه إياها. فلما ولي الأعرابي، قال له قنبر : يا أمير المؤمنين لو فرقتها فى المسلمين لأصلحت بها من شأنهم. فقال له علي: مه ياقنبر لاتفعل، أصحابي معى لست أنساهم مع أنى سمعت

رســـول ﴿ﷺ﴾يقول : «تشكروا لمن أثنى عليكم، وإذا أتاكم كريم قوم فاكرموه».

قال أعرابي لداود بن يزيد المهلبي: إني لم أصن وجهي عن مسألتك فصن وجهك عن ردي، وضعني من كرمك حيث وضعت نفسي من الثقة بك فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال له : هي أكبر من قدرك ، فقال له الأعرابي لئن جاوزت قدري لما بلغت أملي فيك.

سأل رجل أسد بن عبدالله فاعتل عليه، فقال له : ما سألتك إلا عن غير حاجة . قال ولم ؟ قال : لأنى رأيتك تحب من لك عنده معروف ، فأردت أن أتعلق بحبل ود منك فأعطاه.

وأتى ابن السماك رجل . فقال : إني قد آتيتك فى حاجة، واعلم أن الطالب والمطلوب اليه عزيزان إن قضيت، وذليلان إن لم تقض، فاختر لنفسك عز البذل على ذل المنع واختر لي عز النجح على ذل المنع ، فقضي حاجته.

وقال محمدبن واسع لقتيبةبن مسلم: إنى آتيتك فى حاجة رفعتها الى الله قبلك إن يأذن الله فيها قضيتها وحمدناك ، وإن لم يأذن الله فيها لم تقضها وعذرناك.

وقال فيض بن إسحاق : كنت عند الفضيل بن عياض ، إذ دخل رجل فسأله حاجة ، وألح فى السؤال عليه ، فقلت لا تؤذ الشيخ . فقال لي الفضيل : اسكت يافيض ، أما علمت أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم ، فاحذروا أن تملوا النعم فتتحول نقماً ألا تحمد ربك أن جعلك موضعاً تُسئل ، ولم يجعلك موضعاً تَسأل.

وفد قوم من قريش على معاوية، فقالوا: السلام عليكم يا معاوية،فبسط لهم وجهه، وألان قوله، فطلبوا الموادعة. فقال: يا وجوه قريش، مالكم أتيتم من مكان بعيد ثم لم تجعلوا بين السلام والموادعة حاجة تطلبونها ؟ فقالوا والله يا أمير المؤمنين ، ما آتيناك إلا مفاخرين بأحسابنا ، مباهين لك برجالنا ، متعززين عليك بسيوفنا، طالبين من مالك، غير

راضين باليسيرمن نوالك، ولكنك بسطت لناالوجه،وألنت المقال، فاستغنينابذلك عن طلب المال.فقال: إذن والله لأجمعن لكم بين الحسنيين، ولأصرفنكم بما يقدم من تخلف عنكم.

كان للقاضي أحمدبن أبى داود شخص يختص به، ويسعى فى قضاء حوائجه، فمنعه الوزير محمدبن عبدالملك الزيات من التردد إليه لمنافسة كانت بينه وبين القاضي المذكور، وشحناء ، فبلغ ذلك القاضي فجاء الى الوزير. فقال له: والله ماجئتك متكثراً بك من قلة، ولا متعززاً من ذلة، ولكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجبت لقاءك، فإن لقيناك فله، وإن تأخرنا عنك فلك. ثم نهض من عنده.

قال أبى سعيد: كان أحد المغاربة الأدباءيتردد إلى جمال الدين بن مطروح بالقاهرة، وله حينئذ صيت، وتمكن من الدولةالصالحية، فمدحه بكثير، وكتب له من النثر والنظم والأمثال كثيراً، فما ظهر له منه قبول على جميع ما كتب به اليه، وشكا إلي ذلك. فقلت له أكتب له بقول ابن اللبانة :

جمالك ألبس الدنيا جمالا　　　ومد على مناكبها ظلالا
أجل نظر السيادة في حديثي　　　فإن الرزق حيث تميل مالا

قال : فوالله ما وقف عليهما حتى بسط وجهه ، ونظر في قصته ، وطهر منه جميع ما فات من القول والالتفات.

كان محمد بن الحسن الشيباني : قد بلغ عند الرشيد مبلغاً جليلاً ، وكان إمام الحنفية فى زمانه ، واحتاج الإمام الشافعي الى مشاركته فكتب له :

لست أدري ماذا أقول ولكن　　　ابتغي من عريض جاهك نفعاً
والفتى إن أراد نفع أخيه　　　فهو أدرى في أمره كيف يسعى

فاعتنى به، حتى صدر الى مصر بطلبته.

لما مات عمرو بن مسعدةرُفعت الى المأمون رقعةأنه خلف ثمانين ألف ألف درهم، فوقع فى ظهرها:هذا قليل لمن اتصل بنا، وطالت خدمته لنا، فبارك الله لولده فيما خلف، وأحسن لهم النظر فيما ترك.

لما استشعر الإسكندر الوفاة: كتب الى أمه يقدم عندها مقدمات التصبر عن مصابه، بمواعظ ذكرها فى كتابه. ثم قال لها: ياأمت إذا أنا مت فاصنعى طعاماًحسناً كاملاً، وشراباً لذيذاً حلواً، واحضرى له كافة الناس، واعهدي إليهم أن لايحضره من نابته من الدهر نائبة، ولا من أصابته من الزمان مصيبة، ليكون مأتم الإسكندر خلافاً عن مأتم العامة، ويكون لك فى ذلك الذكر والصيت. فلما مات امتثلت ذلك، واحتفلت فى الطعام والشراب ودعت الناس اليه، وعهدت اليهم بما أمرها، فلم يأتها أحد، فقالت: ما بال الناس مع تقدمنا اليهم، قد تخلفوا عنا؟ فقيل لها: أمرت أن لا يحضره من أصابته مصيبة، وكل الناس أصابتهم المصائب، ونابتهم النوائب، فقالت: ياإسكندر ماأشبه أواخرك بأوائلك، أردت والله أن تعزيني عنك التعزية الكاملة.. قال شريح القاضي : إنى لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها لأربعة وجوه : أحمده إذا لم تكن أعظم مما هي ، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها ، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع على ما أرجو فيه الثواب ، وأحمده إذ لم يجعلها فى ديني . . قال الشاعر :

الحمد لله رب العالمين كما يحبه الملك الأعلى
هو الحميد الذي جلت محامده فليس منها الدهر معشار
نثني عليه بما أولى ونشكره كم نعمة منه والإنسان كفار

وروي فى بعض الأخبار أن امرأة من الأعراب وقفت على جماعة، فقالت لهم : ما الكرم يرحمكم الله؟ قالوا: بذل المعروف، والإيثار على النفس. قالت: هذا فى الدنيا، فما هو فى الدين؟ قالوا: طاعة الله سبحانه، وبذل المجهود فى عبادته، واجتناب محارمه، والوقوف عند حدوده، طيبت بذلك نفوسنا. قالت:أفتريدون بذلك جزاء؟ قالوا نعم. قالت ولم؟ قالوا لأن الله وعدنا بالحسنة عشر أمثالها. قالت سبحان الله، فإذا أعطيتم واحدة، وأخذتم عشرة، فأين الكرم؟ قالوا: فما هو رحمك الله ؟ قالت: هو أن يعبد الله تعالي حق عبادته لايراد على ذلك جزاء حتى يفعل بكم مولاكم ما يشاء ،

ألا تستحون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منهاأنكم إنماتريدون شيئاً بشيء.

دخل المهدي الكعبة، ومعه منصور الحجبي من حجبة البيت، فقال: ماحاجتك؟ قال إني أستحي أن أسأل في بيته غيره، فلما خرج أمر له بعشرة آلاف دينار.

قال خالد بن صفوان: لا تطلبوا الحوائج في غير حينها، ولا تطلبوها الى غير أهلها، ولا تطلبوا مالستم له بأهل فتكونوا للمنع خلقاء.

وقال خالد بن صفوان : شهدت عمرو بن عبيد ورجل يشتمه فما ترك منه شيئاً، فلما فرغ قال له عمرو: آجرك الله على ماذكرت من صواب، وغفر لك ما ذكرت من خطأ، فما حسدت أحداً حسدي عمراً على هاتين الكلمتين .. وشتم رجل الشعبي ، فقال له : إن كنت صادقاً يغفر الله لي، وإن كنت كاذباً يغفر الله لك .. وشتم رجل أبا ذر فقال له : يا هذا لاتستغرق في شتمنا، ودع للصلح موضعاً، فإنا لانكافىء من عصي الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

وروي أن علي بن الحسين رضي الله عنهماكان يوماً خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسبه، فثارت عليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلاً على الرجل، ثم أقبل عليه، فقال له: ماستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجةتعينك عليها؟ فاستحى الرجل ورجع الى نفسه، قال: فألقى عليه ثوباً كان عليه وأمر له بألف درهم. قال: فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل . . ومر المسيح بن مريم بقوم من اليهود، فقالواله شراً، وقال لهم خيراً. فقيل له: إنهم يقولون شراًوأنت تقول خيراً؟ فقال:كل واحدينفق مما عنده.

وفي سير العجم: أن رجلاً وشى برجل إلى الإسكندر، فقال له : أتحب أن أقبل منك عليه، ونقبل منه عليك؟ قال: لا . قال: فكف عن الشر يكف عنك الشر ... قال الصلت بن سعيد: كنا عند سفيان بن عيينة، فضجر بنا وقال: أليس

من الشقاء أن أجالس التابعين، ثم أجالسكم؟ جالست ضمرة ابن أبى سعيد الهدري. وعبد الله بن دينار، وجابربن عبد الله وعدد جماعة، فقال له صبي فى المجلس لم يكن فى الجماعة أصغر منه سناً: أنصت يا أبامحمد.قال نعم قال: والله لشقاء التابعين بمجالستهم إياك بعد مجالستهم الصحابة، أشد من شقائك بمجالستك إيانا بعد التابعين، فالبس ابن عيينة ثم قال للصبي: يوشك أن تكون لك حال؟ وكان الصبي يحي ابن أكتم .. وذكر أن السري بن المقلس قرأ على مؤدبه ﴿ونسوق المجرمين إلي جهنم وردا﴾ فقال له: يا أستاذ: ما الورد؟ فقال له المؤدب: لا أدري ، فقرأ ﴿لايملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ فقال له: يا أستاذ ما العهد؟فقال المؤدب: لا أدري ، فقطع السري القراءة وقال: إذا كنت لا تدري فلم غررت بالناس؟ فضرب المؤدب، فقال السري : يا أستاذ : ألم يكفك الجهل حتى أضفت اليه الظلم والأذى؟ فاستحله المؤدب وتاب الى الله من التأديب، وأقبل على طلب العلم.

أكب رجل من بنى مرةعلى مالك بن أسماءيحدثه في يوم صيف ويغمه ويثقل عليه ، ثم قال : أتدري من قتلنا منكم فى الجاهلية ؟ قال : لا ، ولكنى أعرف من قتلتم منا فى الإسلام . قال : ومن هم ؟ قال : أنا قتلتنى اليوم بطول حديثك ، وكثرة فضولك.

قال الربيع حاجب المنصور: لما استقرت الخلافة لأبى جعفر المنصور ، قال لي يا ربيع: إبعث الى جعفربن محمد. قال : فقمت من بين يديه، فقلت أي بلية يريد أن يفعل به؟ وأوهمته أنى أفعل، ثم أتيته بعد ساعة، فقال: ألم أقل لك ابعث إلى جعفر بن محمد؟ فوالله لتأتيني به، ولأقتلنه شر قتلة. قال: ذهبت اليه، فقلت له:عبد الله أجب أمير المؤمنين، نقام معى، فلما دنونا من الباب قام فحرك شفتيه، ثم دخل فسلم ، فلم يردعليه السلام، ووقف فلم يجلس، ثم رفع رأسه اليه، فقال يا جعفر: أنت الذى ألبت وكثرت. وحدثنى أبى

عن أبيه وجده، أن النبي {ﷺ} قال: « ينصب للغادر لواء يوم القيامة يعرف به » . قال جعفر بن محمد حدثني أبى عن أبيه ، عن جده ، أن النبي {ﷺ} قال: « ينادى مناد يوم القيامة من بطنان العرش : ألا فليقم من كان أجره على الله ، فلا يقوم من عباد الله إلا المتفضلون » فما زال يقول حتى سكن ما به، ولان له فقال: إجلس أباعبد الله، ارتفع أباعبد الله، ثم دعا بمدهن غالية ، فجعل يقليه بيده ، والغالية تقطر من بين أنامل أمير المؤمنين، ثم قال: انصرف أباعبد الله فى حفظ الله . قال لي: يا ربيع اتبع أباعبد الله جائزته وأضعفها. قال : فخرجت فقلت : يا أباعبد الله شهدت مالم تشهد، وسمعت مالم تسمع، وقد دخلت ورأيتك تحرك شفتيك عند دخولك اليه، أشيء تؤثره عن آبائك الصالحين؟ قال : لا بل حدثنى أبى عن أبيه عن جده، أن النبي {ﷺ} كان إذا حزبه أمر دعا بهذا الدعاء، وكان يقول هو دعاء الفرج : «اللهم احرسني بعينك التى لا تنام، واكنفنى بركنك الذى لا يرام ، واحفظنى بعزك الذى لا يضام، واكلأنى فى الليل والنهار ، وارحمني بقدرتك عليّ ، أنت ثقتي ورجائي ، فكم من نعمة أنعمت بها علي قل لك بها شكري ، وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري ، وكم خطيئة ركبتها فلم تفضحني ، فيامن قل عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قل عند بلائه صبري فلم يخذلنى، ويا من رآنى على الخطايا فلم يعاقبني، يا ذا المعروف الذى لا ينقضي أبداً، ويا ذا الأيادي التى لا تحصى عدداً، ويا ذا الوجه الذى لا يبلى أبداً، ويا ذا النور الذى لا يطفأ سرمدا، أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم، أن تكفيني شر كل ذي شر، بك أدرأ فى نحره، وأعوذ بك من شره ، واستعينك عليه. اللهم أعني على ديني بدنياي، وعلى آخرتى بالتقوى، واحفظنى فيما غبت عنه،ولاتكلنى إلى نفسي فيماحضرته،يامن لاتضره الذنوب،

ولاتنقصه المغفرة، اغفر لي مالا يضرك وهب لي مالا ينقصك. يا إلهى أسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلا، وأسألك العافية من كل بلية، وأسألك الشكر على العافية، وأسألك دوام العافية، وأسألك الغنى عن الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .اللهم بك أستدفع مكروه ما أنا فيه، وأعوذ بك من شره يا أرحم الراحمين » .

ويروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه وجه اليه بعض الخلفاء أراه أبا جعفر المنصور فى الليل ليقتله، وهو قد اشتد غضباً وحنقاً. فلما وصل اليه الرسول. قال: أجب أمير المؤمنين. قال: وما حاجته الي فى جوف الليل؟ فقال: لا أعرف لكنى أمرت أن آتى بك فاستشعر الشر وخرج مع الرسول . فلما انتهى الى باب القصر استأذن الرسول فأمر أبو جعفر بإدخاله فتوقف ساعة وحرك شفتيه ، ثم دخل فقام المنصور اليه وأخذ بيده وأجلسه وجعل يعتذر اليه من التوجيه وراءه فى مثل ذلك الوقت ، ثم عطف على الرسول وقال له: لعلك روعته، فقال له لا، ثم أمر الشافعي بالإنصراف وأمر له بمال كثير. قال الرسول: فعجبت مما رأيت، وعلمت أن الذى نجاه ما حرك به شفتيه، فتبعه وقال له : بالذى استنقذك وأجاب دعاءك ألا علمتني بالذى حركت به شفتيك حين أمرت بالدخول حتى أنزلك على المقام الذى رأيت؟ قال : نعم وكرامة، وأنا أهدى ذلك إليك : «اللهم إنى أعوذ بنور قدسك، وعظمة طهارتك، وبركة جلالك من كل آفة وعاهة، ومن طوارق الليل والنهار، ومن طوارق الإنس والجن إلا طارقاً يطرق بخير منك يارحمن . اللهم أنت عياذي فبك أعوذ، وأنت ملاذي فبك ألوذ، يامن ذلت له رقاب الجبابرة، وخضعت له مقاليد الفراعنة أعوذ بجلال وجهك، وكرم جلالك من خزيك، وكشف سترك ونسيان ذكرك، والإضراب عن شكرك، أنا فى كنفك فى ليلي ونهارى، ونومي وقراري، وظعني وأسفاري، فاجعل ذكرك شعاري، وثناءك دثاري، لا إله إلا أنت تنزيها لإسمك

وتكريماً لسبحات وجهك،أجرني من خزيك، ومن شر عبادك، واضرب علي سرادقات حفظك، وقني سيئات عذابك وادخلني فى حفظ عنايتك، ياأرحم الراحمين ، فإنك على كل شيء قدير، وأنت حسبي ونعم الوكيل وصلى اللهعلى سيدنا محمد وعلى جميع الرسل من الملائكة والنبيين، وعلى جميع الصحابةوالتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»

كان لمالك بن أنس رضى اللهعنه بنت تحفظ كتابه «الموطأ» فكانت تقف خلف الباب ، فإذا قُريء على مالك وغلط القاريء نقرت الباب ، فيعلم غلطه . وكان له ابن إسمه محمد يجىء وأبوه مالك يحدث ، وعلى يده باشق فيلتفت مالك للحاضرين ، فيقول : أما الأدب أدب الله، هذا ابنى كما ترون وهذه بنتى كما ترون.

قال سعيد فى كتابه الزهرات : نقلت من كتاب البيهقي الموسوم العمائم بالكمائم، أول ماحفظ الرؤساء الكرام من الأشعار أشعار أمثالهم وأول ماحفظ من ذلك أشعار أبى دلف العجلي، لأن أقواله فيها تطابق أفعاله مع حلاوة منزعه ، وعذوبة مشرعه، وأول ماحفظ من شعره فى ذلك قوله :

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها ... وبادر بها من قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ... ولا البخل يبقيها إذا هي ولت

وقال آخر : -

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن ولت فاحرى أن تجود بها ... فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف
ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه ... فلا تكتسب بالمال شيئاً سوى الذكر
فقد أبلت الأيام كعباً وحاتماً ... وذكرهما غض جديد إلى الحشر

قال ابن سعيد : حكى لي الصاحب كمال الدين بن العديم أن القاضى بهاء الدين بن شداد قاضى حلب الذى بلغ عند صلاح الدين وابنه الظاهر ما لم يبلغه أحد من نظرائه مرض بحلب . قال : فمشيت فى جماعة من الشبان

المبتدئين في القراءة والظهور إلى عيادته، فعند مادخلنا عليه قام لنا، فجعلنا نحلف أن لا يفعل ، فقال : ياسبحان الله تتفكرون في مرضي ، وتتعنون من أماكنكم الى منزلي ثم أبخل عليكم بقومة ؟ هذا والله غير طريق المروءة ، ثم قال يا أولادي ، لقد دخلت على كبير وإنه في سنكم فلم يحتفل بي فالى الآن ما ذكرت ذلكم إلا أسأت ذكره ، وندمت على وصولي اليه ، ولا يتجنب المغائب ، إلا أهل التجارب ... قال وكنت أتردد الى مجلس كمال الدين بن يغمور وهو نائب السلطنة بالشام . وكان يقوم لي كلما دخلت عليه ، فدخلت يوماً فإذا به مضطجع فلم يقم ، وأخذ فيما كان يأخذ فيه . فلما دخلت عليه في اليوم الثاني قام ثم جلس ، ثم قام ثم جلس ، وقال : هذه الأخيرة قومة أمس كانت علي دينا ، لعذر تتفضل بقبوله دون مطالبة بذكره ، فتعجبت من فضله ، وقلت ما سار لهذا الرجل ، ما سار في الآفاق من باطل ...

قال يزيد بن أبي حبيب : خرجت الى الصيد ، فبينا أنا يوما أدور على شاطىء النيل،إذا براهب في الماء، وهو يغسل عباءة بالطين والماء فوقفت أنظر اليه، فنظر الي وقال: أظنك ممن يطلب الأحاديث؟ قال: قلت: أجل ، فقال : اصبر حتى أفرغ من شأني، وأحدثك حديثاً نجده عندنا، فانتظرته حتى فرغ، ثم جاء فجلس فقال: ياهذا إنا نجد في علمنا مثلا، أن الحق والباطل اصطحبتافي سفر فمشيا الي. فلما نزلا قال الباطل للحق : إذهب فأتنا بشيء نفطر عليه . قال : فذهب الحق فطلب فلم يجد شيئاً من حله فرجع فقال له الباطل : ما صنعت ؟ قال: لم أجد شيئاً من حله فقال الباطل : إجلس حتى آتيك. قال: فذهب فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء بشيء، فقال للحق كل. فقال: ما أراه من حله ولست بآكله. فقال له الباطل : بعثتك لتأتيني بشيء فلم تجد شيئاً . فلما ذهبت أنا وجئت بما نفطر عليه حرمته علي، فنازعه. فوثب الباطل على الحق فقتله، ثم قال: إن أهل الحق قد علموا أنه خرج معي، ولابد لهم أن يطلبوني به.

فعمد الى حطب فجمعه ثم أضرم عليه النار حتى صار رماداً، ثم ذهب وتركه، فجاءه أهل الحق فقالوا: مافعل الحق؟ فقال : لا علم لي به، فقالوا: معك خرج فقال : نعم ، ولا أدري ما فعل فخرج أهل الحق يطلبونه، حتى وقفوا على الموضع الذى أحرقه فيه الباطل، فقالوا: هذا رماد الحق وهذا موضع ناره أحرقه الباطل، فجمعوا رماده، وصنعوه مداداً يكتبون به، فهذا ما يبقى من الحق. فأما الحق بعينه فقد ذهب.

ومن المنقول من مقالات الأدباء : دخل رجل على سلم بن قتيبة الباهلي، وجعل يكلمه فى حاجته، وقد أدمي إصبعه وسلم صابر. فلما فرغ الرجل من حاجته وانصرف، دعا سلم بمنديل، فمسح الدم من إصبعه وغسله. فقيل له: ألا نحيت رجلك أصلحك الله، أو أمرته برفع سيفه عنها؟ فقال: خشيت أن أقطعه عن حاجته.

حديث الأصمعي، قال : سأل رجل أباعمرو بن العلاء حاجة فوعده بها، ثم إن الحاجة تعذرت على أبى عمرو، فلقيه الرجل بعد ذلك. فقال له: يا أبا عمرو وعدتنى وعداً فلم تنجزه ؟ قال له أبو عمرو: فمن أولى بالغم أنا أوأنت؟ فقال له أنا. فقال له أبو عمرو: بل أنا، فقال له الرجُل: كيف ذلك أصلحك الله؟ قال: لأنى وعدتك وعداً فبت بفرح الوعد، وبت أنا بهم الإنجاز، وبت ليلتك فرحاً، وبت مفكراً مغموماً، ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة، فلقيتني مدلاً، ولقيتك محتشماً، فمن هنا صرت أولى بالغم منك ..

اجتمع جماعة من الشعراء بباب أبى الغيث فلم يأذن لهم، فكتبوا اليه:

أيها ذا العزيز قد مسنا الضر ودبت به الخطوب الينا
ولدينا بضاعة مزجاة قل طلابها فبارت لدينا
فأزل ضرنا واوف لنا الكيل بماشئت أو تصدق علينا

فأحسن إليهم وانصرفوا ..

روي أن عكرمة بن ربعي الفياض ولي أصبهان فأنهب

خرجها في زوارة وقدم المدينة، فتتبع بها إخوانه، وأعطاهم عطايا لم يكن فيها أقل من عشرة آلاف درهم ، ثم سأل عن بشر بن غالب الذي تنسب إليه جبانة بشر بالكوفة، فقيل له: غلبه الدين حتى اختفى. قال: فامهل حتى إذا أمسى حمل معه بدرة، وعلى غلامه بدرة أخري، وتختاً من ثياب أصفهان، ثم سأل عن منزل بشر، فدل عليه، فدق الباب. فقال بشر لامرأته: أنظري من هذا ؟وماحاجته، ومايريد؟ قال : فخرجت اليه امرأته. فقالت: من أنت ، وما حاجتك. وما تريد؟ قال أريد بشراً. قالت: أوماعلمت أنه غائب منذ شهر؟ قال : فحلف لها بالطلاق والعتاق أنه آمن، وأنه ليس له قبله شيء يكره. قال: فخرج بشر اليه. فقال: ما حاجتك؟ قالَ مر بهذا المال يقبض. قال: ومن أنت؟ قال: وماعليك أن لا تعرف إسمي؟ فقال: على ذلك. قال : فترضي أن نوجز لك . قال نعم . قال : أنا جابر عثرات الكرام . قال : إنك لأهل أن يقبل منك. قال : فلما كان بعد قليل ولي بشر ابن مروان الكوفة، وجعل على شرطته بشربن غالب، ودفع اليه عكرمة بن ربعي. وقال له: دق يديه حتى يرد ماكسر من خراج أصبهان. قال: ففظع عليه العذاب ، وهو لا يعرفه فقالت له امرأته: أخبره بيدك عنده؟ قال: تأمرينى أن أتقاضى معروفى والله لا فعلت. قالت فأخبرهم أنا. قال: إن فعلت فأنت طالق ثلاثاً. قالت: فرأيت الطلاق أهون علي من أن تتلف نفسه، فدخلت على امرأة بشر. فقالت: تدرون من تعذبون؟ قالت نعم هو عكرمة. قالت: هو جابر عثرات الكرام . قال : فدعت بالويل . قال : فدخل غليها بشر فقالت: تدري من تعذب ؟ قال : نعم هو عكرمة . قالت : هو جابر عثرات الكرام الذي طرقنا ليلاً بما طرق. قال: فدعا بثيابه وسيفه. ثم مثل بين يدي بشربن مروان. قال: أصلحك الله هذا مقام العائذ قال وما ذاك ؟ قال : إن الذى أخبرتك أنه طرقنا ليلا بما طرقنا هو عكرمة . قال : فماذا تريد؟ قال :أريد أن تخلى سبيله . قال: فإنا قد فعلنا. قال: وأخرى أصلحك الله.

قال ماهي؟ قال: أن تصيره مكانى معك. قال: فإناقد فعلنا، قال: فعاشا صاحبين مع بشر بن مروان رحمة الله على جميعهم.

قدم سعيد بن العاصي الكوفة،عاملها لعثمان رضي الله عنه، فكانت له موائد يغشاها الأشراف والقراء، فكان فيمن يغشي موائده رجل من القراء فقير. فقالت له امرأته ويحك إنه يبلغنا عن أميرنا هذا كرم وجود، فاذكر له بعض ما نحن فيه، فتعشى عنده ذات ليلة، فلما انصرف الناس منه ثبت الرجل. فقال له سعيد: إنى قد أرى جلوسك، وما جلست إلا ولك حاجة فاذكرها رحمك الله، فتعقد الرجل وتعثر. فقال سعيد لغلمانه: تنحوا يا غلمان ثم قال له: رحمك اللهإنما هو أنت وأنا فاذكر حاجتك، فتعقد أيضاً وتعصى، فنفخ سعيد المصباح فأطفأه، ثم قال له: رحمك اللهإنك لست تري وجهي، فذكر حاجته. قال له: إذا أصبحت فالق فلانا وكيلي. فلما أصبح لقى الوكيل، فقال له: إن الأمير أمرنى بشيء فهل جئت بمن يحمل؟ قال: لا والله ما عندي من يحمل ورجع الى امرأته، وجعل يعذلها ويلومها. وقال: قال لي وكيله: جئت بمن يحمل؟ وما هي إلا قوصرة من تمر أو قفيز من بر ولو كانت دراهم أو دنانير لأعطانيها بيده. قالت: ويحك ما كان من شيء فقوتنا به فمكث أياماً ثم لقيه الوكيل. فقال له: ويحك أين تكون؟ أخبرت الأمير أنه ليس عندك من يحمل؟ فأمرنى أن أوجه معك من يحمل، فوجه معه بثلاثة من السودان يحمل كل واحد منهم بدرة على عاتقه حتى أوردوها منزله، فأطلق وكاء بدرة منها، ووهب لهم منها دريهمات وقال انصرفوا. قالوا الى أين؟ ما حمل له مملوك قط هدية فرجع الى ملكه.

امتدح نصيب الشاعر عبد اللهبن جعفر، فأمر له بخيل وإبل وأثاث ودنانير ودراهم. فقال له رجل: أمثل هذا

الأسود يعطى مثل هذا المال؟ فقال عبد اللهبن جعفر: إن كان أسود، فإن شعره أبيض وإن ثناءه لمروي، وقد استحق بما قال أكثر مما نال، وهل أعطيناه إلا ثياباً تبلي، ومالا يفني، ومطايا تنضي، وأعطانا مدحاً يروي، وثناء يبقى.

دخل ابن السماك على محمدبن سليمان بن علي، فرآه معرضاً عنه، فقال: مالي أرى الأمير كالعاتب علي؟ قال : ذلك لشيء بلغني عنك كرهته. قال: إذن والله لا أبالي. قال ولم ؟ قال: لأنه إن كان ذنباً غفرته، وإن كان باطلاً لم تقبله.

خطب أبو جعغر المنصور يوماً، فحمد اللهوأثني عليه، ثم قال: أيها الناس اتقوا الله، فقام اليه رجل من عرض الناس ، فقال: أذكرك الذي ذكرتنا به يا أميرالمؤمنين، فأجابه أبو جعفر: بلا فكرة ولا روية سمعا، سمعا لمن ذكر بالله، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه فتأخذني العزة بالإثم، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. وأما أنت أيها القائل فوالله مالله أردت بها. ولكن ليقال : قال فعوقب وصبر، وأهون بها لو كانت. وأنا أنذركم أيها الناس أختها، فإن الموعظة نزلت، ومنا أنبتت، ثم رجع الى موضعه من الخطبة.

حج عتبة بن أبى سفيان سنة إحدى وأربعين والناس قريب عهدهم بالفتنة، فصلى بمكة الجمعة، ثم قال: أيها الناس إنا قد ولينا هذا المقام الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر، وعلى المسىء الوزر، ونحن على طريق ما قصرنا، فلا تمدوا الأعناق الى غيرنا فإنها تنقطع دوننا ورب متمن حتفه فى أمنيته، فاقبلوا العافية ما قبلناها منكم، وإياكم ولو فإنها أتعبت من قبلكم، ولن تريح من بعدكم ، وأنا أسأل الله أن يعين كلا على كل، فصاح به أعرابي: أيها الخليفة، فقال: لست به ولم تبعد. فقال: يا أخاه، فقال: سمعت ، فقال: تالله إن تحسنوا وقد أسأنا، خير من أن تسيئوا وقد أحسنا، فان كان الأحسن لكم دوننا فما أحقكم باستتمامه، وإن كان منا فما أولادكم بمكافأتنارجل من بني عامر بن

صعصعة يلقاكم بالعمومة ويقرب اليكم بالخئولة، قد كثر العيال، ووطئه الزمان، به فقر، وعنده شكر. فقال عتبة: أستغفر الله منكم، وأستعينه عليكم، وقد أمرنا لك بمناك، فليت إسراعنا اليك، يقوم بابطائنا عنك ..

تنازع ابراهيم بن المهدي وبخيتشوع الطبيب بين يدي أحمد بن أبى داؤ د فى مجلس الحكم فى عقار بناحية السواد فأربى عليه إبراهيم وأغلظ له فى القول فغضب لذلك ابن أبى داؤد. وقال: يا إبراهيم اذا نازعت فى مجلس الحكم بحضرتنا أمراً، فلا ترفع صوتاً، ولا تشر بيدك، وليكن قصدك أمما وطريقك نهجاً، وريحك ساكنة، وكلامك معتدلاً ووف مجالس الخليفةحقها من التوقير والتعظيم والإستكانة والتوجه الى الحق، فإن هذا أشكل بك وأجمل بمذهبك، فى محتدك وعظيم خطرك، ولا تعجلن فرب عجلة تهب ريثاً، والله يعصمك من الزلل، وخطَل القول والعمل، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل، إن ربك حكيم عليم. فقال ابراهيم: أمرت أصلحك الله بسداداً، وحضضت على رشاد، ولست عائداً لما يثلم قدري عندك، ويسقطنى من عينك، ويخرجنى من مقدار الواجب الا الإعتذار، فها أنا معتذر اليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه، باخع بجرمه، لأن الغضب لا يزال يستفزنى بمواده، فيردنى مثلك بحلمه، وتلك عادة الله عندك وعهدنا فيك، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وقد جعلت من هذا العقار لبخيتشوع، فليت ذلك يكون وافياً بأرش الجناية عليه، ولم يتلف مال أفاد موعظة، وبالله سبحانه التوفيق.

بعث زياد الى معاوية برجل مخالف من بني تميم. فلما مثل بين يديه قال له: أنت القائم علينا، المكثر لعدونا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنما كانت فتنة عم عماها، وأظلم دجاها، نزا فيها الوضيع، وخف الحليم والرفيع، فاحتدمت وأكلت علينا وشربت، حتى إذا انحسرت ظلماؤها، وانكشف

غطاؤها، آل الأمر الى مآله، وصرح عن محضه، وارتفع العبوس وثابت النفوس، فتركنا فتنتنا، ولزمنا عصمتنا، وعرفنا خليفتنا، ومن يجد متابا، لم ير الله به عقابا، ومن يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما، فعجب معاوية من فصاحته واستغرب حسن اعتذاره ، وعفا عنه ، وأحسن اليه ...

لما غزا الإسكندر دارا بن دارا، وكان دارا قد مله قومه وأهل مملكته، وأحبوا الراحة منه، فلحق كثير من وجوه أصحابه، وقواده الى الإسكندر، وأطلعوه على عورته وقووه عليه . فلما التقيا ببلاد الجزيرة اقتتلا سنة كاملة ثم وثب على دارا جماعة من قومه فقتلوه. وكان الذى فعل به هذا حاجباه. فلما سيق رأسه الى الإسكندر أمر بضرب أعناق الذين ساقوه، وقال : هذا جزاء من اجترأ على ملكه .

قال الأصمعي: كان لي صديق من أهل الأدب والمروءة والحسب قد أتي عليه ثلاثة أعصار، مشتهر بحفظ العلوم والأخبار ، والملح والأشعار، وكان لا تسكن حركاته، ولا تتوفر لذاته ، إلا فى قضاء حوائج الإخوان ، وإدخال السرور على من عرفه من الإخوان، فألهاني ما شهدت منه، عما وصف لي عنه . فقلت له يوماً: ما هذا الذى تفعله، وما قواك على ما تصنعه؟ فقال: يا أصمعي ، إني شهدت الأيام فى يده اخضرار عيشها، ورأيت تصرفها وحلبت الدهر أشطره، ولهوت فى ريعان الشباب، وجالست العلماء، وصحبت أهل التصابي، فما طربت بما سمعت، ولا ابتهجت بما رأيت، كابتهاجي لنشر حر نعمة، وشفاعة شافع فى طلب شاكر يرجو بذلك الحياة فى العاجل، وجزيل الثواب فى الآجل، وإني لأتشوق الى الرجل الأديب، تشوق المريض الى الطبيب، وأطرب اليه كطرب المحب الى الحبيب وأنشد:

وإذا الأديب مع الأديب تحادثا كانا من الآداب في بستان
لا شيء أحسن منهما في مجلس يتطاعمان جواهرا بلسان

ذكر أن المتوكل بن الأفطس فر اليه شخص من بني هود مغاضباً لابن عمه ملك سرقصطة فآواه وأحسن اليه، ثم اختبره فرآه أهلاً للولاية، فولاه. فقال له أحد وزرائه: كثير هذا فى تغيير قلب قريته مقبولا. تسخط قادراً فى حق عاجز، وتفرط فيمن تحتاج اليه كما يحتاج الينا، وتغيظ بمن لا تحتاج اليه بل هو موكل علينا. فقال له المتوكل: الذى قلت حق، ولكن كيف يكون اقتناء المكارم ؟.

روي أن أنو شروان غضب على وزيره بزرجمهر، فسجنه فى بيت كالقبر وصفده بالحديد، وألبسه الخشن من الصوف وأمر أن لا يزاد فى كل يومين على قرصين من الخبز، وكف ملح جريش، ودورق ماء، وأن تنقل ألفاظه اليه. فأقام شهوراً لا تسمع له لفظة، فقال أنو شروان: أدخلوا عليه أصحابه، ومروهم أن يسألوه ويفاتحوه الكلام وعرفونيه، فدخل اليه جماعة من المختصين به. فقالوا له: أيها الحكيم نراك فى هذا الضيق والحديد والشدة التى دفعت إليها، ومع هذا فإن سحنة وجهك، وصحة جسمك على حالها لم تتغير، فما السبب فى ذلك؟ فقال: إنى عملت جوارش من ستة أخلاط فآخذ منه كل يوم شيئا فهو الذي أبقاني على ما ترون. فقالوا: فصفه لنا فعسي أن نبتلى بمثل بلواك أو أحد من إخواننا فنستعمله أو نصفه له؟ فقال: الخليط الأول الثقة بالله. والثاني أن كل مقدركائن. والثالث الصبر خير ما استعمله الممتحن. والرابع إن لم أصبر فأي شيء أعمل، ولم أعن على نفسي بالجزع. والخامس قد يمكن أن أكون فى شر أصعب مما أنا فيه. والسادس من ساعة الى ساعة فرج ..

القسم الرابع

في جمل من الوصايا والمواعظ الحسان العظيمة الفائدة والمنفعة لكل إنسان

إعلم آن الكلام فى هذا القسم لاينحصر لاتساع القول فيه، غير أنى آتى هنا بمقصدي منه، وأرجو بعون الله أن أوفيه وأنقل من ذلك إن شاء الله جملا من الوصايا نافعة كافية ، وفنوناً من المواعظ وافية ، لمن اتعظ بها شافية . ..

قال رسول الله {ﷺ} : « إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه رشده » فالانقياد إلى الرشد والتوفيق، والإستقامة على الخير، ونهج سواء الطريق ، والتمسك بحبل الهدى ، يصرف عن المرء الردي ، ويكشف عن قلبه الران والصدأ ، وما أجدر العاقل بذلك . وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ..

قال بعض الحكماء : استصلح نفسك بعقلك ، واجعل نظرك وتفكرك بمنزلة المرآة فتدرك بها ما التبس من أمرك فالعقل أفصح واعظ، وأحرس حافظ وبالعقل أدرك الناس معرفة الله تعالي ، قال الله سبحانه ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** ﴾ فصديق المرء عقله، وعدوه جهله. فالعاقل من عقله فى إرشاد، ومن رأيه فى إمداد . والجاهل من جهله فى إغواء ، ومن هواه فى إغراء .. قال الشاعر :

من لم يكن أكثره عقله ... أهلكه أكثر ما فيه

قال رسول الله { ﷺ } « العقل نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل » . . قال بعض العلماء : جميع أعمال البر وجملة دواعى الخير والشر، ورأس الورع، وكمال الزهد، وملاك أسباب الشرع أصلها العلم بالله، وحسن الطاعة لله، والخوف من الله ، والرجاء فى الله ، والمراقبة لله، فخذ من

الدنيا ماتيسر، واجعل التقوى حظك الأوفر، فالدنيا كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها.

وقال رسول الله {ﷺ} : «نعمت المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة » .

وقال بعض العلماء: ليس الحرج فى أن يتصرف الإنسان فى طلب حظه من الدنيا فيما لابد له منه ولا غني به عنه ، لأن أسباب الحاجة وحيل العجز إنما في الدنيا التى هى دار تكليف وعمل، لأن الآخرة دار قرار وجزاء، فليصرف الإنسان إلى دنياه حظاً من عنايته لأن بها يتزود لآخرته . وقد قال مجاهد فى قول الله عز وجل لنبيه {ﷺ} : **﴿فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾** أي إذا فرغت من مؤنة الدنيا فانصب في العبادة .

وقال لقمان الحكيم: خذ من الدنيا بلاغك، وانفق فضول كسبك تقدمه لآخرتك ولا ترفضها كل الرفض فتكون على الناس عيالا، وعلى أعناق الرجال كلا .

ومن كلام عمر رضي الله عنه: ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا، أو عمل للدنيا وترك الآخرة، ولكن خيركم من أخذ من هذا ومن هذه ، وإنما الحرج فى الرغبة فيما تجاوز قدر الحاجة ، وزاد على حد الكفاية ، فإنها فضول لا تجدي ، وزوائد لا تنفع ولا تغنى ، تحمل المرء فى اشتغاله بها ، والنظر فيها على التقصير عما فيه الفائدة ، والتأخر عما فيه العائدة ، والعقلاء تركوا فضول الدنيا ، فكيف الذنوب وترك فضول الدنيا من العقل ، وترك الذنوب من الفرض .

قال بعض الحكماء: المجرب أحكم من الطبيب، وفى تصرف الدنيا موعظة لكل أريب. فمن صح له يقينه . وسلم له دينه، فلا شيء يضره ولا يشينه ومن لم يعتبر تصرف الأيام ، غرق فى بحر الآثام . وقد قيل : كفى بالتجارب تأدباً ، وبتقلب الأيام عظة .

ومن كلام بعض الحكماء: مواعظ الأيام أبلغ من مواعظ الأنام، وإن أعربت من غير كلام. وأفصحت عن استعجام. فطوبى لمن جعل له من نفسه واعظاً ونصب عليه من الله حافظاً ..

وقال بعضهم : لقد فاز قوم أدبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجربة، فلم تغررهم"السلامة المنطوية على الهلكة، ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم، فشفعوا حسن المقال بجميل الفعال، وبذلوا النعيم الفاني، رغبة فى النعيم الباقى. ولم يؤثروا العاجل الخسيس علي الآجل النفيس. فلا تراهم إلا في موطن خير، وعلى سبيل نفع . قال الله العظيم ، مخاطباً لنبيه الكريم **﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾** .

ومن كلام عيسي عليه السلام: طوبى للناطق فى قوم يسمعون كلامه. إنه ماتصدق رجل بصدقة أعظم عندالله من موعظة قوم يصيرون بها إلى الجنة، وخير ذلك ما كان من قائل مخلص الى سامع منصت، وانتهى الكلام فى هذا القسم فى خمسة عشر فصلا بالفصلين اللذين فى تعلم العلم.

فصل من مواعظ النبي صلى الله عليه وسلم ووصاياه ومواعظ السلف الصالح ووصاياهم وغيرهم من العلماء والحكماء

قال {ﷺ} : «أقبلوا على ما كلفتموه من إصلاح آخرتكم وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر دنياكم، ولاتستعملوا جوارح غذيت بنعمته فى التعرض لسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلكم بالتماس مغفرته ، واصرفوا هممكم إلى التقرب إليه بطاعته . والجئوا إلى العمل الصالح واكرهوا عليه النفوس، واصبروا على الضراء تفضوا إلى النعيم الدائم » .

وقال {ﷺ} : «حلُّوا أنفسكم بالطاعة، وألبسوها قناع المخافة، واجعلوا آخرتكم لأنفسكم، وسعيكم لمستقركم . واعلموا أنكم عن قليل راحلون ، وإلى الله صائرون ، ولا يغنى عنكم هنالك إلا صالح عمل قدمتموه أو حسن ثواب حزتموه » .

وقال {ﷺ} فى بعض خطبه : «أيها الناس إن الأيام تطوى، والأعمار تفى ، والأبدان فى الثرى تبلى ، وأن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ، يقربان كل بعيد ، ويخلقان كل جديد ، وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ، ورغب فى الباقيات الصالحات » .

وقد قال {ﷺ} فى بعض خطبه: «أيها الناس إن لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، وإن لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وإن المؤمن بين مخافتين : أجل قد مضي لا يدري ما الله صانع فيه . وأجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه».

الحجاب

حجب معاوية أبا الدرداء يوماً وحبسه عند بابه فقيل له يا أبا الدرداء يفعل هذا بك وأنت صاحب رسول الله {ﷺ}؟ فقال : من يأت أبواب السلطان يقم ويقعد .

دخلت على معاوية بن صخر ... على حين يئست من الدخول
وما نلت الدخول إليه حتى ... حللت محلة الرجل الذليل
ورضيت الجفون على قذاها ... ولم أنظر إلى قال وقيل
فأدركت الذي أملت منه ... بمكث والخطأ زاد العجول

« عبد العزيز زرارة »

حجب أعرابي عند باب سلطان فقال :

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ... ولن تكرم النفس الذي لا يهينها
في كل يوم لي ببابك وقفة ... أطوي اليه سائر الأبواب
فإذا جلست وغبت عنه فإنه ... ذنب عقوبته على البواب

قال شاعر

استأذن أبو سفيان على عثمان {رضي الله عنه} فأبطأ إذنه فقيل حجبك أمير المؤمنين فقال: لا عدمت من قومي من إذا شاء حجب .

قال زياد لحاجبه : يا عجلان إني وليتك ما وراء بابي وعزلتك عن أربعة : طارق ليل ، ما جاء به وخبر رسول ينوي السفر فإنه تأخر ساعة إبطال عمل سنة هذا، والمنادي للصلاة ، وصاحب الطعام فإن الطعام إذا أعيد اليه التسخين فسد .

قال مروان لابنه عبد العزيز حين ولاه مصر: يابني مر حاجبك يخبرك من حضر بابك كل يوم فتكون أنت تأذن وتحجب وآنس من دخل عليك بالحديث فينبسط اليك ولا تعجل بالعقوبة إذا أشكل عليك الأمر فإنك على العقوبة أقدر منك على إرتجاعها ..

كان يقال: لا تقم على باب حتى تدعى إليه .

أقام رجل على باب كسرى سنة فلم يؤذن له فقال له الحاجب أكتب كتاباً وخففه أوصله اليه . فقال: لا أزيد على أربعة أسطر فكتب فى السطر الأول منها الأمل والضرورة أقدماني عليك، وفى السطر الثانى: الرجوع بلا فائدة شماتة الأعداء.

يسقط الطير حيث ينتشر الحب ولا يخشى منازل الكرماء

قال بشار:

إن السماء ترجى حين تحتجب

قال حبيب :

يزدحم الناس على بابه والمنهل العذب كثير الزحام

قال شاعر :

واني لأرثي للكريم إذا غدا على طمع عند اللئيم يطالبه

وأرثي له من وقفة عند بابه كمن ينشي للطرف العلج راكبه

قال شاعر :

إذا كان الجواد قليل مال ولم يعذر تعلل بالحجاب

قال آخر :

أتيتك للتسليم لا إنني أورؤ طلبت بإتيانك أسباب نائلك
فألفيت بوابا ببابك مغرما بهدم الذي أوطأته من فضائلك
وقد قيل ما حجب المرء عا مل على عرضه فاحذر جناية عاملك
وكن عالماً أن لست من بعد راجعـ ـأ اليك ولو كان الهدى من رسائلك

قال البحتري :

قال بعض الأكاسرة لحاجبه لا تحجب عني أحداً إذا أخذت مجلسي فإن الوالي لا يحجب إلا عن عي يكره أن يطلع عليه أو بخيل يكره أن يدخل إليه من يسأله .

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابه ورد ذوي الحاجات دون حجابه
ظننت به إحدى ثلاث وربما نزعت بظن واقع بصوابه
فقلت به مس من العي قاطع ففي إذنه للناس إظهار ما به
فإذا لم يك عن اللسان فغالب من البخل يحصي ما له عن طلابه
فان لم يكن هذا ولا ذا قريبة يصير عليها عند إغلاق بابه

قال محمود الوراق :

لولا مقارنة الريب ما كنت ممن يحتجب
أولا فعي فيك أو بخل على أهل الطلب
فاكشف لنا وجه النقا ب ولا تبال من غضب

وقال محمود الوراق :

طول الحجاب مخبر عن عي صابحه وبخله
فإذا الفتى لم يستبن هذا تبين ضعف عقله

قال منصور :

الستر دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من ستر

قصد ابراهيم بن المهدي يحي بن خالد فحجبه فكتب إليه ابراهيم :

إنـي أتـيـت لـلـسـلام ولـم ... أنـقـل إلـيـك لحاجة رجلي
فـحـجـبـت مـرتـين وقـد ... تـشـتـد واحـدة عـلـى مـثـلـي

* * *

سأتـرك بـابـا أنـت تمـلـك إذنـه ... وإن كنت أعمى عن جميع المسالك
فإن كنت بواب الجنان تركتها ... وحولت رجلي مسرعاً نحو مالك

قـال شاعر :

سأترك هذا البـاب مادام إذنـه ... لعهدي به حتى يخف قليلاً
وما خاب من لم يأته متعمداً ... ولا فاز من قد نال منه وصولا
إذا لم أجد فيه إلى الإذن سلما ... وجدت إلى ترك المجي سبيلا

قـال محـمـود الـوراق :

علي أي باب أطلب الإذن بعد ما ... حجبت عن الباب الذي أنا حاجبه
وكان يجير الناس من سيف مالك ... فأصبح يبغي نفسه من يجيرها

قال الفـرزدق :

ولـسـت بمـتـخـذ صـاحـبـا ... يـقـيـم عـلـى بـابـه حـاجـبـاً
ويـلـزم إخـوانـه حـقـه ... ولـيـس يـرى حـقـهـم واجـبـاً
هـش إذا نـزل الـوفـود بـبـابـه ... سـهـل الحـجـاب مـهـذب الخـدام
وإذا رأيـت صـديـقـه وشـقـيـقـه ... لـم تـعـلـم أيـهـمـا أخـو الأرحـام

قـال أبـو تمـام :

إذا كـان لا بـد مـن حـجـيـة ... ومـن حـاجـب فاجعلوه رقـيـقـاً
يـخـاطـب من جـاءه بـالجـمـيـل ... فيـأتي صديقـاً ويمضي صديقاً

المصافحة وتقبيل اليد والفم

«منصور الفقيه»

قال رسول الله {ﷺ} :

« تصافحوا يذهب الغل » .

قال أبو مخلد : « المصافحة تجلب المحبة » .

قال شاعر :

قد يمكث الناس دهراً ليس بينهم ود فيزرعه التسليم واللطف

وقال آخر:

أقوم وما لي أن أقوم مذلة علىّ وإني للكرام مذلل
على أنها عني لغيرك هجنة ولكنها بيني وبينك تجمل

قال ابن الرومي :

«تناول أبو عبيدة بن الجراح يد عمر ليقبلها فقبضها فتناول رجله فقال: ما رضيت منك بتلك فكيف بهذه؟ ».

دخل عقال بن شبة على هشام بن عبد الملك فأراد أن يقبل يده فقبضها وقال: مه فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا هلوع ومن العجم إلا خضوع .

«قبلة الإمام العدل طاعة». { الحسن }

«قبلة الوالد ولده الرأس، وقبلة الأم للولد الخد، وقبلة الأخت للأخ العنق». { حكيم }

«قبلة الوالد عبادة، وقبلة الولد رحمة، وقبلة الرجل أخاه دين ». { حكيم }

«العينان تزنيان وزناهما النظر، والفم يزني وزناه القبل، واليد تزنى وزناها اللمس». {صلى الله عليه سلم}

الرســــول

لقد كذب لواشون ما بحت عندهم　　　بســر ولا أرسلتـهـم بـرسـول

« شــاعـر »

« إذا أمرتم اليّ بريداً أو بعثتم رسولا فيكن حسن الوجه حسن الإسم . وإذا سألتم الحوايج فاسألوا حسان الوجه .»

{صلى الله عليه وسلم}

قال {ﷺ} : « الرجل الصالح يجيء بالخبر الصالح والرجل السوء يأتى بالخبر السوء » .

كان عبد الملك بن مروان إذا ولى رجـــلا البريد سأل عن صدقه وعفته وأمانته، وقال إن كذبه يشكك فى صدقه، وشره يحمله على كتمان الحق، وعجلته تهجم به على ما يندمه ويؤثمــه .

« الرسـول قطعة من المرسل ».　　　{ حكيم }

« ثلاثة دالة على صاحبها الرسول على المرسل، والهدية على المهدي ، والكتاب على الكاتب » .　　{ عمرو بن العاص }

مـن رسـول إلـى الـثـريـا فـإنـي　　ضقت ذرعـاً بحبهـا والـكـتـاب
هـي مـكـنـونـة تـخـيـر مـنـهـا　　فـي أديم الخـديـن مـاء الـشـبـاب
أبـرزوهـا مـثـل الـمـهـاة تـهـادي　　بـين خـمـس كـواعـب أتـراب
ثـم قـالـوا تحـبـهـا قـلـتِ جـهـراً　　عـدد الـقـطـر والحصـى والـتـراب

قــال عمــر :

إذا كـنـت فـي حـاجـة مـرسـلا　　فـارســل حـكـيـمـاً ولا تـوصـه

قال عبد القدوس :

وقـد سمع الخليل بن أحمد رجـلا ينشد بيت صـالح هــذا فقال : هو الدرهم :

لا تكذبن فـإن الناس قد خلقوا　　لرغبة يكرمون الناس أو فرق
أما الفعال فعند النجم مطلعها　　والقول يوجد مطروحاً على الطرق

قـال شـاعر :

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلما وكتب إليه :

قد بعثنا إليك أكرمك اللـــه بشيء فكن له ذا قبول
لا تقنه إلى ندى كفك الغمـــر ولا نيلك الكثير الجزيل
واغتفر قلة الهدية مني إن جهد المقل غير قليل

قـال آخـر :

هديتي تقصر عن همتي وهمتي تعلوا على مالي
وخالص الود ومحض الهوى أحسن ما يهديه أمثالي

قـال حـكيم :

يعرف سخف الرجل من سخف هديته .

قـال قتـادة :

إن اللئيم إذا أهدى هديتـه أبدى نزالته فيها لمن سمعا

ولخلف خليفة الأقطع من بنى قيس بن ثعلبة فى جار له غاب ثم قدم ولم يهد له وكانت بينهما مصافاة .

أتانا أخ من غيبة غاب أشهراً وكنت إذا ما غاب أنشده الركبا
فجاء بمعروف كثير فدسه كما دس راعي السوء في حصنه الوطبا

أهدى أبو أسامة الكاتب الى بعض إخوانه فى يوم نيروز وردة وسهما وديناراً ودرهما وكتب اليه ما يأتى:

لا زالت كالورد نظير المبسم ونافذاً مثل نفوذ الأسهم
في عز دينار ونجح درهم

الجـــار

من حـق الجار أن تبسط لـه معروفك وتكف عنه أذاك .

{عمر بن الخطاب}

قـال عـلي للعباس :

ما بقي من كرم أخلاقك ؟ قال: الأفضال على الإخوان وترك إذاء الجيران .

ليس من حسن الجوار ترك الأذى ولكن احتمال الأذي .

قـال حـكيم:

يـا سـائـلـى عـن حـسـين ... وقــد مـضـى اشـكـالـه
أقـــل مـــا فـــي حـــسـين ... كـــف الأذي واحـتـمـالـه

قـال منصور الفقيـه :

ولم أر مثل الجهل يدعو الى الردى ... ولا مثل جار السوء يكره جانبه
{الحسن}

لا يأمن الجار شرا في جوارهم ... ولا محالة من شتم والقاب
{شاعر}

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ... ويا إبنة ذي البردين والغرس الورد
إذا ما عملتي الزاد فاتخذي له ... أكيلا فإني لست آكله وحدي
بعيداً قصياً أو قريباً فانني ... أخاف إذا مت الأحاديث من بعدي
وكيف يسيغ المرء زاداً وجاره ... خفيف المعا بادي الخصاصة والجهد

قـال حـاتم :

سقيا ورعيا لأقوام نزلت بهم ... كأن دار اغترابي عندهم وطني
إذا ما رفيقي لم يكن خلف ناقتي ... له مركب فضل فلا حملت رحلي
ولم يك من زادي له نصف مزودي ... فلا كنت ذا زاد ولا كنت ذا رحل
شريكين فيما نحن فيه وقد أرى ... علي له فضلاً بما أنا من فضلي

قـال ابن حينـاء :

نزلن على آل المهلب شاتياً ... غريباً عن الأوطان في زمن محل
فما زال بي إكرامهم وافتقادهم ... وبرهم حتى حسبتهم أهلي

الضيف

«ليلة الضيف حق واجب» صلى الله عليه وسلم

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وجائزته يوم وليلة. والضيافة ثلاثة أيام وما زاد فهو صدقة ولا يحل أن يثوي عنده حتى يخرجه» . صلى الله عليه وسلم

قيل للأوزاعي : رجل قدم الى ضيفه النامخ والزيتون وعنده اللحم والعسل والسمن . فقال هذا لا يؤمن بالله واليوم الآخر .

لا در درى إن أطعمت نازلهم خبز الشعير وعندي البر مكنوز

قال أبو ذويب :

قال نافع كان ابن عمر إذا نزل على قوم لا يأكل لهم شيئاً فوق ثلاثة أيام ويقول بعدالثلاثة إمسكوا عناصدقتكم.

لقد علمت عرسي فلانة أنني طويل سنا ناري بعيد خمودها
إذا حل ضيفى بالفلاة ولم أجد سوى منبت الأطناب شب وقودها

قال أبو النجم :

طعامي طعام الضيف والرحل رحله ولم يلهني عنه غزال مقنع
أحدثه أن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

قال الدرامي :

يستأنس الضيف في أبياتنا أبداً فليس يعلم خلق أينا الضيف

قال العكري :

ومستنيخ يغشى الغداة ودونه من الليل بابا ظلمة وستورها
رفعت له ناري فلما اهتدى لها زجرت كلابي أن تهر عقورها

قال عوف :

يغشون ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

قال حسان بن ثابت :

وقد عرفت كلابهم ثيابي فكأني منهم ونسيت أهلي

قال أبو الطمحة :

ما ترى كلبي إلا أنيسا ... إذا أتى خابط ليل لم يهر

قال امرؤ القيس :

إذا ما بخيل الناس هرت كلابه ... وشق على الضيف الغريب عقورها
قال كلابي قد أقرت وعودت ... قليل على من يعتريها هريرها

قال حاتم الطائي :

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ... ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن تكثروا القرى ... ولكن ما وجه الكريم خصيب

قال أبو يعقوب :

إنك يا ابن جعفر خير فتى ... وخيرهم لطارق إذا أتى
ورب نضو طرق الحي سرا ... صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى
إن الحديث جانب من القرى

قال مشماخ :

وضيفك قابله ببشرك وليكن ... له منك أبكار الحديث وعونه

قال ابن سهل الوراق :

سلي الطارق المعتز يا أم مالك ... إذا أتاني بين ناري ومجزري

قال شاعر :

أبسط وجهي إنه أول القرى ... وأبذل معروفي له دون منكر

وقال آخر :

لعمر أبيك الخير إني لخادم ... لضيفي وإني إن ركبت لفارس
وإني لعبد الضيف ما دام نازلا ... وما في إلا ذاك من شيم العبد

قال الكندي :

تراهم خشية الأضياف خرسا ... يصلون الصلاة بلا آذان

قال آخر :

وجدت أبا الصلت ذا خبرة ... بما يصلح المعدة الفاسدة
تخوف تخمة أضيافه ... فعلمهم أكلة واحدة

قال آخر :

ذريني فإن الشح يا أم مالك ... لصالح أخلاق الرجال سروف

ذريني وحظي في هواي فإنني علي الحسب العالي الرفيع شفيق
ومستنبح بعد الهدو أجبته وقد حان من سارى الشتاء طروق
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا فهذا مبيت صالح وصديق
أضفت ولم أفحش ولم أقل لا حرمة أن الفتى ليضيق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

قال عمر الأهيم :

وطريد ليل ساقه سغب وهنا إليّ وقاده برد
أوسعت جهد بشاشة وقرى وعلى الكريم لضيفه الجهد
ثم اغتدى ورداؤه نعم أسديتها وردائي الحمد

«كل معروف صدقة » . صلى الله عليه وسلم

«لا تحقرن شيئاً من المعروف أن تأتيه وأفرغ من دلوك فى إناء المستقي . وألق أخاك ووجهك منبسط اليه».

صلى الله عليه وسلم

«أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة» .

صلى الله عليه وسلم

«أذا طلبتم المعروف فاطلبوه من حسان الوجوه» .

«قول بعض الحكماء»

«ألا أدلكم على شيء يحبه الله ورسوله؟ قال: المعروف والتغابن للضعيف» .

«ما رأيت رجلا أوليته معروفاً إلا أضاءمابيني وبينه ولا رأيت رجلا فرط اليه منى شيء إلا أظلم ما بيني وبينه» .

قال عبد الله بن العباس :

«لاشيء أفضل من المعروف ولاثوابه وليس كل من رغب فيه يقدر عليه ولاكل من قدرعليه يؤذن له فيه فإذا اجتمعت الرغبةوالقدرة والإذن تمت السعادة للطالب والمطلوب منه».

قال زيد بن علي :

«المعروف أيمن زرع وأفضل كنز ولا يتم إلا بثلاث خصال : بتعجيله . وتصغيره ، وستره . فإذا عجل فقد هني ، وإذا صغر فقد عظم ، وإذا ستر فقد تمم».

قال زهير :

ومن يجعل المعروف من دون عرضة ... يقيه ومن لايتقي الشتم يشتم
إن ابتداء المعروف مجد باسق ... والمجد كل المجد في استتمامه
إن الهلال يروق أبصار الورى ... حسنا وليس لحسنه لتمامه

قـال الزبـير :

قال رجل لعون بن عبد الله بن عتبة ما السخاء ؟ قال المعروف . قال فما البخل قال الاستقصاء على الملهوف .

قـال ابن عباس :

لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفر فإنه يشكرك عليه من لم يصنعه فى كل شىء سرف إلا بالمعروف .

قـال حـكيم :

وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعة   من جاهه فكأنها من ماله

قـال حبيب :

لا يذهدنك فى المعروف دمامة من يسديه إليك ولا ينبو بصرك عنه فإن حاجتك فى شكره ووفائه لا منظره وإن لم يكن أهله كنت أنت أهله .

قـال شـاعر :

ولم أر كالمعروف أما مذاقه   فحلو وأما وجهه فجميل
أمطر المعروف أمطاراً فإن   أصاب الكرام كانوا له أهلا
وإن أصاب اللئام كنت له أهلاً

قـال عبد الله بن جعفر :

من أسلف المعروف كان ريحه الحمد. وفى كل شيء سرف إلا فى ابتناء مكرمة أو اصطناع معروف أو إظهار مروءة.

قـال عمرو بن العاص :

كما يتوخي للوديعة أهل الأمانة والثقة كذلك ينبغى أن يتوخى بالمعروف أهل الوفاء والشكر ، إعطاء الفاجر يقويه على فجوره، ومسالمة اللئيم إهانة للعرض، وتعليم الجاهل زيادة فى الجهل، والصنيعة عند الكفور إضاعة للنعمة، فإذا هممت بشيء من هذا فارتد الموضع قبل الإقدام على الفعل .

قـال حكيم :

إن الصنيعة لا تكون إلا فى ذي حسب أودين كما

أن الرياضة لا تكون إلا فى نجيب .

قال حكيم :

صاحب المعروف لا يقع وإذا وقع أصاب متكئاً .

قال حكيم :

ودون الندا في القلب منه ثنية لها منجد حزن ومنحدر سهل

قال شاعر :

يود الفتى في كل نيل يناله إذا ما انقضى لو أن سائله جزل

كان الحجاج بن يوسف يقول خير المعروف ما انتعشت به الكرام .

من لم يرب معروفه فكأنه لم يصطنعه .

أحيي معروفك بإماتته .

قال حكيم :

كتب أرسطو طاليس الى الإسكندر : أملك الرعية بالإحسان اليها تظفر بالمحبة وطلبك ذلك منها بالإحسان أدوم بقاء بإحسانك منه باعتسافك واعلم أنك تملك القلوب بالمعروف واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول قدرت على أن تفعل فاجتهد أن لا تقول تسلم إن تفعل .

اتق أن يسد طريق المعروف بالكفر أو بالمن فإن المن يفسد الصنيعة والكفر يمحوها ويستلب النعمة .

قال حكيم :

أفسدت ما أوليت من حسن أذ ليس الكريم بها أسدى بمنان

قال معاوية ليزيد :

يا بني اتخذ المعروف منالاً عند ذوي الإحسان تشتمل به مودتهم وتعظم فى أعينهم وتكف به عاديهم وإياك والمنع فإنه ضد المعروف .

حصـاد مـن يـزرع المعروف فى الدنيا اغتباط فى الآخرة .
ذم إعرابي رجلا فقال :
« سمين المال مهزول المعروف ».
من زرع معروفاً حصد خيراً ومن زرع شراً حصد ندامة .

قال الزهـري :

من يزرع الخير يحصد ما يسر به   وزارع الشر منكوس الرأس

قال آخر :

من يزرع الخير يحصد حصاده . موقراً يوماً إذا أراده الراجز وأيدي الندا فى الصالحين فضول .

قال الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لايذهب المعروف بين الله والناس
يد المعروف غنم حيث كانت   يحملها شكور أو كفور
ففي شكر الشكور لها جزاء   وعند الله ما كفر الكفور

قال عبد الله بن المبارك :

سمعت أعرابي يقول: أسرع الذنوب عقوبة كفر المعروف.

قال الأصمعي :

وما هذه الأيام إلا معارة   فما استطعت من معروفها فتزود
فإنك لا تدري بأية بلدة   تموت ولا ما يحدث الله في غد

قال ابن دريد :

خير إحسان المرء ما أغاث فيه المضطر واحتسب فيه الأجر وارتهن فيه الشكر واسترق فيه الحر .

قال بزر جمهر :

جمع كسرى مرازبته وعيون أصحابه فقال لهم على أي شيء أنتم أشد ندامة ؟ قالوا على وضع المعروف فى غير أهله وطلب الشكر مم لايشكر له .

قال الشاعر :

وزهدنى في كل خير منعته ... الى الناس ماجريت من قلة الشكر

الناس من شاكر للعرف محتمل ... ومن كفور لما أوليته زمر

وقال آخر :

فابسط يد الجود تحمل بعض نائلها ... وإنما الناس والمعروف كالغرر

وقال آخر :

ومن يجعل المعروف في غير أهله ... يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر

قال المهلب :

عجبت لمن يشتري المماليك بماله ... ولا يشتري الأحرار بمعروفه

عجبت لمن يشتري العبيد بماله ... ولا يشتري حراً بطيب فعاله

قال شاعر :

ليس للأحرار ثمن إلا كرام ... فأكرم حراً تملكه

قال المهلب :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

قال المتنبي :

دواء من لم يصلحه إلا إكرام الهوان.

قال شاعر :

من لم يؤدبه الجميل ... ففي عقوبته الجميل

وقال آخر :

فكرت في المال وفي جمعه ... فكان ما يبقى هو الفان

وكان ما أنفقت في أوجه البر ... بمعروف وإحسان

هو الذي يبقى وأجزى به ... يوم يجازى كل إنسان

ومن فساد العرف إحصاؤه ... وذكره في كل ابان

فانشر إذا أوليت عرفاً وإن ... أوليت فاستره بنسيان

الشكر

لمحمود الوراق

ما عظمت نعمة الله على أحد إلا ازداد حق الله عليه عظماً.

قال حذيفة بن السمان :

من لم يعرف سوء ما يبلى لم يعرف خير ما يولى .

قال عروة بن الزبير :

ما أنعم الله على عبد بنعمة فعرفها بقلبه وشكرها بلسانه إلا ويزداد .

إنني أثني بما أوليتني   لم يضع حسن بلاء من شكر
إنني والله لا أكفركم   أبداً ما صاح عصفور الشجر

قال أبو المعافي :

فلو كان يستغنى عن الشكر ما جد   لعزة ملك أو علو مكان
لما اندب الله العباد لشكره   فقال اشكروني أيها الثقلان

قال شاعر :

سأشكر عمرّ إن تراخت منيتي   إياي لم تمنن وإن هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه   ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفي مكانها   فكانت قذى عينيه حتى تجلت

المجوسي يوليني خيراً فأشكره .

قال سعيد بن جبير :

لئن طبت نفساً عن ثنائي فإنني   لاطيب نفساً منداك على عسر
فلست إلى جدواك أعظم حاجة   على شدة الإعسار منك إلى شكر

ذكر النعمة شكر .

قال عمر بن عبد العزيز :

من لم يشك الجفوة لم يشكر النعمة .

قـال جعفـر بن محـمد :

إذا أنا لم أعرف لذي الفضل فضله ... ولـم ألـم الخـب اللـئيـم المذممـا
ففيم عرفت الخير والشر بإسمه ... وشق لي اللـه المسامع والفما

قـال شـاعر :

وما تخفى الصنيعة حيث كانت ... ولا الشكر الصحيح من السقيم
فلو كان للشكر شخص يرى ... إذا مـا تـأمـلـه النـاظـر
لمـثـلـتـه لـك حـتـى تـراه ... فـتـعـلـم إنـي امـرء شـاكـر

قـال العتـابي :

وإنـك إن ذوقـتـنـي مـر الـغـنـى ... حمدت الذي تجنيه من ثمر الشكر

قـال شـاعر :

وإن تفنى ماعطيت في اليوم أو غد ... فان الذي أعطيك يبقى على الدهر
لأشكرنـك معروفـا هممت بـه ... إن اهتمامك بالمعروف معروف
ولا ألـومـك إن لـم يمـضـه قـدر ... فالرزق بالقدر المحتوم مصروف

قـال آخـر :

إن الله عز وجل أنعم على عباده بقدر طاقته، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم .

قـال سليمان الشيوى :

كل شكر وإن قل ثمن لكل نوال وإن جل .

قـال حكيم :

إذا رأيتم النعمةمستدبرة فبادروها بالشكر قبل الزوال .

قالت هند بنت المهلب :

من لا يقوم بشكر نعمة حبـه ... فمتى يقوم بشكر نعمة ربه

قـال البحتري :

إذا كان شكر نعمة الله نعمة ... على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا سر بـالسراء عم سرورها ... وإن سر بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلا لـه فيه نعمة ... تضيق بها الأوهام والبر والبحر

قال أبو العتاهية :

قال رجل من قريش لأشعب الطماع يا أشعب أحسنت اليك فلم تشكر ؟ فقال : إن معروفك خرج من غير محتسب إلى غير مستحق .

قال حكيم :

لا تثق بشكر من تعطيه حتى تعطيه .

قال شاعر :

لا تحسب المجد حلواً أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تأكل الصبرا

ما من شيء أسر إليّ من يد اتبعها أخرى لأن مع الأواخر يقطع اللسان شكر الأوائل .

طلب الحاجات

قال النبي (ﷺ) :

« إشفعوا تشفعوا » .

«إستعينوا على حوايجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود » .

« إن لله عباداً خلقهم لحوايج الناس هم الأولون يوم القيامة » .

لقد وصف النبي أذ قال يوماً أطلبوا الخير من حسان الوجوه

قال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم :

إنى أتيتك فى حاجة رفعتها الى الله قبلك فإن أذن الله فيها قضيتها وحمدناك وإن لم يأذن الله فيها لم تقضها وعذرناك .

أنزلت بالحر ابراهيم مسئلة **أنزلتها قبل إبراهيم بالله**
فان قضى حاجتنا فالله يسرها **فهو المقدر لها والآمر الناه**
إذا أبى الله شيئاً ضاق مذهبه **عن العريض الكثير القدر والجاه**

قال يونس :

خير المذاهب في الحاجات نجحا **وأضيق الأمر أدناه إلى الفرج**

كتب سوار بن عبدالله بن سوار القاضي الي محمد بن عبدالله بن ظاهر يقول :

لنا حاجة والعذر فيها مقدم **خفيف معناها مضاعفة الأجر**
فإن تقضها بالحمد لله ربنا **وإن تكن الأخرى ففي أوسع العذر**
على إنه الرحمن معط ومانع **وللرزق أسباب إلى قدر تجري**

فأجابه محمد بن عبدالله بن ظاهر:

فلها تجدني موجبا لقضائها **سريعاً إليها لا يخامرني فكر**

شكور بأفضالي عليك بمثلها　　وإن تكن الأخرى ففي أوسع العذر
لهذا قليل للذي قد رأيته　　لحقك لا من لدي ولا فخر

حاجة الرجل الى أخيه فتنة لهما إن أعطاه شكر من لم يعطه وإن منعه ذم من لم يمنعه .

قال جعفر بن محمد :

لا تطلبوا الحوايج عند غير أهلها، ولا تطلبوها فى غير حينها، ولا تطلبوا مالا تستحقون منها، فإن من طلب مالا يستحق استوجب الحرمان .

قال خالد بن صفوان :

إذا طلب عاقل الى كريم حاجة انقضت . لأن العاقل لا يطلب إلا ما يمكن والكريم إذا سئل ما يمكن لم يمنع .

قال حكيم :

إذا أحببت أن تطاع فسل ما يستطاع .

إنك إن كلفتني ما لم أطق　　ساءك ما سرك مني من خلق

قال شاعر :

من لم يسعه الكفاف معتدلا　　ضاقت عليه الدنيا بما رحبت

قال القطامي :

قد يدرك المتأني بعض حاجته　　وقد يكون مع المستعجل الزلل

استعينوا على الناس فى حوايجكم بالتثقيل فذلك نجاح لكم .

ولن يدرك الحاجات من حيث ينبغى : من الناس إلا المصبحون على رجل .

قال أبو نواس :

ليس للحاجات إلا　　من له وجه وقاح
وابتكار ودوام　　وغدو ورواح
أن يكن أبطأت الحا　　جة عني والسراح
فعلى الجهد فيها　　وعلى الله النجاح

قال أشجع السلمي :

هيبة الإخوان قاطعة		لأخي الحاجات عن طلبه
فإذا ما هبت ذا مال		مات ما أملت من سببه

قال شاعر :

طلب الحوايج كلها تغرير		لا ترض معجزة وأنت قدير

قال آخر :

جئتك مستشفعاً بلا سبب		إليك اليوم بحرمة الأدب

قال دعبل :

فاقض ذمامي فإنني رجل		غير ملح عليك في الطلب

قال آخر :

من عف خف على الصديق لقاؤه		وأخو الحوائج وجهه سلول
لا جعل الله لي إليك ولا		عندك ما عشت حاجة أبداً

قال أبو العتاهية :

لئن عدت بعد اليوم إني لظالم		سأصرف نفسي حين تبغي المكارم
متى ينجح الغادي إليك لحاجة		ونصفك محجوب ونصفك نائم

قال أيضا:

نروح ونغدو لحاجاتنا		وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته		وتبقى له حاجة ما بغي

قال الصلتان :

إنما تنجح المقالة في المرء		إذا وافقت هرى في الفؤاد

سئل بعض الحكماء حاجة فامتنع فعوتب فى ذلك فقال : لأن يحمر وجهي مرة خير من أن يصفر وجهي مرارا .

قال منصور الفقيه :

من قال لا في حاجة		مطلوبة فما ظلم
وإنما الظالم من		يقول لا بعد نعم
أن لايعد نعم فاحشة يطمع		قبلا فابدأ إذا خفت الندم
وإذا قلت نعم فاصبر لها		بتجاوز الوعد إن الخلف ذم

قـال شـاعر :

إذا قلت في شـيء نـعـم فـأتمـه فـإن نعم دين على الحر واجب

وإلا فقل لا تستريح وترح بها لـئلا يقول الناس إنك كاذب

قـال آخـر :

لا يزال المـرء مـا عـاش لـه حاجة في الصدر منه تختلج

رب أمـر قـد تضايقت بـه ثم يأتي الله منه بالفرج

قال أبو العتاهية :

مـا أرسل الأقوام في حاجة أمضي ولا أنفع من درهم

يأتيك عفوا الذي تشتهي نعم الرسول الرجل المسلم

قـال السيد الحميري :

لئن أخطأت فى مدحك ما أخطأت فى منعى .

قـال آخـر :

لقد أحللت آمالي بواد غير ذي زرع

قـال غـيره :

قد تخرج الحاجات يا أم مالك من غير كرم بهن ضنين

قـال آخـر :

قد يدرك الأمر أناة الفتى ويسبق الحاجات من يدلج

قال رسول الله {ﷺ} :

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . فالإمام الذي على الناس راع عليهم ومسئول عنهم ، والمرأة راعية على مال زوجها وهي مسئولة عنه » .

«الإمام العدل لا تكاد ترد دعوته ».

«المقسطون يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين لا يفزعون إذا فزع الناس» .

«كل أمير لم يحط برعيته بالنصيحة لم يرح رائحة الجنة».

قال أبو جعفر :

الذى عليّ للرعية أن أحفظ سبلهم فينصرفون آمنين فى سبلهم ولا يصدون من حجمهم وقضاء نسكهم وأن أضبط ثغرهم وأحصنها من عدوهم وأن أختار قضاتهم وأعزهم بالحق كيلا يصل ظلم بعضهم الى بعض وأن أرفع أقدار فقهائهم وعلمائهم وأكف جهالهم عن حلمائهم .

كتب عبدالملك بن مروان الى الحجاج:صف لي الفتنةحتى كأني أراهارأي العين فكتب اليه:لو كنت شاعراً لوصفتهالك فى شعري ولكنى أصفها لك بمبلغ رأيي وعلمي: {الفتنة تلقح بالجوى وتفتح بالشكوى} فلما قرأ كتابه قال : إن ذلك لكما وصفت فخذ من قبلك بالجماعة وأعطوا عطايا الفرقة واستعن عليهم بالفاقة فإنها نعم العون على الطاعة فأخبر بذلك أبو جعفر المنصور فلم يزل عليه حتى مضي لسبيله .

قال بعض الحكماء من ملوك الفرس لحكيم من حكماء مملكته أي الملوك أحزم؟ قال: من غلب جده وهزله هواه

وأعرب عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده .

لما أراد عمرو بن العاص المسير الى مصر قال لمعاوية يا أمير المؤمنين إنى أريد أن أوصيك قال : أجل فأوص قال انظر فاقة الأحرار فاعمل فى بسدها وطغيان السفلة فاعمل فى قمعها واستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان فانما يصول الكريم إذا جاع واللئيم أذا شبع .

الرعيةللملك كالروح للجسد فإذا ذهب الروح فني الجسم.

قال عمر بن الخطاب :-

دلونى على رجل أستعمله فقد أعياني أمر المسلمين قالوا له عبد الرحمن بن عوف. قال لهم: ضعيف. قالوا له فلانا، قال: لاحاجة لي به. فقالوا: فمن تريد؟ قال: رجل إذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم، وإذا لم يكن أميرهم كان كأنه أميرهم. قالوا : ما نعلمه إلا الربيع بن زياد هذا كان فاضلا جليلا فى قومه ولاه معاوية خرسان فاستكتب الحسن ابن أبي الحسن فكان كاتبه فلما بلغه قتل معاوية وعمر بن عدي ، قال : اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه اليك وعجل فزعموا أنه لم يبرح من مجلسه حتى مات .

لايصلح هذا الأمر إلا شدة فى غير ضعف ولين فى ضعف.

قال أبو بكر الصديق :

لم يقم أمر الناس ألا امرءٍ حصيف العقيدة بعيد الغور لا يطلع الناس منه علي عورةً ولا يخاف فى الله لومة لائم .

لايقيم أمر الله فى الناس إلا رجل يخاف الله فى الناس.

أما بعد فإنه أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى استشرى وبسطوا الجود حتى اقدى .

قال علي بن أبي طالب فى أول كتاب كتبه :

{ إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من

لايستعمله والمال عند من لا ينفقه ضاعت الأمور } .

قال أبو بكر :

الملك والدين إخوان لا غنى لأحدهما عن الآخر فالدين رأس والملك حارس، فما لم يكن له رأس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضايع .

قال علي بن أبى طالب :

شر الأمراء أبعدهم عن العلماء وشر العلماء أقربهم من الأمراء .

قال حكيم :

من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما فى يديه ورغبه فيما فى يد غيره وأشرب قلبه الإشفاق على ما عنده فهو يحسد على القليل ويتسخط على الكثير .

قال أبو بكر الصديق :

ولى على بن أبى طالب عم المختاربن أبي عبيد عكبرا، وقال له : بين يدي أهلها استوف منهم خراجها ولا تجدن عندك ضعيفاً ولارخصة ، ثم قال له: رح الي، قال: فرحت اليه ، فقال لي : قد قلت لك بين أيديهم ما قلت وهم قوم خدع وأنا الآن آمرك بما أن قبلته وإلا آخذك كله به دونى وإن بلغني خلاف ما أمرتك به عزلتك لاتبيعن. لهم مزقاً ولا كلونه ولا كسوة شتاء ولا صيف ولا تضربن رجلا منهم سوطاً فى طلب دراهم، ولا تزج فى السجن فيطلب درهم فإنا لم نؤمر بذلك، ولا تبين لهم حاجة يعملون عليها، فإنا أمرنا أن نأخذ منهم العفو .

قال عمرو بن العاص :

قال لابنه : يا بني احفظ عنى ما أوصيك به : إمام عدل خير من مطر ، وبل واسد حطوم ، خير من إمام ظلوم .

قال بعض الحكماء لبعض الملوك :

أوصيك بأربع خصال ترضي بهن ربك وتصلح بهن رعيتك لا يغرنك ارتقاء السير إذا كان المنحدر وعراً ولا تعدن وعداً ليس فى يديك وفاؤه واعلم أن الأمور تفتات فبادر واعلم أن الأعمال جزاء فاتق العذاب كمال الرأي شدة فى غير إفراط ولين فى غير إهمال .

قال زياد:

ضرب مصعب بن الزبير وجه الأسقف بالقضيب فقال: إنى أجد فى الإنجيل لاينبغى للإمام أن يكون سفيهاومنه يلتمس الحلم ولا ينبغى له أن يكون جائراً ومن عنده يلتمس العدل .

علامة رضا الله عن عباده أن يستعمل عليهم خيارهم وأن ينزل عليهم الغيث فى أوانه وعلامة سخطه عليهم أن يولى عليهم شرارهم وينزل عليهم الغيث فى غير أوانه .

قال معاوية لابن الكرصف :

لي الزمان فقال: أنت الزمان إن تصلح يصلح وإن تفسد يفسد.

قال {ﷺ} :

«صنفان من أمتى إذا صلحا صلح الناس الأمراءوالعلماء»

قال الأحنف:

«كل ملك غدور وكل دابة شرود وكل امرأة خؤون».

قال الأعور السلمي :

يامعشربني سليم أنذركم السلطان فإنه أصبح صعباً حنوطأيغضب كمايغضب الصبي ويفترس كمايفترس الأسد.

قال عبد الملك بن مروان :

لقد كنت أمشي فى الزرع فاتقى الجندب أن أقتله وأن

الحجاج اليوم ليكتب الي بقتل مئات من الناس فما أحفل بذلك .

قال بعض الولاة لأعرابي :

قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً . فقال : وأنت فاعمل به بما توعدك الله أشد مما تتوعدني به .

قيل لملك زال عنه ملكه :

لما زال عنك ملكك ؟ قال : لمدافعتى عمل اليوم الى غد.

من أكل حلواءهم انحط فى أهواءهم .

قال ابن شبرمة :

إياك أن تدخل علي كثيراً فأملك أو تسألني حوايج غيرك فتثقل علي حوايجك ولا تطل الغيبة عني فأنساك .

قال كسري لوزيره :

من زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم .

قال حكيم :

أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما أن أقرب الأشياء الى النار أسرعها احتراقاً .

قال ابن المعتز :

إن الملوك بلاء حيث ما حلوا ... فلا يكن لك في افيائهم ظل
وما تريد بقوم إن هم سخطوا ... جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا
وإن مدحتهم ظنوك تخدعهم ... واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم أبداً ... فإن الوقوف على أبوابهم ذل

قال حكيم :

السلطان كالنار من تباعد عنها لم ينل من حرها شيئاً ، ومن تقرب منها أحرقته .

ذكر أعرابى الملوك فقال :

الملك أقرب ما تكون اليه أخوف ما تكون منه شاهده يظهر

حبك وغائبه يبتغى غيرك .

قال الخليفة المأمون :

لو كنت مع العامة لم أصحب السلطان .

قال العباس بن محمد المنصور :

يا أمير المؤمنين إنما هو سيفك ودرعك فادرع بدرعك من شكرك واحصد بسيفك من كفرك .

قال حكيم :

« لا تغتر بالأمير إذا غشك الوزير ».

قال قائل :

لا تثق بالأمير إذا خانك الوزير .

قال حكيم :

إذا أنزلت من الوالى منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الخنا ولا تكثرن له الدعا فى كل كلمة ، فإن ذلك يشبه الوحشة وعظمه ووقره فى الناس .

قال الشعبي :

أخطأت عند عبدالملك بن مروان فى أربع:حدثني بحديث يوماً فقلت أعده علي ، فقال : أما علمت أن أمير المؤمنين لا يستعاد ؟ . وقلت له حين أذن لي عليه أنا الشعبي ، فقال : أما ما أدخلناك حتى عرفناك . وكنيت عنده رجلا ، فقال : أما علمت أنه لا يكنى أحد عند أمير المؤمنين ؟ وحدثني حديث فسألته أن يكتبنيه ، فقال لا نكتب ولا نسحب .

قال الشعبي :

قال لي عبد الملك : جنبني ثلاثاً واورد على ما شئت : لا تطرني فى وجهي فأنا أعلم بنفسي . وإياك أن تغتاب عندى أحداً واحذر أن أجد عليك كذبة فلا أسكن الى قولك .

قال عمر بن الخطاب لهبي :

إذ ولاه الحمى ، يا هبي اخفض جناحك واتق دعوة المظلوم.

قل لنصر والمرء في دولة السلطا ... ن أعمى ما دام يدعى أسيرا
فإذا زالت الولاية عنه ... واستوى بالرجال كان بصيرا

قال المهلب لابنه يا بني :

اخفض جناحك واشدد فى سلطانك فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن .

أربعة تكثر معاشرهم : التواني ، والفرس الجموح ، والسلطان الشديد المملكة ، والعالم .

قال حكيم :

بصق عبد الملك يوما فقصر بصاقه فوقع فوق البساط فقام رجل من المجلس يمسحه بثوبه ، فقال عبد الملك : أربعة لايستحي من خدمتهم : السلطان ، والولد ، والضيف ، والدابة وأمر للرجل بصلة .

كتب الى عمر بن عبد العزيز عامل له: إن مدينتنا احتاجت الى حصون ، فكتب اليه عمر حصن مدينتك بالعدل ونق طريقها من الظلم .

قال معاوية بن أبى سفيان : من وليناه من أمورنا شيئاً فليجعل الرفق بين الأمانة والعدل .

قال محمد بن كعب الفرظي : قال لي عمر بن عبد العزيز صف لي العدل يا ابن كعب قلت : بخ بخ سألت عن أمر عظيم: كن لصغير الناس أبا ولكبيرهم إبناً وللمثل منهم أخا وللنساء كذلك ، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم ولاتضربن لنفسك سوطاًلأحد فتكون من العادلين .

ليس شيء أحسن عند الله يابني إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له واصفح صفحاً جميلاً ولا ترين متهالكا عليه ولا منقبضاً عنه .

قــال مـعــاويــة :

لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ولا أضع سيفى حيث يكفيني سوطي.

وقال معاوية أيضا :

وقـد ذكـر مـن كـان قبله أمـا أبـو بكر فقد ضرب عن الدنيا وضربت عنه، وأما عمر فأقبلت اليه وهرب منها، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابت منه، وأما أنا فقد دانتني الدنيا ودنتها .

قال أبو عمر:

وأما علي فأصابت الدنيا منه ولم يصب منها .

وروي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : إنـي لأستخدم الرجل وأرجو خيراً منه وذلك إنى أستخدمه لأن يكون أنقص عيباً وأوسع رأياً وأشد جرأة وأصبر على الجوع والعطش .

قــال حكـيـم :

يوم من أيام إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحاً .

خير الولاة من كان فى رعيته كأنه غائب عنها وهو شاهد فيها وكان المحسن فى أيامه آمنا والمسىء خائفا .

قــال المهلب :

الـنـاس يـحـبـــــون سلطانهم على الدين والتواضع ولــين الجانب وينقادون لشدة الطيش .

قــال حكيم :

رضيت ببعض الذل خوف جميعه ... وليس لمثلي بالسلوك يداني
وكنت امرىء أخشى العقاب وأتقي ... مغبة ما تجني يدي الحدثان.
فهل من شفيع منك يقبل توبتي ... فإني امرؤا وفي بكل ضمان

قال أبو العتاهية :

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي ... وزكاة حالي أن أعين وأشفعا
فإذا ملكت فجد وإن لم تستطع ... فاجهد بحمدك كله أن تنفعا

قال الحسن بن سهل :

كان زياد إذا أتي اليه بصاحب زلة أخر عقوبته أياماً يسأل عن قضيته مخافة الزيادة فى العقوبة .

تعرض رجل للحسن بن سهل فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الذى أحسنت الى عام كذا . فقال الحسن : مرحباً بمن توسل الينا بنا .

قال معاوية : «أحب الناس الي من له عندي يد ثم أحبهم الى بعده من لي عنده يد ».

قال الشعبي : دخلت يوماً على ابن هبيرة وبين يديه رجل يريد قتله فقلت : أصلح الله الأ مير أنت على فعل ما لم تفعل أقدر منك على ما فعلت وإن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة : قال صدقت يا شعبي وأمر بالرجل الى السجن .

قال المأمون يحتمل الملوك لأصحابهم كل شيء إلا ثلاث خصال : القدح فى الملك ، وإفشاء السر ، والتعرض للحرم .

قال شاعر :

وإن أعطيت سلطانا ... فحاذر ضربة الزمن
أخو السلطان موصوف ... بحسن الرأي والفطن
قالوا تقرب من السلطان قلت لهم ... يعيذني الله من قرب السلاطين
إن قلت دين فلا دين لممتحن ... أو قلت دنيا فلا دنيا لمفتون

قال إدريس :

قيل لأعرابي من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من لم يعرف السلطان ، ولم يعرفه السلطان وكان فى كفاف وغنى وأما الى الآخرة فطريقهم الإعراض عنهم وترك معاشرتهم .

****

مراجع الكتاب

١ - كتاب المحبر للعلامة الأخباري النسابة أبى جعفر محمد بن حبيب بن أمية عمرو الهاشي البغدادي المتوفى سنة ٥٤٢ هـ نشر دار الأفاق الجديدة بيروت ، ولم يذكر تاريخ الطبع .

٢ - كتاب من عيون الأخبار صغير من تأليف حمدي عبيد طبع بمطبعة الجمهورية بدمشق سنة١٣٧٦هـ وهي الطبعة الثالثة .

٣ - كتاب عين الأدب والسياسة تأليف : أبي الحسن على بن هذيل . وهي الطبعة الثانية بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٥٧ هـ .

٤ - جواهر الحكماء : كتيب صغير قديم ناقص أوله وآخره .

خاتمة الكتاب

وكان الفراغ من تحرير كتاب :

« جمع الجواهر في الحكم والنوادر »

عام ١٤١٥ من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة وأزكى تحية .

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

فهـــرس الكتـــاب

مطـــابع الإشعـــاع
ALESHA'A PRINTING PRESS
المملكة العربية السعودية – الرياض – شارع الرمل – تلفون ٤٠٤١٣٦٦
Saudi Arabia - Riyadh - Rael Street - Tel. 4041366

SR 25.

من مؤلفاته

١ - من حياة الملك عبدالعزيز .
٢ - ظاهرة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز .
٣ - حكم وأدب من مآثر العرب (جزءان) .
٤ - وصايا العلماء والملوك في حسن السيرة والسلوك.
٥ - الممتاز من الأحاجي والألغاز .
٦ - تحفة العقلاء في القهوة والثقلاء .
٧ - الفواكه الشهية في المناظرات الأدبية .
٨ - آلام وآمال في الملك فيصل (ثلاثة أجزاء) .
٩ - ديوان من الشعر الشعبي لابن جعيثن .
١٠ - النكت والطرائف (خمسة أجزاء) .
١١ - حكم قيمة من تراث العرب .
١٢ - الألغاز المعنوية من الأشعار الشعبية .
١٣ - الكشكول الصغير .
١٤ - حديقة الأذهان ونزهة الولهان .
١٥ - وهذا الكتاب ، جمع الجواهر في الحكم والنوادر .